مذكّرات
في زمن الثــورة
الجزء الأول

سـارية عبد الكريم الرفاعي



مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL




مذكّرات
في زمن الثــــورة

الجزء الأول

الشيخ

سارية عبد الكريم الرفاعي




مذكّرات
في زمن الثــورة

تأليف: سارية الرفاعي

القياس: 17 X 24 سم

عدد الصفحات : 240 ص

ISBN: 978-605-7618-26-9

الطبعة: الأولى

1442 هـ - 2020 م



نحو أسرة عربية واعية ..

ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - İSTANBUL

طبــاعـــة ونشــر وتوزيع

إصدارات مُختــارة للأســرة العربيــة

www.ArabFamilyBs.com

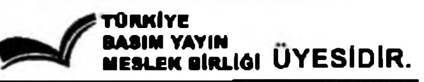
+90 212 631 81 09 - +90 531 935 71 31

info@arabfamilybs.com



Sertifika No: 35657

UFUK NEŞRİYAT



ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: ERG Matbaacılık Sanayi Ltd. Litros Yolu Topkapi İstanbul

إهداء

أقدِّم هذا الكتاب الذي يحوي ذكرياتي من بداية الثورة السورية عام ٢٠١١م وإلى تاريخ صدورها بعد المرض الذي أصابني وأقعدني في بيتي، أراقب الأحداث وأنتظر لقاء ربي لألحق بركب الشهداء الأبرار تكرماً منه سبحانه...

أقدِّمه وأهديه إلى كل غيورٍ على دينه ووطنه وأمَّته، أهديه إلى كلِّ شابٍّ رفع صوته بكلمة (الله أكبر)، فأصابته رصاصةٌ، فأردته شهيداً...

أهديه إلى كلِّ أمٍّ فقدت ولدها وهي تقول: (حسبي الله ونعم الوكيل، لئن قبضتَ ولدي فأنتَ ثقتي وعليك اعتمادي)...

أهديه إلى كلِّ أبٍ فقد ولداً أو أولاداً وأسرةً تحت القصف ليقول: يا رب، إنهم دمَّروا حياتي، ويكفيني قلبي العامر بحبك:

فليت الذي بيني وبينك عامرٌ   وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هيِّنٌ   وكلُّ الذي فوق الترابِ ترابُ

أهديه إلى كلِّ طفلٍ نشأ في ظل القتل والقصف، وفقد أبويه ليجد نفسه شاباً بلا أبٍ ولا أمٍّ، فتذكَّرَ يتيم الأبوين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم.

أهديه إلى كلِّ صابرٍ على ما أصابه، فلم يتزعزع إيمانه بربه؛ لعلمه أن الدنيا دار ابتلاءٍ، وأن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل.

أهديه إلى كلِّ جريحٍ ومُصابٍ فقد بصراً أو قدماً أو يداً؛ ليكون معترفاً بعجزه وضعفه، وليعيش في قمة السعادة مع ربه كما هو حالي الآن، فيتمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم:

وهل أنتِ إلَّا إِصْبَعٌ دَميتِ وفي سبيل الله ما لقِيتِ

أهديه إلى كلِّ هؤلاء، وأتقدَّم به إليهم على استحياءٍ؛ لاعتقادي أن هؤلاء أفضل مني، فليست العبرة بالأسماء اللَّامعة، بل بالمواقف الرائعة، فهؤلاء هم الذين سطَّروا بدمائهم ومصابهم أروع الأمثلة، ولهولاء وأمثالهم كان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: واشوقاه لإخواني... ونحن نقولها: واشوقاه للحبيب محمد وآله وأصحابه.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين، وإمام المجاهدين، وآله وصحبه أجمعين، ومَن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن إلحاح الكثير من الغيورين على سوريا وثورتها أن أكتُبَ ما شهدتُه وشهِدَه الناس في بداية محنتنا وحتى الآن، والتي قلَّ نظيرها في العالم المعاصر وفي التاريخِ الإنسانيِّ كلِّه، كلُّ ذلك جعلني أكتبُ، فإن كتبتُ فللتاريخ الذي يُحاول الكثير من أعداء الحق تزويره، وللبيان الصَّريح الواضح الذي يُحاول المخالفون تأويلَه وتغييرَه.

إنَّ الثَّورةَ السُّوريَّة التي مضى عليها ما يُناهز تسع سنواتٍ ونصفٍ، قد شهدتُ بدايتها، وحذَّرتُ من عواقبها، وتابعتُ أحداثها خطوةً خطوةً...

وإنَّ مخطَّطاً عالمياً لتدمير (إنسان سوريا) قبل مدارسها ومشافيها ومساجدها قد رُسمَ، وإنَّ تدبيراً عالمياً لتدمير سلاح الجيش السوري الذي امتصَّ مُقَدَّرات الشعب لبنائه وتشييده، ما كنا نظنُّ أنَّ إعداده وأعداده كان لقتل أبناء هذا الشعب والنَّيلِ من حريته وكرامته.

لقد حذَّرتُ أركان الدولة قبل بداية الثورة بشهرين من طوفان يُغرِق السفينة إنْ لم يتداركوا الأمر بإصلاح الوضع السياسيِّ والاقتصاديِّ والاجتماعيِّ، وقلتُ لهم: إنَّ ناراً ستَلْتَهِم الأخضر واليابس إنْ لم ترفعوا الظُّلم وتقضوا على الفساد، فها هي العديد من بلاد الوطن العربيِّ ثارت؛ لما فيها من ظلم عمَّ أرجاء البلاد، وإنَّ بلدنا ينبغي أن نغار عليها غَيرتَنا على شرفِنا، فحرامٌ علينا أن نفرِّط ببلدٍ باركه الله، وجعله صفوة البلاد في أرضه، واجتبى إليه أولياءَه وأحبابَه.

لقد أدرك بعض المسؤولين النَّصيحةَ، وقالوا: إننا نعْلَمُ إخلاصَكَ للبلد، وحرصَكَ على أمنها واستقرارها، ولكنَّ البعض الآخر -ومنهم ساكنُ القصر بشار- قال لي: قد يفهم البعض من كلامكَ التَّحريضَ، فقلتُ: إنه اجتهادُكَ واجتهادُ بعض ضباط الأمن، أما اجتهادي؛ فهو أن نتدارك الأمر قبل أن تقع الطَّامةُ الكبرى.

كنتُ أشعرُ -والكلُّ يشاركني هذا الشعور- أنَّ بركاناً سينفجر لا محالةَ، لا بتحريضِ أحدٍ من البشر؛ إذ لم يكن لأحد يدٌ في تحريك الشباب ولا في تهدئتهم، رَغم اعتقادي أن أعداء أمَّتِنا في الخارج يسعون لتدمير البلد ومُقدَّراته.

ثار الشَّبابُ نتيجة العدوى والاحتقان في صُفوف الشَّعب رَغم تحذيرِنا المتكرِّر لصُنَّاع القرارِ أن يسارعوا إلى استيعاب الشارع الآيل إلى الانفجار، لكنَّ إرادة المولى كانت النَّافِذةَ أوَّلاً وآخراً، ولا رادَّ لقضائه وقَدَره.

بدأت المظاهرات من درعا، حيث أثارها حُمق رئيس المخابرات فيها ومحافظها باعتقال أطفالهم الذين كتبوا عباراتٍ على الجُدران، فتمَّ اعتقالهم وتعذيبهم حتى قضى بعضهم تحت التعذيب.

حاولنا بشتَّى الوسائل أن نكون عوناً للحُكَماء من المسؤولين في احتواء الأزمة، فلم

نجد في الدولة حكيماً ولا رشيداً، أو بالأحرى لم نجد مسؤولاً أو صاحبَ قرارٍ.

التقَيْنا مع ساكن القَصْرِ وأعوانه في مكتب الأمن القوميِّ مجتمِعين ومتفرِّقين مراراً، واتَّفَقْنا على آليَّاتٍ لتجنيب البلاد مآلاتٍ لا تُحمَدُ عُقْباها.

ذهَبْنا بناءً على طلب ساكن القصر إلى درعا، والتقينا بعُلمائها ووُجهائها لنتلقَّى طلباتِهم حتى تُنفَّذَ بالكامل كما وَعد، فما وجدنا بعدها إلا تصعيداً، رَغم وعودهم بتنفيذ ما نتوصَّلُ إليه.

كنا نطرح حلولاً لأركان الدولة، فنجد تجاوباً في المجلس يُعبِّرُ عن القبول، فإذا خلا بعضُهم إلى بعضٍ قالوا: إنما نحن مستهزئون.

بقينا على ذلك أربعة أشهرٍ أو يزيد، ولا نجد إلا ضَحِكاً على اللِّحى، فآلينا على أنفسِنا أن لا نزور القَصْرَ ولا المسؤولين في طلبٍ أو نداءٍ من نداءاتهم.

زارنا الكثير من المسؤولين على أملٍ أن لا نتخلَّى عن المسؤوليَّة، فقلنا: هذا شأنُنا، والقضيَّةُ قضيَّتُنا، لكننا لا نرى أيَّ حلٍّ في الاستجابة، فيقولون: (لا نشكُّ أنَّ الحلَّ عندكم)، ظانِّين أنَّ الشباب الثائر ممَّن فقد أباه أو أخاه، أو هُتِكَ عِرْضُه سيستجيب لنا وينقاد لأوامرنا!

فنقولُ لهم: إنَّ الدولة بجيشها وأجهزة أمنها لا تملِكُ القرار، أو لعلَّها تملِكُه لكنها لا تريد الحلَّ، بل تريد التَّصعيدَ والبَطْشَ كعادة عُتاةِ الأمن فيها.

ساعدناهم وكنَّا معهم في فكِّ الاعتصاماتِ، مع الوعود بعدم الإساءة للمعتصِمين، فلا يكون منهم إلا القتلُ والتعذيب المُمِيت، فكنَّا نقول في خُطَبِ الجمعة: والله إنَّ الإرهاب إرهابُكم؛ إذ لا نجد من الأمن والجيش إلَّا الإثارةَ والتَّحريضَ.

وختاماً أقول: إنَّ الثَّورة كانت سبباً في التطهير للمجتمَعِ المشارِك بالظُّلم بكلِّ شرائحه، لكنَّها - في الوقت نفسه - كانت الفاضحة لشرائح مِن منظَّماتٍ أو دولٍ وأفرادٍ لا تخفى على أحدٍ، ولعلَّك -أخي القارئَ لهذه المشاهد والمواقف مما شاهدتُه وشهدتُه- تتعرَّفُ على الحقيقة فيما جرى في سوريا بكلِّ صدقٍ وأمانةٍ.

وإن الذي جعلني أكتبُ هذه الذِّكْريات هو تلك المشاهد التي عاينتُها سنةً كاملةً مِن بداية الثَّورة، إلى أن وجدتُ نفْسي حبيس بيتي -لا خطبةَ، ولا تواصُلَ، ولا نشاطَ- فضلاً عن تهديداتٍ مُبَطَّنةٍ بالقتل الذي لا أُعِيرُه أيَّ اهتمامٍ؛ لأنَّ الأجَل مكتوبٌ.

فخرجتُ من سوريا بعد عامٍ كاملٍ مِن بَذْل الجُهدِ مع المسؤولين بالإصلاح والتَّغييرِ، ومع الشَّبابِ الثَّائر بالتَّوجيه؛ لئلَّا تنحرف الثَّورة عن سِلْمِيَّتِها، لكنَّني وجدتُ أن النظام لا إرادة له في الإصلاح، ولا سبيل للوصول إلى من بيده الزِّمام من دول العالم الذين وزَّعوا الأدوار لتحطيم هذا البلد بأيدي أهلِها بعيداً عن التفكير بالحلِّ لهذه الأزمة بكل جدِّيَّةٍ.

كلُّ هذه المعلومات وما لديَّ من معطياتٍ عمَّا حدث وما يحدث في سوريا سأسردها في هذا الكتاب ما دام أنَّ أصحاب العلاقة وأرباب الشأن في مجرياتها موجودون، وأنَّ أهل بلدي عليها يشهدون، فلذلك استجبتُ لإلحاح الكثير ممَّن شهدوا الأحداث في الدَّاخلِ قبل خروجنا خارج سوريا بعد أن وجدنا الخروج أنفع لأبناء أمَّتِنا.

و الذي أرجوه من القارئ ألَّا يتبادرَ إلى ذهنه -وخاصةً عند بحث اللِّقاءات مع المسؤولين الكبار في الدَّولة- أنَّني فرِحٌ أو سعيدٌ بمجيئهم إلى بيتي، فمِثْلُهم

والله لا يشرِّفني أن يزورَني أمثالُهم من الظَّلَمةِ وأعوان الظَّلَمةِ، لكنَّني أذكرُ هذا للتاريخ بأنَّني ما قصَّرتُ باستقبالهم واللِّقاء معهم، مع أنَّني لا أرغب بذلك، و لكنْ معذرةً إلى ربِّكم.

أسأل الله العليَّ القدير أن يرحم شهداءَنا، وأن يُداويَ جرحانا ومرضانا، وأن يُفرِّجَ عن أسرانا، وأن يحفظ أطفالنا ونساءنا وشبابنا من كلِّ سوءٍ، وأن يجمع شَمْلَنا في بلادنا بالنَّصرِ القريب والفرج العاجل، آمين آمين آمين، والحمدُ لله رب العالمين.

من إستانبول وعلى فراش المرض

سارية عبد الكريم الرفاعي

بداية الثورة في سوريا

ما كان أحدٌ يظنُّ بأن سوريا سيُصيبها عدوى الانتفاضة الشَّعبيَّة والاحتجاجات على ظُلْم النِّظام والفساد العام، وما كان أحدٌ يُصدِّقُ أنَّ عامَّة الشعب سيصرخون: نريد الإصلاحَ، ونُطالبُ بالحريَّة والكرامة والمساواة، وقد رأوا أنَّ النُّوَّابَ في مجلس الشَّعبِ منهم مَن أحيل إلى المحاكمة، ومِن ثَمَّ إلى السجن؛ لأنَّه فكَّرَ بصوتٍ عالٍ فضلاً عن تكتُّلٍ أو دعوةٍ للإصلاح.

لقد أخرَسوا الألسُنَ، وأرعبوا القلوبَ بما كنَّا نسمعه عن السَّجين في معتقلاتِهم بما لا يُمكنُ أنْ يُصدَّقَ لولا أنَّ عشرات الآلاف خرجوا يتحدَّثون عن الفظائع والتَّصفيات الجسديَّة بالتَّعذيب أو التَّجويع، عند ذلك أنَّى لأحدٍ أن يُكذِّبَ ذلك؟!

ولعلَّ الشَّابَّ يُعتقلُ مِن جامعته أو مِن الطريق، ولا يعلَمُ أهله عنه أيَّ خبرٍ، وربَّما يبحثون عنه في المستشفيات ومخافرِ الشُّرطة حتى فروع الأمن والمخابرات، وتمضي الشهور ولا يصِلون إلى أيِّ معلومةٍ عن ولدهم الذي ما عرفوا عنه سياسةً، ولا مُعارضةً، ولا مُشاكسةً إلَّا أنه اصطدم مع بعثيٍّ أو علَويٍّ أو صاحب نُفوذٍ في أجهزة الدولة، ولولا أنَّ شخصاً يفرِّج عنه بعد شهورٍ أو سنواتٍ ليُخبِرَ أهل هذا الشابِّ بأنَّه في فرع كذا، وأنَّ مشكلته تقريرٌ من أحد خُصومِه في الجامعة أو العمل، كتَبَ فيه أنه تكلَّمَ عن (سيادة)

الرَّئيس أو عن الأمن، فزُجَّ في السجن بضع سنين أو أقل أو أكثر دون كبيرِ جرمٍ أو عظيم خطر!

نعم، مثلُ هذا كثير، ولا يخفى هذا على أحدٍ مِن أبناء سورية مِن أقصاها إلى أقصاها، وإني لأذكر أنَّ أحد الشَّباب ممَّن أعرفه دخل سوريا من الحدود اللُّبنانيَّةِ، ولعلّ تشابهاً بالأسماء حصل لدى عناصر الأمن في الحدود، فقال أحدهم: أعطوه ورقة مراجعةٍ للفرع العسكريِّ وأريحوا أنفسكم.

وفي اليوم التالي يذهب بنفْسه للمراجعة ولم يعُد، وتمضي ثلاثة أيامٍ وجاء إليَّ أهلُه يُخبرونني، فذهبتُ إلى اللواء عبد الفتاح قدسية «رئيس شعبة الأمن العسكري» وقلتُ له: هل لدينا في هذا البلد قانونٌ؟ فتعجَّبَ مِن كلامي، أعدتُ السّؤال ثانيةً، فأنكر عليَّ قولي، قلتُ: أنا أسألكَ لأنَّ بين يديَّ مشكلةً لأحد أحبابي أعرِفُه تمام المعرفة، قضيَّتُه كذا وكذا، ثمّ قلتُ للِّواءِ: هل هذا قانونٌ؟ قال: لا، هذا ظلمٌ، فقلتُ: واللهِ إن بلدنا كلَّه وبكلِّ مؤسَّساتِه على هذه الشاكلة.

إنَّ مِثْلَ هذه الحادثة -ومثلُها الكثيرُ- هو ما جعل شباب الأمة يهُبُّون ليُعبِّروا عن آرائهم ويُطالبوا بكرامتهم، وهم يرون ما حلَّ ويحِلُّ بمَن لا ذنب له، وليس لديه أدنى مُعارضةٍ.

لئن أحرقَ بوعزيزي نفسه في تونس وهبَّت الثّورة إِثْر ذلك، وخلعوا رئيسهم بن علي، فإنَّ سوريا لديها شعار آخر -ولكن بالمفهوم عكسه-، إنه شعار: (نحرق البلد ويبقى الأسد)...



من أوائل المظاهرات التي اندلعت ضد النظام السوري أمام المسجد العمري في مدينة درعا - آذار ٢٠١١



شعار النظام الأبرز (الأسد أو نحرق البلد) على جدار أحد أحياء مدينة حمص - أيار ٢٠١١



شعار النظام الأبرز (الأسد أو نحرق البلد) على جدار أحد أحياء مدينة الزبداني - نيسان ٢٠١١

ما كنتُ أُصدِّق ما قاله وزير الخارجية المعلِّم: أنَّ كلَّ ما حصل في تونس ومصر وليبيا فسوريا بخلافه، وما كنت أُدرك أنَّ العالم كلَّه سيُناصره حتى يبقى، وستوزع الأدوار بين غربٍ وشرقٍ.

مُعسكرٌ في الغرب يُعلِنُ صراحةً ومنذ بداية الثَّورة أنَّ الأسد فقد شرعيَّته، وأنَّ عليه أن يتنحَّى، ويتحرَّك العالَمُ كلُّه من أجل إرضاء الشعب السوري، ومعسكرٌ في الشرق يقوم بدوره بمنع أيِّ قرارٍ يتَّخذه مجلس الأمن بما حباه الله من (نعمة الفيتو)!

ما كنت أُصدِّق أنّ قراراتٍ تُتَّخذ من الجامعة العربيَّة والاتحاد الأوربيِّ وهيئة الأمم، ثم تُرمى في مزبلةٍ مخصَّصةٍ يُتَّفق عليها بين الشرق والغرب للضَّحكِ على الشعوب الضعيفة.

بدأت الثورة وما كان يظنُّ أحدٌ أو يُصدِّقُ شعار: (نحرق البلد، ويبقى الأسد).

بدأت الثورة وما كان أحدٌ يتوقَّعُ أن إيران الدّولة الإسلاميَّة -لما لها من تحالُفٍ مع

الأسد ونظامه العلمانيّ- ترضى أن يُسفَكَ دم الشَّعب السُّوريّ فضْلاً عن مُشاركتهم بالمال والرجال والعَتاد بالقتل لأهل السُّنَّة، وذبح أطفالهم وهم على صدور أمهاتهم، وعصابةُ جبينِهم مكتوبٌ عليها: (يا حسين)، أيرضى الحسين وجدُّ الحسين وربُّ الحسين بهذا؟؟!!!



حاجز لإحدى المليشيات العسكرية الشيعية التي انتشرت في مدينة دمشق - كانون الثاني ٢٠١٤

بدأت الثورة وما كنت أتصوَّرُ أنَّ مُحِبا لوطنه وأمَّته يرضى بقتل متظاهرين وقصف بيوتهم بالصواريخ والطائرات والكيماويِّ، ثم يُصدِّقُ مقولةَ النظام: إنهم العصابات المسلَّحة، أو يُبرِّرُ للنظام هذا القتل والتدمير دون أن يعترض على ما يرى، وما يُشاهده العالَمُ كلُّه.



عناصر من مليشيا لواء الحسين الشيعية التي تقاتل إلى جانب النظام السوري في بلدة حجيرة بريف دمشق -تشرين الثاني ٢٠١٣

بدأت الثورة وما كان يخطر على بالي أن يُطلَق سراح المتطرِّفين التكفيريين من سجون النظام ليرتبطوا بالقاعدة من جديدٍ، ويستقطبوا شباباً من أنحاء العالم ليكونوا تحت رايتهم، أو أن يستقدم النِّظام شباب الشِّيعة من باكستان وغيرها، ويقيموا لهم دورات بالفكر التكفيريّ، ويُقال لهم: تناسوا الشيعة، فالحرب خدعةٌ، وأنتم ستدخلون صفوف الجماعات الجهادية لتقتلوا المسلمين؛ لأنَّهم نواصِبُ كفرَةٌ.

إنّه المكر والخداع الذي لا يخطُرُ في بال إبليس اللّعين، ليقولوا للعالم بأسرِه: إمّا نظام الأسد، وإمّا القاعدة التي ستهدِّدُ أمن إسرائيل والدول العظمى!

إنَّ شدَّة العنف والقمع والقتل حوَّل سلمية المظاهرات إلى تسليحٍ...

فقد قامت المظاهرات في كلِّ أنحاء المحافظات السورية ومدنها وقراها، وكانوا يطالبون في البداية بالإصلاح ونيل الحرية والكرامة، وكانت المساجد مكاناً لانطلاقة

تلك المظاهرات وخاصةً بعد صلاة الجمعة.

كان يُحدِّثني بعض الشباب أنه لا يستطيع أن يبقى في البيت وأقرانُه وأصدقاؤه في المظاهرات التي تُنادي برفع الظُّلم والفساد، كان يعتقد أنه إنِ اعتزلها كان راضياً بالظلم والفساد الذي عمَّ البلاد، فكان يخرج ويُشارك ليرضي ربَّه وضميرَه وأمَّته.

لقد كان المتظاهرون لا يتجاوزون شعارات طلب الإصلاح ونيل الحرية والكرامة، إلى أن اشتدَّ القمع والقتل والاعتقالات والتعذيب فيها؛ ليخرُجَ الشابُّ من المعتقل أشدَّ إصراراً على التظاهر، وكنتُ أقول للمسؤولين: (إيَّاكم أن تظنُّوا أنَّ الاعتقال والتعذيب والقتل يُخفِّفُ من وطأة المظاهرات، كلا، بل يزيدها حِدّةً وكثرةً، فإنَّ مَن قُتل ابنه أو أخوه أو صديقه سيحلُّ محلَّه أكثر من مائة)، ولكنَّ النظام الذي اعتاد على القمع والاستعباد لا يُطيق أن يسمع كلمةً أو صوتاً يُنادي بالحرية.



المظاهرات السلمية في مدينة حماة ٢٠١١



المظاهرات الســلمية في مدينة حمص٢٠١١



المظاهرات الســلمية في مدينة الباب بريف حلب ٢٠١١



المظاهرات السلمية في مدينة جوبر بريف دمشق ٢٠١٢



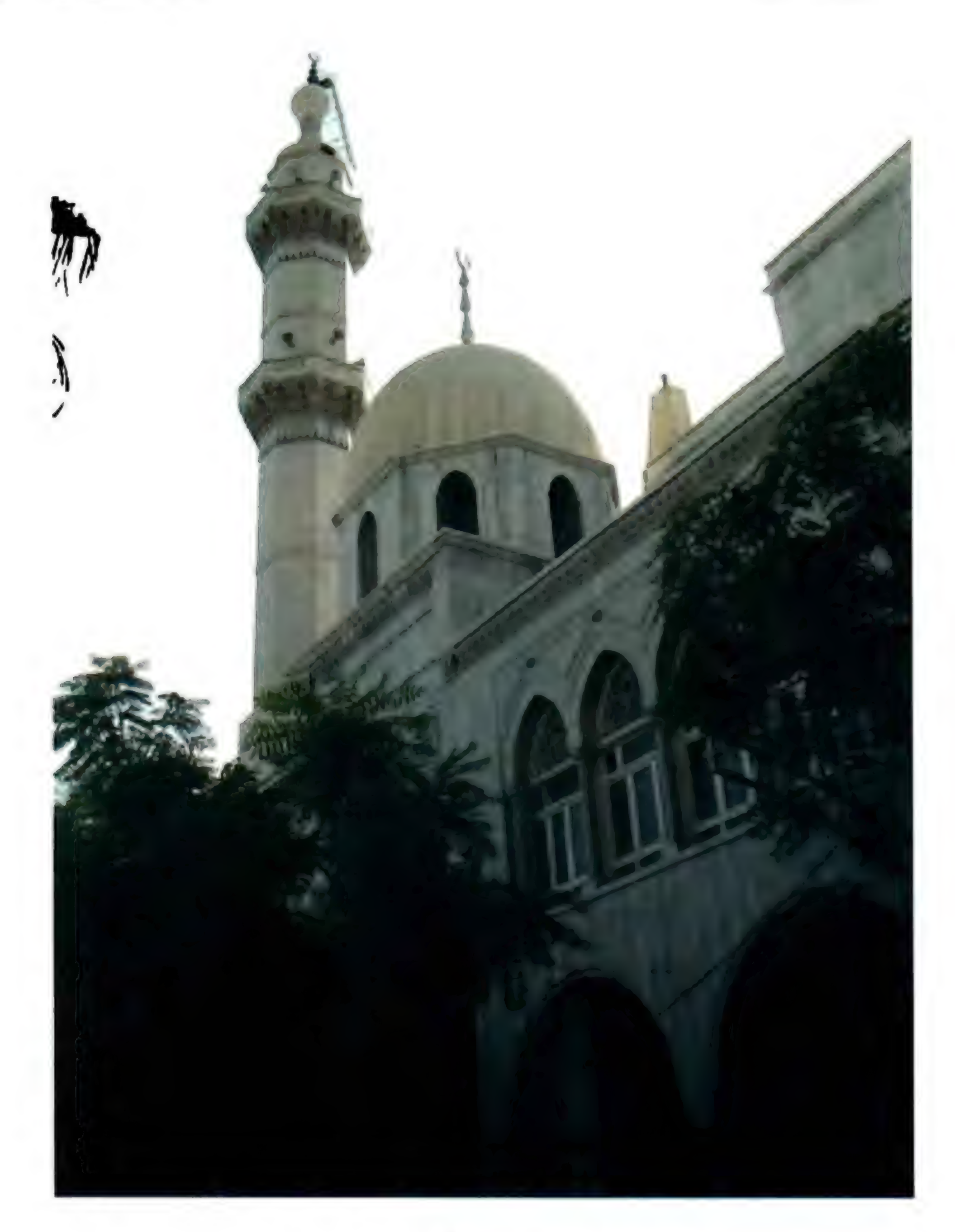
المظاهرات السلمية في مدينة داريا بريف دمشق ٢٠١١

وهكذا اشتدَّ القتل واستعرَ، فما من مظاهرةٍ إلا ونسمع أنَّ شباباً قُتلوا فيها، فكنتُ بعد ذلك أمنع الشَّبابَ ورُوَّادَ مسجدي من الخروج حرصاً على حياتهم؛ لأنَّ الذين يخرجون في المظاهرات هم خُلاصةُ الشباب في الالتزام والصِّدق والإخلاص والأخلاق والتَّفَوُّق في دراستهم وفي جامعاتهم.

حتى أنني في خطبة الجمعة التي رُفعت على اليوتيوب بعنوان « جريمة القتل » حذَّرتُ الشباب فيها مِن الخروج وقلتُ: (إنَّها مؤامرةٌ للقضاء على أمثالكم)، وقلتُ: (إنَّها مؤامرةٌ لتقسيم البلاد، فحذارِ من استغلال غَيرتكم بنداءاتكم وصيحاتكم، وإنْ شئتم أن أجعل نداءاتكم وصيحاتكم على منبر جامع زيدٍ الذي اعتاد النِّظام أن يسمع كلمة الحقِّ من ذاك المنبر، فعلتُ، ولعلَّها أبلغُ من مظاهراتكم التي تتعرَّضون فيها للخطر، فأنا جاهزٌ لأن أتكلَّم على المنبر أضعاف ما تُطالبون به، مع علمي أنَّني قد أتعرَّض للقتل، إلا أنَّ أملنا بكم لحمل الرَّاية بعدنا يجعلنا نُضحِّي بأنفسنا عنكم).

لكن المؤامرة جعلت النِّظام يزداد بأسه قتلاً واعتقالاً وتعذيباً، مما جعلنا نوقن بأنَّ النظام جزءٌ من المؤامرة، حيث جعل بعض الشَّبابِ يقول لي: إنَّ استشهادَ فُلانٍ وفلانٍ وفلانٍ من شبابنا، واعتقال الآلاف منهم يجعلُنا نفكِّرُ بحمل السِّلاح حتى ندافع عن أنفسنا وأعراضنا، فغضبتُ حينها غضباً شديداً، وفي يوم الجمعة ذكرتُ ما جرى بيني وبين الشابِّ من حوارٍ وقلتُ: (إنْ كانت المظاهراتُ ستتحوَّلُ من سِلْمِيَّةٍ إلى مُسَلَّحةٍ؛ فأقول: إنَّ مُظاهراتِكم حرامٌ حرامٌ حرامٌ).

فما كان من النِّظام إلَّا أن اختزل عبارة الخُطْبة ووضعَها على الشَّريطِ الإخباريِّ: الشَّيخ سارية: المظاهراتُ حرامٌ حرامٌ حرامٌ!



مسجد زيد بن ثابت الأنصاري في دمشق

وفي اليوم التالي تكلَّمتُ مع المسؤول الأمنيِّ في القصر الجمهوريِّ وقلتُ: إنكم تكذِّبون على لساني، وقلتم كذا وكذا، فأنا مضطرٌّ لأن أُكذِّب الإعلام السوريَّ وأفضحَه على الفضائيَّات الأخرى، فقال لي: أيُرضيكَ أن تُبثَّ الخُطْبة بكاملها؟ قلتُ: نعم، وفي

المساء بثُّوا الخطبة بأكملها، وهذا نوعٌ من استرضائي لأسكُتَ عن تصرُّفاتهم، ولكنْ هيهات هيهات...

وهنا -كما ذكرتُ- تحوَّلت سِلْمِيَّةُ المظاهرات إلى تسليحٍ، وكأنَّ النظام كان ينتظرها، وقد قتل خلال سِلْمِيَّة المظاهرات في خمسة أشهر أكثر من ستة آلافٍ بإقرارٍ من بشار الأسد، ليصل عدد القتلى بعد ذلك إلى عشرات الآلاف، وليكون لدى النظام المبرِّرات لتدمير المساجد والمشافي والمدارس والبيوت، وتشريد الملايين عن مدنهم وقُراهم.



آثار الدمار في مدينة دوما بريف دمشق - آب ٢٠١٣

مؤتمر الحوار برئاسة فاروق الشرع:

في الأشهر الأولى من الثورة، وتحديداً في ١١/ ٧/ ٢٠١١م كان لدى النِّظام شيءٌ من الدبلوماسية ومحاولة الاسترضاء، فدُعيتُ إلى مؤتمرٍ للحوار الذي انعقد في فندق صحارى، وقد دُعِيَ إليه عددٌ كبيرٌ من المثقَّفين ورجال الدين المسيحيِّ، مثل الأب إلياس

زحلاوي، وبعض الإسلاميِّين مثل محمد حبش، ولقد تكلَّمتُ على المنبر يوم الجمعة، وقلتُ: (لقد دُعِيتُ إلى هذا المؤتمرِ، فرفضتُ الحضورَ؛ لأنَّني لستُ متخصِّصاً بالسِّياسة ولا بالاقتصاد إن كانوا يريدون بحث هذين الأمرين، أما ما يخصُّ الدِّين؛ فأنا أحذِّر الحاضرين جميعاً وأقول لهم: إن الدِّين مُقدَّسٌ، فينبغي أن يتعهَّد جميع المؤتمرين المحافظةَ عليه وعلى مؤسَّساته ورموزه،وإلَّا: فأُقسمُ بالله أنه لن يهنأ لكم عيشٌ إن أسأتُم للدِّين ومقدَّساته، وإياكم أن تستغلُّوا بُعدنا عن مثل هذه المؤتمرات أو عن السياسة عموماً، فنحن لا نسعى إليها ولسنا من أهلها).

وأنا على يقينٍ بأنَّ فكرة المؤتمَر تمَّت دون استئذان القوَّة الفاعلةِ -وهي إيران- في اتِّخاذ القرار، لذلك جمدت نتائج هذا المؤتمر بعد أن ظنَّ الشعب السوريُّ الثائرُ أنَّ الدولة جادَّةٌ في الإصلاح، ولكنَّ القوَّة الفاعلة الخارجيَّة وجدت أنَّ الإصلاح يعني زوال النظام، وبالتالي خسرت بزواله استراتيجيَّةً أعدَّتها تلك القوة في سوريا وفي المنطقة كلِّها.

وهكذا مضى مؤتمر الحوار دون جدوى، بل لعلَّ القيادة عُوقبت على هذا الاقتراح؛ لأنَّ أيَّ إصلاح يتمُّ؛ فهذا يعني نهاية حُكْم هذا النظام الذي يُعزِّز هيمنة إيران على بلاد الشَّامِ؛ لتكونَ سوريا ولايةً من ولايات إيران، هكذا يُصرِّح الكثير من آياتهم و علمائهم.

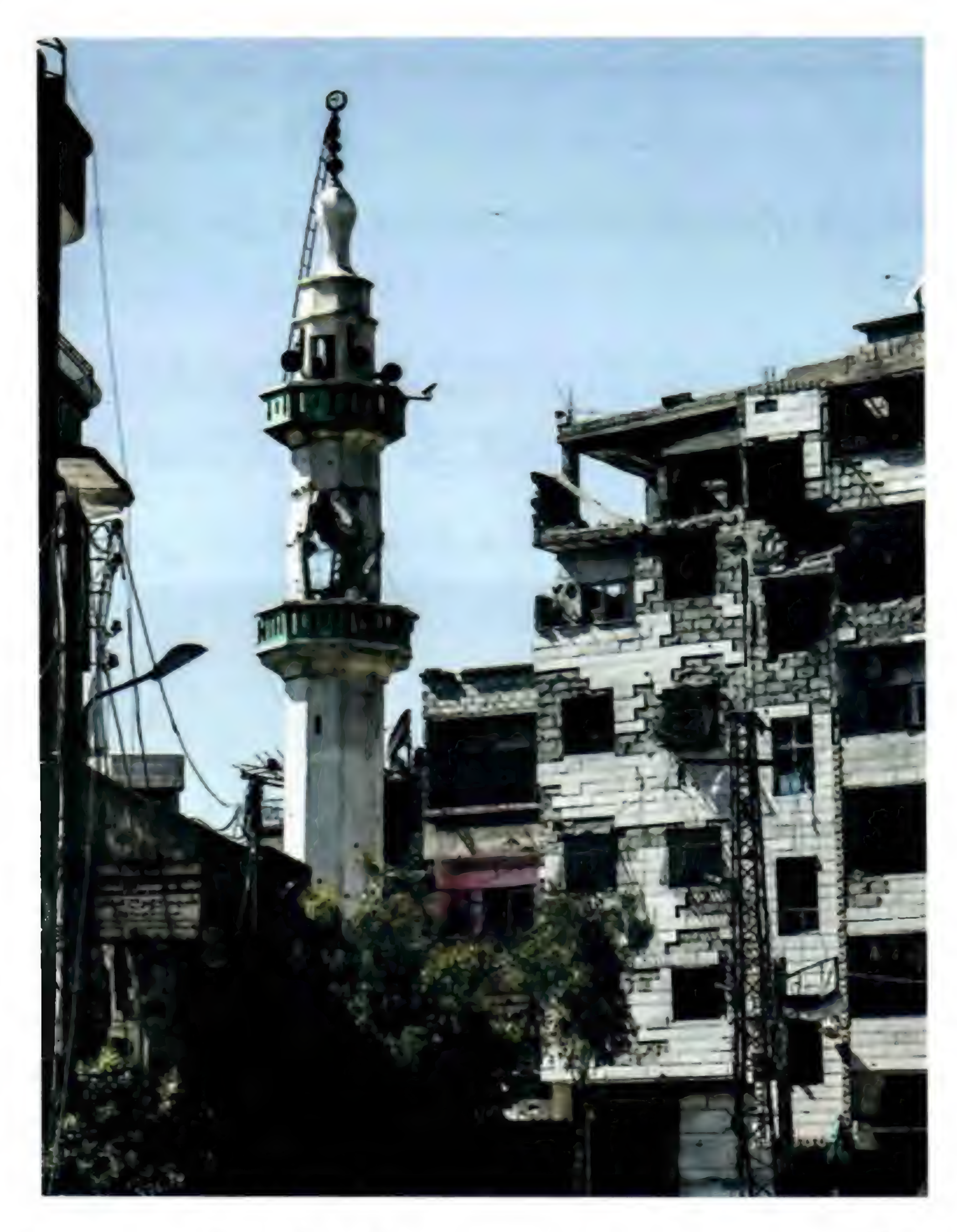
وفي هذه الأثناء زارني مجموعةٌ من الشباب يطلُبون منِّي وبإلحاحٍ أن نشكِّل حزباً مقابل حزب البعث الاشتراكيِّ، ظانِّين أنَّ مؤتمر الحوار سيؤتي أُكُله، وسيشارك الشَّعبُ في قرارات البرلمان بعيداً عن هَيْمَنة حزب البعث مثبِّتِ حُكْم الطائفة العلويَّة، ومؤلِّه العائلة الأسدية، ويتعهَّدون إن كنتُ أنا والشيخ أسامة على رأسه أن يكون الحزب الأوَّل في سوريا، فقلتُ لهم: (إننا مشايخ لنا مكانتُنا عند الملتزِمين والمُتَفَلِّتين والعلمانيِّين

والإسلاميِّين، ونحظى باحترامهم جميعاً، فالذي أخشاه إن شكَّلْنا حزباً أن نتعرَّض للمهاترات والاتهامات والافتراءات -شأن الأحزاب فيما بينهم -، ونفقد مكانتنا واحترام الجميع لنا).



من مؤتمر اللقاء التشاوري للحوار الوطني الذي عقد بدمشق - تموز ٢٠١١

ونحن نلاحظ أيام الانتخابات مجيء الشخصيَّات من كلِّ الانتماءات والتوجهات ليقدِّموا الخدمة في كلِّ ما نطلبه منهم، المهم أن نرضى عنهم، والسَّبب الآخر: وهو أن الحزب الفائز ينبغي أن يُقدِّم تنازلاتٍ على حساب دينه ليرضى عنه الغرب والعرب، ولئن سُئل الإسلاميُّ: هل تريد أن يكون دين الدولة الإسلام؟ فإنه يحاول التهرُّب من الجواب؛ حتى لا يُوصم بالتطرُّف و الإرهاب.



مئذنة أحد مساجد مدينة دوما بعد تدميرها من قبل قوات النظام - تموز ٢٠١٣

مواقف علماء الشام من الثورة السورية وانقسامهم ما بين مؤيِّدٍ ومُعارضٍ ومعتزلٍ:

انقسم علماء سورية في مواقفهم من قضيَّةِ الثورة السُّورية إلى فئاتٍ ثلاثٍ:

فمنهم من جهر بكلمة الحقِّ، وأعلن وقوفَهُ إلى جانب الثائرين على الظُّلْم والفساد والمنادِين بالحريَّة من اليوم الأول.

ومنهم من خشِيَ بطشَ النظام، فآثَرَ الصمتَ والسُّكوت، واعتبر ما يجري فتنةً ينبغي اعتزالُها.

ومنهم مَن خاف على مؤسَّسته الدعويَّة أو منبره أو معهده، وخشِيَ مِنَ النظام أن يقوم بإغلاقها، فتظاهرَ بالوقوفِ إلى جانب النِّظام.

وفي قرارة نفسي: لا أعتقدُ أن واحداً من هذا الصنف الثالث قانعٌ أو مُصدِّقٌ لروايات النِّظامِ وأكاذيبه، لكنَّه اختار سبيل التَّمَلُّقِ والتأييدِ ليُحافِظَ على عَمَله ومكانته عند أركان النِّظام، وليحمي مؤسَّسته وطلابه، وأنا لستُ مِنَ المؤيِّدين لهذا المنهج الثالث بحالٍ من الأحوال، و ما أظنُّ أنَّ هذا الحرص على المؤسسات العلمية والمعاهد الشرعية غاب عنَّا ونحن نتكلَّمُ كلمة الحقِّ في وجه النِّظام، بل إنَّنا -والله- حريصون عليها كحرصهم إنْ لم يكن أكثرَ.

اتِّهام النظام للمعاهد الشرعية أنها حاضنة الإرهاب:

إن علماء هذه المؤسَّسات القائمين عليها يذكرون أن النِّظام أراد غير مرَّةٍ أن يصوِّرَ هذه المعاهد والمؤسَّسات العلميَّة على أنها حاضنةٌ للإرهاب؛ ليجعل مِن ذلك مبرِّراً لإغلاقها، وليُرضِيَ أسياده في العالم في تنفير أبناء المسلمين أنْ يقصِدوها للعلم والمعرفة عائدِين إلى بلادهم دُعاةً وعلماء، وهذا ما شاهدناه ونشاهده في أندونيسيا وماليزيا وأفريقيا وتركيا وألبانيا وكوسوفو وأوروبا من شبابٍ درَسوا في المعاهد الشرعيَّة في سورية؛ ليعودوا إلى بلادهم يُحِبُّون الشام وعلماء الشام أكثر من حُبِّ أهل الشام لها.

لقد أراد النظام قبل الثورة بشهورٍ أن يشوِّه صورة هذه المعاهد على أنها تُخَرِّج

إرهابيِّين، ففي السابع عشر من أيلول من عام ٢٠٠٨ حصل تفجيرٌ عند فرع الدَّوريَّات في منطقة القَزَّاز، فاستثمر النِّظام هذا الحدث، وقام بما هو أشبه بتمثيليَّةٍ ساذجةٍ، حيث ألقى القبض على بعض طلاب العلم من معهد الفتح الإسلاميِّ، وحقَّق معهم في أحد فروع الأمن، وقام النظام بنشر هذا التحقيق على شاشة التلفزيون السُّوريِّ، وقد شاهد الشعب السوريُّ هذه المسرحيَّة وما جرى من الحوار بين الإرهابيِّ المزعوم وعنصر الأمن المحقِّق، واتَّضح لدى كلِّ مشاهدٍ أنها تركيبةٌ، ويا ليتها كانت ناجحةً، بل كانت فاسدةً بكلِّ المقاييس!



صور المتهمين بتفجير القزاز الذين عرضهم التلفزيون السوري و أشار الى أنهم من خريجي معهد الفتح الإسلامي

وجاء يوم الجمعة لأقيمَ النَّكيرَ على النظام وما يحيكه مِن مكرٍ لهذه المؤسَّسات والمعاهد الشرعيَّة في تعليمها وتربيتها، فتكلمتُ ما شاء الله أن أتكلَّم على منبر جامع

زيدٍ، وفي صباح يوم السبت اتَّصل بي اللواء رستم غزاله، وقال: إمَّا أنْ تأتِيَني أو آتيكَ، قلتُ: بل آتيك.

وذهبتُ واستقبلني أحسن استقبال، غيرَ أنني بادرتُه بانفعالي، وأظهرتُ له انزعاجي الكبير، وقلتُ: والله ما وجدتُ أحمقَ مِن مُخرِج المسرحية التي شاهدها شعبُ سورية على الفضائيَّة بالأمس، وما أظنُّ أنَّ التحقيق جرى عندكَ بالفرع، قال: بالفعل، وأصدُقُك أنه لم يتمَّ عندي بل في فرعٍ آخر، ثم قلتُ له: ثِقْ تماماً أن هؤلاء المتَّهمين بالإرهاب ليس منهم واحدٌ من طلابي، أو يدرس في معهدٍ من معاهدنا، بل هو في معهد الفتح الإسلاميِّ الذي أسَّسه فضيلة الشيخ صالح الفرفور رحمه الله، وليس الشيخ عبد الكريم الرفاعي، لكنني مطالَبٌ أن أدافع عن المظلومِ أيّاً كان المظلوم، فكيف إن كان يتَّصل بعلماء وطلاب العلم في هذا البلد.

إنني أريد أن أقول بأنَّ معاهدنا لا تعرف الإرهاب ولا الانحراف عمَّا رسمه شيوخُنا من العلم والتعليم والتربية والتزكية على منهج النبوَّة، وما عَرف طلابُ العلم في سورية إلا الصَّفاء والنَّقاء وحُبَّ الخير للناس « مؤمنهم و كافرهم »، والرحمة لكلِّ عباد الله في توجيههم إلى التَّخلُّق بالأخلاق القويمة.

ثم قلتُ للواء رستم: إنكم اليوم تتَّهمون بعض طلاب معهد الفتح الإسلاميِّ، وغداً تتَّهمون معهد الأنصار، وبعدها معهد الفرقان وطلابَ جامعِ زيد، فالإعلام بيدكم، ولا نستطيع أن ندافع عن أنفسنا، لذلك بادرتُ على منبر جامع زيدٍ بتكذيب هذه الفِرْية، وكشف هذا الزَّيْف قبل أن يَطال هذا المكرُ كلَّ المعاهد الشرعيَّة والمؤسَّسات التعليمية، فما كان من رستم غزالة إلا أن تبرَّأ من هذه الاتِّهامات، وقال: إنَّ فرعه لا علاقة له بالتَّحقيقات التي ظهرت بالفضائية السورية، بل كانت في فروعٍ أخرى.

إنَّ شيوخ معهد الفتح الإسلاميِّ ليذكرون يومَ احتفالهم بذكرى المولد النبوي عام ١٤٣٣هـ بعد مسرحيَّة الاتِّهام لبعض طلاب المعهد بالإرهاب عندما حضرتُ، وكان الدكتور البوطيُّ يتكلَّم عمَّا تمتاز به بلدنا من «أمنٍ قويٍّ يشملُ كلَّ الأوساط العلمية والاقتصادية والاجتماعية»، ولمَّا انتهى من كلمته أراد الانصراف وكان بصحبته وزيرُ الأوقاف، فأشار إليه الوزير بأننا نريد أن نسمع كلمة الشيخ سارية، وطلب الوزير من المقدِّم أن يقدِّمني مباشرة، فقمتُ وقلتُ: لقد استمعنا إلى فضيلة الدكتور عما تميَّزت به بلادنا من الأمن والأمان، لكنني أقول: يوم أن تميَّزت بلادنا بهذه المعاهد الشرعيَّة، تميَّزت بالأمن والأمان؛ لأنَّ هذه المعاهد هي الركيزة الأمنيَّة لبلادنا، كونها تخرِّج طلاب علمٍ أمناءَ على هذا الدِّين والوطن.

الصِّنف الأوَّل من العلماء:

علماء هذا الصِّنف هم الذين أيَّدوا مطالب المتظاهرين في نيل الحرية والكرامة، والقضاء على الفساد والظُّلْم، وليس بالضرورة أن يُشجِّع هؤلاء العلماء خروج المتظاهرين خوفاً عليهم من القتل، وقد شرَّفني الله أن أكون واحداً منهم، حيث تكلَّمتُ على المنبر عن الظُّلْم والفساد في آخر الشهر الأوَّل من عام ٢٠١١م، وتكلَّمتُ عن الإساءة للدِّين في البلد، وعن منع الصلاة في المؤسَّسات العسكريَّة، وعن سبِّ الدِّين والرَّبِّ في الجيش، وتكلَّمتُ الكثير الكثير، والخطبة موجودة على اليوتيوب، و إذْ بالأجهزة الأمنيَّة كلِّها تستنفر، وبدأتِ الاتصالات والمساءلات: ما الذي تفعله يا شيخ سارية؟!! واتَّصل بي وزير الأوقاف يُخاطبني في نبرةٍ لم أعهدها منه مُعاتباً لي بحِدَّةٍ واستياء: ماذا تكلَّمت اليوم على المنبر يا شيخ سارية؟ قلتُ: لا عليكَ، أَصْدِرْ قراراً بإيقافي عن الخطبة، قال: لا أستطيع، قلتُ: وأنا كذلك لا أستطيع أن أسكُتَ بعد الآن ما دام أنَّ أصحاب القرار لا يُصغُونَ إلى مطالبنا، ولا يسمعون نداءنا، ولا حياة لمن تنادي منهم، وانتهت المكالمة

معه على هذه الوتيرة من الغضب، وبعد يومين اتَّصل ثانيةً، وقال: إنَّ لقاءً مع الرئيس سيكون يوم الثلاثاء مع السادة العلماء، قلتُ: خيراً، وفي اللِّقاء توجَّه إليَّ الرئيسُ قائلاً: يا شيخ سارية: إنَّ خُطبتكَ كانت تحريضيَّةً! قلتُ: هذا اجتهادُكَ واجتهادُ أجهزة الأمن عندكَ، أما اجتهادي فهو أنَّ الحديث عن الفساد في الغُرَف المغلقة مع المسؤولين لم يُحرِّكْ ساكناً، فرأيتُ أنْ أتكلَّم على المنبر، لعلَّ المسؤولين والمخرِّبين يشعرون بالخطر.

وهكذا كان دور المشايخ الذين آثروا الكلام على الصَّمت، لم يكن كلامهم تهييجاً للمشاعر وإثارةً للجماهير، بل كان الغرض من ذلك القيامَ بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للحاكم والمحكوم على حدٍّ سواء.

إذ ليس من الإنصاف أن نُسكِت صوت المظلوم الذي يُطالب بالحُرِّيَّة والكرامة، وفي الوقت نفسه نَسكُت عن ظلم الظالم فيما وصلَتْ إليه البلاد من الفساد على كل صعيد، وإذا كان الحال كذلك أصابت الجميع اللعنة...

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ *كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

شيخ القرّاء يتصدّر الموقف:

سمعتُ مرةً من شيخنا الشيخ محمَّد كريِّم راجح يقول: لقد علمتُ أنَّ الشيخ أسامة والشيخ سارية يتكلَّمان على المنبر عما وصلَتْ إليه البلاد من ظُلْمٍ وفسادٍ، وإنني والله لن أدعهما وحدهما في الميدان، وانبرى الشيخ على منبر جامع الحسن متكلِّماً، وأرسل إليه الرئيس يودُّ اللِّقاء معه ليقول له: بماذا تأمُرُني أيها الشيخ؟ قال: آمرُكَ أن تقود الثورة، وأن تحضر صلاة الجمعة، وأن تشارك المتظاهرين؛ لأنك أعرف الناس بما حلَّ بالبلاد.



فضيلة الشيخ محمد كريّم راجح، شيخ قرّاء الشام

وهكذا تجد مجموعةً من المشايخ آلَتْ على نفْسِها أن تتكلَّم كلمة الحقِّ ليقوم التوازن بين إيقاف الشباب الثائر خوفاً عليهم من القتل في المظاهرات، وبين إيقاف المدِّ الإجراميِّ على يد الأجهزة الأمنيَّة التي أصابت الناس بالذعر والخوف، ونهب الأموال والممتلكات، وفرض الأتاوات على بعض التجار ليقوموا بحمايتهم من عناصر الأمن الذين أطلقت أيديهم على بيوت الآمنين.

البيانات التي هزت أركان الدولة:

ولما كثر الهرج والمرج اضطرت هذه الفئة من العلماء إلى إصدار بياناتٍ تُعلن أن صوت الحقِّ لا بدَّ أن يعلو، فصدَرَ بيان يدعو العلماءُ فيه الجنودَ للتمرُّد على أوامر قادتهم وضباطهم بإطلاق النار على المدنيين، وقَّعَ عليه كلٌّ من: الشيخ كريِّم راجح - الشيخ

أسامة الرفاعي - الشيخ سارية الرفاعي - الدكتور محمد راتب النابلسي - الشيخ هشام البرهاني - الشيخ معاذ الخطيب، وعدد من الخطباء في مساجد دمشق.



جامع الحسن في حي الميدان الدمشقي

وفي اليوم التالي لإصدار البيان اتَّصل بي المسؤول الأمني في القصر الجمهوري العقيد حسام سكر، وقال: بين يديَّ بيانٌ، هل هو مُزَوَّرٌ على لسانكم أم أنتم من ورائه؟ قلتُ له: أنا المسؤول عن كلِّ كلمةٍ فيه، ثم قلتُ: وهل لديكَ من إشكالٍ؟ قال: لا، بلْ أودُّ أنْ أتعرَّف على حقيقة توقيعاتكم عليه، قلتُ: وهل تعترض عليه؟ قال: طبعاً؛ لأنكم تَدْعُون جنود الجيش للانشقاق، قلتُ: لا أبداً، بل ندعوهم إلى التمرُّد على أوامر قادتهم بإطلاق الرصاص على الآمنين، قال: نحن لا نطلق الرصاص على الآمنين، بل على العصابات المسلَّحة، فقلتُ: كفاكم كذباً على أنفسكم وعلى أمَّتكم بوجود عصابات، والحقيقة أنه لا عصابات سوى الأجهزة الأمنيَّة.

وبعد عدَّة أشهرٍ اجتمعتُ والشيخ أسامة عند الشيخ محمد كريِّم راجح، وأصدَرْنا بياناً آخر تضمَّن تحميل مسؤوليَّة الانفلات الأمنيِّ، وسفك الدماء والقتل للأجهزة الأمنيَّة، وفي اليوم التالي علِم السَّادةُ العلماء في دمشق أنَّ بياناً سيصدرُ، فدعا الشيخ عبد الفتاح البِزْم العلماءَ جميعاً للاجتماع عنده في بيته، فالتقينا عنده وقد حضر اللقاء الدكتور سعيد رمضان البوطي -رحمه الله-، وقد أحضر في جيبه بياناً ليكون بديلاً عن البيان الذي كاد أن يصدر لولا اللقاء في منزل الشيخ البزم.

ورأينا أن نُضمِّن البيانَ جزءاً من بيان الدكتور البوطي، فوضعنا مقدِّمته وخاتمتَه وأبقينا على المضمون، وما إن وصلتُ إلى بيتي إلا واتَّصل اللواء علي مملوك قائلاً: إنَّ البيان الذي اتَّفقتم عليه مُثيرٌ لغضب الدولة، قلتُ: ولماذا؟ قال: إن الأجهزة الأمنيَّة لا تتحمَّل مسؤوليَّة القتل والدماء، قلتُ: إذن من يتحمَّلها؟ غرفة التجارة؟! الدولة هي المسؤولة عن الأمن وعن الفوضى، وبعد نصف ساعةٍ اتَّصل بي اللواء هشام إختيار يقول: إن البيان وصل إلى إدلب والمحافظات وأنتَ المسؤول عن ذلك، قلتُ: أتُهدِّدني؟ افعل ما بدا لكَ، وأنا المسؤول عن كلِّ كلمةٍ في البيان.

وانتشر البيان وأُذِيع في الفضائيات كالعربية والجزيرة، وعلِم الناس في داخل البلاد وخارجها أنَّ العلماء يتكلَّمون الحقَّ ولو كان الثمن أرواحهم.

بقِي المشايخ المعترِضون على ظُلْم الدولة وعلى قتلها للمتظاهرين يخطُبون على منابرهم لا يتجرَّأُ وزير الأوقاف أن يُقيلَهم، مع أنه أقال من وظيفة الخطابة كلَّ الخطباء سوى الخمسة وهم: الشيخ كريِّم راجح، والشيخ أسامة الرفاعي، والشيخ سارية، والدكتور راتب النابلسي، والشيخ هشام البرهاني، وأما الآخرون ممن وقَّعوا على البيان الصادر عن علماء دمشق وممن جهَرَ على منبره بالحقِّ فقد عُزل عن الخطابة، وعددهم خمسون خطيباً، وفيما يلي نصُّ البيانين:

بيان علماء الشام:

انطلاقاً من حرص كلِّ غَيورٍ على استقرار الأمن ووحدة الأُمَّة:

فإنَّنا -علماءَ الشام- نشجب ونستنكر استخدام العنف المفرط في حماة وسائر المحافظات السورية، والذي أسفر عن سفك دماء مئاتٍ من أبناء الشعب السوري، وكأنما هو احتفاءٌ بقدوم شهر رمضان المبارك شهر المواساة والتراحم، ونحن بدورنا نبرأُ إلى الله من كلِّ قتلٍ، ونُحمِّل القيادة السورية المسؤوليَّة الكاملة، ونعتبر هذا العمل الآثم أكبر تحريضٍ للفوضى في أنحاء الوطن، مؤكِّدين على ضرورة تطبيق ما صدر من مراسيم وقوانين وقراراتٍ، وخاصةً فيما يتعلَّق بإطلاق سراح جميع معتقلي الرأي دون تأخيرٍ..

والله وليُّ التوفيق...

الموقِّعون:

شيخ القراء محمد كريِّم راجح	الشيخ أسامة الرفاعي
الشيخ سارية الرفاعي	الشيخ عدنان السقَّا
الشيخ محمد هشام البرهاني	الشيخ الدكتور راتب النابلسي
الشيخ جودت سعيد	الشيخ أحمد معاذ الخطيب
الشيخ خالد طفور	الشيخ محمد راشد
الشيخ محمد فائز عوض	الشيخ محمد خير سريول

الشيخ خالد كوكي... وغيرهم

دمشق ١ رمضان ١٤٣٢ هجرية

الموافق ١ آب ٢٠١١ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة من (علماء الشام)

انطلاقاً من حرص كل غيور على استقرار الامن ووحدة الامة ، فإننا - علماء الشام - نشجُبُ ونستنكر استخدام العنف المُفرط في حماة وسائر المحافظات السورية و الذي أسفر عن سفك دماء مئاتٍ من أبناء الشعب السوري ، و كأنما هو احتفاء بقدوم شهر رمضان المبارك شهرِ المواساة والتراحم و العطفَ .

ونحن بدورنا نبرأ إلى الله من كُلّ قتلٍ ، ونُحمّل القيادة السورية المسؤوليةَ الكاملة ، ونعتبر هذا العمل الأثيم أكبرَ تحريضٍ للفوضى في أنحاء الوطن .
مؤكدين على ضرورة تطبيق ما صَدَرَ من مراسيم وقوانين وقرارات ، و خاصةً فيما يتعلّق بإطلاق سراح جميع معتقلي الرأي دون تأخير .. والله ولي التوفيق .



دمشق ١/ رمضان /١٤٣٢هـ
الموافق ١ / آب / ٢٠١١ م

كريم راجح

الشيخ جودت سعيد

أحمد معاذ الخطيب

بيان علماء الشام لإدانة العنف في حماة وسائر المحافظات السورية - آب ٢٠١١

على إثْر ذلك، استُدعي إلى فرع أمن الدولة كلُّ من وقَّع على هذا البيان، غير أنَّني اعتذرتُ لمرضي، فجاء إليَّ كلُّ من استُدعي إلى الأمن للتحقيق، وقالوا: بماذا نُجيبهم إن سُئلنا عن مَن كتب البيان، فقلتُ لهم: قولوا: إن الذي كتبه وأرسله إلينا سارية الرفاعي، وهو الآن في بيته، وبعد ذهابهم وأنا ألتجئُ إلى الله أن يحفظهم من كيدهم، وإذ بالباب يُطرَق، فقال الأهل: إنهم الأمن، وفتحوا الباب وإذ بالأمن يُقدِّمون باقةً من الورد ما شهدتُ مثلها، قالت لهم زوجتي: مَن المرسِل؟ فقالوا: اللواء علي مملوك، ويتمنَّى للشيخ تمام الشِّفاء وذهبوا، قالت لي: انظر ماذا أرسل رئيس المخابرات، لكنني والله والله لن أُدخلَه بيتنا ولن نشمَّ رائحته، وتركته خارج البيت، وعاد الإخوة المشايخ ليُطَمْئِنوني بأنَّ اللِّقاء كان وُدِّيّاً، ولم يصدر عنهم أيُّ إزعاجٍ.

قلتُ: سبحان من وضع المهابة في قلوبهم، وتذكَّرتُ حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «نُصِرْتُ بالرُّعْب»(1)، وهو من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم، لكننا وجدناه يَسْري ليكون من خصائص هذه الأمَّة الملتزمة بمنهجه صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنَّ عدوَّنا عندما يرى أننا نُصدِرُ البيان، ولا نخشى في الله لومة لائمٍ، نجده يسعى لإرضائنا بشتَّى الوسائل ليُثْنِينا عن الصَّدع بالحقِّ، وفي الحديث: «مَنِ التمسَ رضا الله بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عنْهُ وأَرْضَى الناس عنه، ومَنِ التمسَ رضا النَّاسِ بسخطِ الله؛ سَخِطَ اللهُ عليْه وأَسْخَطَ علَيْهِ النَّاسَ»(2).

وفي أواخر عام ٢٠١١م أرسل اللواء هشام اختيار رئيس مكتب الأمن القومي إلينا نحن الخطباء الخمسة ينصحُنا باعتزال الخطابةِ، فاعتزلنا وبقينا في بيوتنا ثلاثة أشهرٍ،

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٣٣٥) من حديث جابر، ومسلم (٤٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٧٦) بإسنادٍ حسنٍ.

وفي الشهر الثالث من ٢٠١٢م جاءنا تهديدٌ غير مباشرٍ من أجهزة الأمن القوميِّ بأنَّ المعلومات الاستخباراتيَّة لديهم تُفيد بأنَّ العصابات المسلَّحة قد تطولنا بالقتل، فخرجنا من البلد، والله يعلم أننا لا نخاف الموت أو القتل، فالأَجَلُ مُقدَّرٌ، ولكن وجدنا أنفسنا حبيسي البيوت، لا نقدِّم شيئاً للأمة، فخرجنا لنقوم بالواجب تجاه الضُّعفاء الذين هُجِّروا من ديارهم وأموالهم، راجِين ربنا أن يُلْهِمَنا الصواب.

صِنْف الصامتين والمعتزِلين:

كما أنَّني لا ألوم الصامتين والمعتزلين، ولا أتَّهمهم بالتخاذل -كما يتَّهمهم عامة الناس عبر الفيسبوك-، وقد نسَّقتُ مع عددٍ من شبابنا للدِّفاع عن المشايخ، وخاصَّةً الدكتور البوطي الذي توجَّهَتْ إليه ألسنةٌ حِدادٌ بالسبِّ والشتم، وهذا ما لا ينبغي أن يكون عليه المسلم؛ لحديث النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم:

«لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيءِ»(١).

لكن الشاب الذي فقد أباه أو أخاه وهو في بيته لم يخرج في مظاهرةٍ، ولم يعترض على ظُلم أو جريمةٍ، بل كان في بيته ودخلت الأجهزة الأمنيَّة مُداهِمةً البيوتَ، فإذا وجدت شاباً اعتقلته أو قتلته، فإن أمثال هؤلاء الشباب يصعب علينا -نحن العلماء- ضبط ألفاظهم وانتقاد مواقفهم بالتعبير.

وهذا ما حصل في عين ترما، حيث داهمت الأجهزة الأمنيَّة بيت ابن عمنا محمد الرفاعي، فأخرجوا الأب وأولاده الأربعة، وقد سألوهم عن قرابتهم للشيخ أسامة وسارية الرفاعي، فقالوا: أبناء عمنا، فاعتقلوهم ثم أعادوهم جُثثاً على مرأى من

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٣٨٣٩)، والترمذي (١٩٧٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث حسن.

أمهاتهم وأخواتهم!

وكان المشايخ المؤيِّدون يعتذرون عن استقبال أقرباء الشهداء والمعتقلين، ولعلَّ البعض من المشايخ إذا ما لقي أحدَ هؤلاء المصابين ممَّن هُتِكَ عِرْضُه أو اعتُقل لشهر أو شهرين يوبِّخه ويعنِّفه لأنه تظاهر، فيُقسم له بالله أنه اعتُقل وهو في بيته، فلذلك ترى بعض الشباب ينتقدون أمثال هؤلاء المشايخ عندما يسمعونهم في خطبهم، يُؤيِّدون ويُبرِّرون لرجال الأمن قتلهم.

ومع ذلك، فلقد خطبتُ في جامع زيد خطبةً حذَّرتُ فيها الشباب من النَّيل من رموز الأمَّة وعلمائها؛ لأن بقاء الحال من المحال، وهؤلاء علماء الأمة لهم اجتهاداتهم في هذه المحنة، لكنهم في نفس الوقت هم مَلاذ الأمة في أمور دينهم، لقد جاء هؤلاء الشباب الذين نُكِبوا في أهلهم وأنفسهم، فوجدوا أبواب هذا الصنف من العلماء مُوصدةً، فكان لهم ولأمثالهم موقفٌ من اللوم والعتب على هؤلاء العلماء، وخاصَّةً على من وصَم الشباب المظلومين بالجرائم، وأنَّ جباههم لا تعرف السجود.

رسالةٌ مفتوحةٌ من علماء الشام:

البيان الذي صدر يوم الأربعاء ٨ شباط ٢٠١٢م تحت عنوان: (معذرةً إلى ربكم ولعلهم يتقون):

بعد صمتٍ أُلجئنا إليه وتريُّثٍ وترقُّبٍ على أمل أن يكون القادم أفضل، وبعد سَعْيِنا وبكلِّ جهدنا لأجل حَقْنِ الدماء، وعدم تأزيم الأمور بالنصح والتوجيه، وجدنا أننا ما نزالُ نبتعد عن الحلِّ السَّديد باستمرار الحلِّ الأمنيِّ وتصعيده عسكريّاً، حتى غدَتْ معه سورية التي كانت مَوْئِل الأُمَّة العربية والإسلامية وملجأهما تحترق وتلتهمها نيران بعضٍ من أبنائها، وهي تمضي الآن إلى المجهول.

لذلك فإننا معشر علماء الشام، وأهل هذا الوطن السوري الحبيب، ومِن واقع مسؤوليَّتنا والأمانة التي حملناها نعلنُ ما يلي:

أولاً: نترحَّم على أرواح شهدائنا، ونُعزِّي أهلهم، وندعو الله أن يُلهمهم الصبر والسُّلوان، ونسأل الله تعالى الشفاء العاجل للجرحى والحريَّة للمعتقلين.

ثانياً: نبرأُ إلى الله تعالى من هذه الدِّماء التي تُهراق على أرض محافظاتنا السورية، ونُحذِّر من أثر ذلك على مستقبل الوطن ووحدته.

ثالثاً: نطالب جيشنا العربي السوري ضباطاً ومجندين بعدم المشاركة في القتل وقَصْف المدن والأحياء مهما كانت الأسباب والذرائع، فالقتل من أكبر الكبائر عند الله تعالى، ولا يحِلُّ في كلِّ الشرائع والقوانين، ولا يحِلُّ الأمر به أو الاستجابة لمن يأمر به، بل إنَّ مَنْ أعان على قتل امرئٍ مسلم ولو بشَطْرِ كلمة؛ لقيَ الله مكتوباً بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله.

رابعاً: نطالبُ بإتاحة المجال للإغاثة والإسعاف، ومَدِّ يدِ العون لمن يحتاج، وعدم عرقلة ذلك.

خامساً: ندعو أهل سورية جميعاً إلى وجوب التلاحم والتكاتف والتراحم وتقديم ما يستطيعونه من دواءٍ وغذاءٍ وكساءٍ وإيواءٍ لإخوانهم وأهلهم المتضرِّرين، دون أن يُحال بينهم وبين ذلك.

سادساً: نستنكر أيَّ فعلٍ يستهدف أيَّ شخصٍ على خلفيَّةٍ طائفيةٍ، وظننا بشعبنا العربي السوري ومن خلال تاريخنا المشرق في التعايش المشترك أنه لا يُساقُ إلى فتنةٍ أو حربٍ أهليَّةٍ.

وإلا فاليوم جيشٌ، وغداً بلا جيشٍ، واليوم حكمٌ، وغدا بلا حُكمٍ، غير أنَّ

سورية هي المنتصرة، والعاقبة للشعب ولهذا الوطن، ولينصرَنَّ اللهُ من ينصره، إنَّ الله قويٌّ عزيز..

الموقِّعون:

شيخ القراء الشيخ محمد كريِّم راجح الشيخ أسامة عبدالكريم الرفاعي

الشيخ سارية عبدالكريم الرفاعي الشيخ محمد هشام البرهاني

الشيخ الدكتور راتب نابلسي

دمشق الأربعاء ١٦ ربيع الأنور ١٤٣٣هـ

الموافق لـ ٨ شباط ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة مفتوحة من علماء الشام

معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون

بعد صمت أطلنا فيه، وتريث وترقب على أمل أن يكون القادم أفضل، وبعد سعينا وبكل جهدنا لأجل حقن الدماء وعدم تأزيم الأمور بالنصح والتوجيه، وجدنا أننا ما نزال نبتعد عن الحل السديد باستمرار الحل الأمني والتصعيد عسكرياً، حتى غدت معه سورية التي كانت موئل الأمة العربية والإسلامية وملجأها تحترق وتلتهمها نيران بعض من أبنائها وهي تمضي الآن إلى المجهول ..

لذلك، فإننا معشر علماء الشام وأهل هذا الوطن السوري الحبيب، ومن واقع مسؤوليتنا والأمانة التي حملناها .. نعلن ما يلي:

١- نترحم على أرواح شهدائنا ونعزي أهليهم وندعو الله أن يلهمهم الصبر والسلوان، ونسأل الله تعالى الشفاء العاجل للجرحى والحرية للمعتقلين.

٢- نبرأ إلى الله تعالى من هذه الدماء التي تراق على أرض محافظاتنا السورية، ونحذر من أثر ذلك على مستقبل الوطن ووحدته.

٣- نطالب جيشنا العربي السوري - ضباطاً ومجندين - بعدم المشاركة في القتل وقصف المدن والأحياء مهما كانت الأسباب والذرائع، فالقتل من أكبر الكبائر عند الله تعالى ولا يحل في كل الشرائع والقوانين، ولا يحل الأمر به أو الاستجابة لمن يأمر به بل إنه "من أعان على قتل امرئ مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله".

٤- نطالب بإتاحة المجال للإغاثة والإسعاف ومد يد العون لمن يحتاج، وعدم عرقلة ذلك.

٥- ندعو أهل سورية جميعاً إلى وجوب التلاحم والتكاتف والتراحم وتقديم ما يستطيعونه من دواء وغذاء وكساء وإيواء إلى إخوانهم وأهليهم المتضررين دون أن يحال بينهم وبين ذلك .

٦- نستنكر أي فعل يُستهدف به أي شخص على خلفية طائفية، وثقتنا بشعبنا العربي السوري ومن خلال تاريخنا المشرق في التعايش المشترك أنه لا يُساق إلى فتنة أو حرب أهلية.

وإلا .. فاليوم جيشٌ وغداً لا جيش .. واليوم حكم وغداً لا حكم .. غير أن سورية هي المتضررة، والعاقبة للشعب ولهذا الوطن .. ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز ..

دمشق في ١٦ ربيع الأنور ١٤٣٣هـ الموافق له ٨ شباط ٢٠١٢م

رسالة مفتوحة من علماء الشام - شباط ٢٠١٢

العلاقة بيننا وبين العلماء المؤيِّدين للنِّظام:

المؤيِّد للنظام: هو الذي يتقرَّب إلى صاحب النُّفوذ من وزيرٍ أو ضابط أمنٍ أو مسؤولٍ كبيرٍ، إلى أن تكون العلاقة مع رئيس الدولة، وكلٌّ حسب مرتبته لدى النظام.

والعلماء صلتهم بدايةً مع وزير الأوقاف الذي يُعطيهم ويمنحهم مناصب دينيَّةً، أو يمنح جماعتهم وطلابهم وأبناءهم تلكم المناصب، وهو الذي يصلهم بأعلى سلطةٍ في الدولة.

فالعلماء الذين يتطلَّعون إلى المناصب العالية والمراكز السَّامية من إدارات الأوقاف والتوجيه والإفتاء والمعاهد الشرعيَّة الثانويَّة والتخصصيَّة يتودَّدون ويتزلَّفون، ولو على حساب كرامتِهم، وعلى حساب دينهم بالخطاب الدِّينيِّ، والتَّملُّقِ والثناء على الظالم من أجل الوصول إلى أهدافهم وغاياتهم ومصالحهم الشخصيَّة، أو من أجل الحفاظ على مؤسَّساتهم العلميَّة.

لذلك نرى الذين يسعون لهذا الهدف ينظُرون إلى بعضهم نَظْرةَ الحسدِ والحقد؛ لأنَّ أحدهم يريد أن يكون هو الأقربَ للسلطة.

كانت العلاقة بيننا وبين المؤيِّدين للنِّظام من المشايخ علاقةَ احترامٍ وحبٍ وتعاونٍ، والكلُّ يعلم ذلك، وكنتُ إذا مَسَّ النظامُ أيَّ معهدٍ من المعاهد الشرعيَّة باتِّهامٍ أو افتراءٍ كنتُ أوَّلَ من يتصدَّى للدِّفاع عنه.

وربما يذكر رموز وطلاب معهد الفتح الإسلاميِّ أنَّ النِّظام عندما اتَّهم معهدهم أنه يُخرِّجُ إرهابيين، وافتعل حواراً بين طالبٍ من طلابه وبين المحقِّقين في فرعٍ من فروعِ المخابرات، وكان التحقيق على التلفزيون السوري، وكان هذا قبل الثورة بأشهرٍ،

حيث إن النِّظام لا يألو جهداً باتِّهام المعاهد الشرعية على أنَّها مصدر للإرهاب، وقد مرَّ التفصيل لهذا الحدث سابقًا.

العلاقة فيما بين العلماء المؤيِّدين:

كانت العلاقة بين العلماء المؤيِّدين القريبين من السلطة فيما بينهم علاقةَ تنافسٍ بالتقرُّب إلى رئيس الدولة وأعوانه من المسؤولين الكبار، بدءاً بالوزير، وانتهاءً برئيس السلطة، وكأنه يقول للوزير: ﴿اُذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

وكانت صلة هؤلاء ببعضهم صِلةَ نفاقٍ، يُظهرون لبعضهم الوُدَّ والحُبَّ، ويبطنون البُغْض والعداوة والكراهية، ولعلَّ الكثير من العلماء وطلاب العلم يشهدون كلام هؤلاء المتنافِسين على بعضهم، كما يشهدون النِّفاق والمجاملة عند اللقاء، يتكلَّم الواحد منهم بحقِّ الآخر ما يُخرِجُه عن دينه وأخلاقه.

لقد كان الدكتور البوطي -رحمه الله- لا يُطيق أن يسمع باسم المفتي العام، ويتكلَّمُ في حقِّه كلاماً يكاد يُخرِجه عن الملَّة، كما كان بينه وبين رموز المعاهد الشرعية وشيوخها من البغض والكراهية والاتِّهام ما يَعْلَمُه كلُّ مَن له صلةٌ معهم.

ولقد شهدتُ لقاءً في مكتب وزير الأوقاف بين الدكتور البوطي وبين أحد هؤلاء الشيوخ يتَّهمُه الدكتور بالاختلاس، لكن ذلك الشيخ كان متأدِّباً مع الدكتور إلى أن تجاوز الدكتور الحدَّ، فانبرى له ذلك الشيخ بقوله: أنت تتَّهمني، وغداً سأقف وإياك يوم الحساب، فأعدَّ لملك الملوك جواباً!

ولدى صلتي بالجميع ومعرفتي بهم جميعاً أقول: ما رأيتُ مُتنافسين على التقرُّب من السلطة والنِّظام وفيهم المحبُّ للآخر أو المقدِّرُ له، إلا إذا اقتضى الأمر أن يحترمه ويجلَّه إذا كان هذا الاحترام يزيده تقرباً من السلطة.



الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على منبر جامع الإيمان بدمشق

لقد رأيتُ معظم المتنافِسين يحترمون الدكتور البوطيَّ؛ لأنَّ النظام أراد أن يجعل من البوطيَّ شيخاً للجميع، ورئيساً لاتِّحاد العلماء في سورية، ولا يخفى على أحدٍ أن الدكتور سعيد -رحمه الله- كان شخصيَّةً عِلْمِيَّةً عالميَّةً، أدرك النظام ذلك، كما أدرك أنه يستطيع أن يستمِيله ليكون في طرفه مُؤيِّداً لتصرُّفاته بمكرٍ ودهاءٍ، حتى أنَّ الوزير عندما كان يستقبل الدكتور ينحني ليقبِّل يده، ويرسل سائقه بسيارة الوزارة ليأتي بالشيخ، وهذا من جملة المَكْرِ الذي استمال قلب الدكتور ليظنَّ أنه أصبح شيخ الإسلام في سورية، وينبغي على المفتي العام أن يكون مريداً بين يديه، وأن يكون جميع العلماء تَبَعاً لرأيه.

ولا أقولُ هذا لأنني لا أعتقد بعِلْم الشيخ وفقهه، بل لأنني أعتقد أنه -كغيره من العلماء في الدنيا- يخطئ ويصيب، وكلُّ ابن آدم خطَّاء، ولا معصوم من البشر إلا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، إلا إذا التزم البعض برأي الشيعة الذين يعتقدون بأئمتهم أنهم معصومون، وبالتالي يُقدِّسونهم تقديس الأنبياء، فنحن لسنا من هؤلاء،

بل أقسمتُ مرةً: لو أنني رأيتُ خطأً أو مخالفةً على والدي الشيخ عبدالكريم؛ لقلتُ له: أخطأتَ!

وأعتقد أنَّ أولاد الدكتور سعيد يعرفون محبَّتي لوالدهم، لكن هذه المحبَّة لا تحول بيني وبين قولي الحق، ولعلَّ بعض أولاده وأحفاده جاء إليَّ وقال: ماذا نفعل ونحن نرى والدنا في هذا الحال من الخطأ الجسيم؟ فقلتُ: قولوها بصراحةٍ لوالدكم: سيدي أنت مخطئٌ، فقال: ألا تعلم نزَقَ والدي وشدَّة غضبه، وذكر لي عن شابٍّ تركيٍّ صباح يوم العيد قال له: يا سيدي، ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]؟! فما كان منه إلا أن قام وضربه وأخرجه من البيت، فقلتُ له: إذن أكثِرْ له من الدعاء.

لكنَّ المصيبة عند بعض الشباب المسلم في بلاد المسلمين إعطاء الولاء لشيخه أو جماعته، وكأنَّ كلامَه وحيٌ من الله تعالى لا تجوز مخالفته، ولطالما خاطبتُ إخواني والطلاب عندنا بقولي: والله إني لأسألكم أمام الله إن وجدتموني على خطأٍ، ولم تُرشدوني إلى الحق، لذلك كثيراً ما أجِد أولادي أو طلابي يعترضون على بعض تصرُّفاتي، فأقول: واللهِ إنكم على حقٍّ.

والذي أرجوه من أبناء المشايخ الذين أعطَوا ولاءهم للنِّظام أن لا يعتِبوا عليَّ فيما أقوله الآن، وكلهم يعرِفون محبَّتي لآبائهم ومشايخهم، رحم الله من مات منهم، وبارك في حياة الباقين وغفر لهم، وما بيَّنتُ هذا البيان إلا مِن باب: (مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ).

علاقتُنا مع الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي:

كان لنا مع الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي لقاءٌ دوريٌّ يحضره عددٌ من العلماء الذين يرضى الدكتور أن يكونوا دون غيرهم ضمن هذا اللقاء، والذي كان يُعقد في

أغلب الأحيان في منزل الشيخ أسامة، وذلك للتَّشاور في الأمور العامَّة.

لذا فإنَّ علاقتنا مع الدكتور كانت مبنيَّةً على الحبّ والودّ والتقدير، مع اختلاف الرّأي في بعض القضايا.

استمرَّ اللقاء الدوريُّ ما يقرُب من سنتين، وعندما بدأت الثورة ذهب إليه المنسّق ليؤكّد الموعد فاعتذر، فقال له: ولِمَ يا سيدي؟ قال: سمعتُ بأنَّ الشيخ سارية ملاحقٌ، ولما جاءني الخبر تألَّمتُ كثيراً من جوابه، ويا ليته اعتذر دون أن يُبيِّن السبب؛ لأنَّ كلامه يعني: أنني لو وقعتُ في يد رجال الأمن؛ فإنَّه يُسلِّمني إليهم دون أن يتدخَّل، فتوقَّف اللِّقاء وتوقَّفنا عن زيارته حتى لا نُحرجه، وأخذ هو في خطِّه الموالي للنِّظام، حيث كان يُصدِّقهم في كلِّ ما يقولون، والعالَمَ كلُّه يشهد على كذبهم، ولطالما تكلَّمتُ عن كذبهم وافترائهم في خطبة الجمعة.

فأستطيع أن أقول: إنَّ الدكتور البوطي -رحمه الله تعالى- كان طيِّبَ القلب يُصدِّق كلَّ ما يسمع من الرئيس أو من ضباط الأمن، ويقول: جاءني من مصدرٍ موثوقٍ. يعني بذلك الأجهزة الأمنية!

لذلك فإنني أعتقد أن الشيخ -رحمه الله تعالى- كان يتكلَّم ويؤيِّد النِّظام بكلِّ ما يقوم به من قتلٍ بناءً على قناعتِه بصِدْقِهم، وبأنَّ الخروج على الحاكم غير جائزٍ؛ لحديث: «وإنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وأُخِذَ مالُكَ»[1]، يعني: عليك أن تطيع الأمير ولو كان ظالماً.

وعندما نقف على أحاديث تحثُّ على الدِّفاع عن المال، وأنَّه «من قُتل دون ماله فهو شهيد»[2]، فماذا نستطيع أن نقول لمن يُهتك عرضُه ويُسلَبُ ماله، وجاء يسألُنا، أفنُغلق

(١) رواه مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري (٢٤٨٠) ومسلم (١٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الباب دونه أم بماذا نُجيبه؟ هل نقول له: عليك الصبر ولو هُتِك عرضُك وسُلِب مالُكَ، أم عليك بالدِّفاع عن عِرْضِكَ ومالكَ أمام هذا الصائل المعتدي؟!

أمَا قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤١ - ٤٢].

وعلى صحَّة الحديث، فإن المظاهرات المطالبة بالحقوق ليست خروجاً على الحاكم، فالخروج عليه كما قال الفقهاء: هو بالسِّلاح، وهؤلاء خرجوا ولم يحمِلوا عصاً ولا حجَراً، ومع ذلك فإن الشيخ -رحمه الله تعالى- كان يرى أن هذه المظاهراتِ حرامٌ؛ لأنها عُرضةٌ للقتل أو الأذى، فكان يُهاجم كلَّ مَن يخرج، ويتَّهمه اتِّهاماتٍ كثيرةً وردت في خطبه.

هذا الذي كان عليه العلماء الذين وجدوا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للحاكم والمحكوم على حدٍّ سواءٍ، مع أننا نجد للعلماء الصامتين المعتزلين عذراً، أما المؤيِّدين للنِّظام؛ فعلام يؤيِّدون ولدى الكثير منهم من النَّقد ما لدينا وأكثر؟! والدكتور البوطي يَعْلَم الكثير والكثير عن إجرامهم وظلمِهم، لكنَّ الغريب أن يُثْنِيَ عليهم وأن يؤيِّدهم فيما يقومون به من قتلٍ وتعذيبٍ لأبنائنا وشبابنا الذين يرتادون المساجد، ومع ذلك يقول عنهم: إنَّ جِباهَهم لا تعرف السجود، رغم أنَّه قال في صفحته إجابةً على الجندي السائل عن توجيه الأوامرِ له بالقتل: إياك أن تقتل.

والكلُّ يعلم أن مُعظم المظاهرات كانت تنطلقُ من المساجد عقِبَ صلاة الجمعة دون تحريضٍ من الخطباء، لا بالعكس، كانوا يُحذِّرونهم من التظاهر خوفاً عليهم، وإنَّ خُطَب هؤلاء وأنا واحدٌ منهم مسجَّلةٌ - وبعضها على اليوتيوب - كنَّا نحذِّر الشباب

من التظاهر، لا سيَّما ونحن نسمع عن القتل والاعتقال.



من تشييع شهداء سقطوا أثناء التظاهرات السلمية في مدينة حمص - حزيران ٢٠١١

ماذا قلتُ عن المؤامرةِ الكونيَّة

كان الشيخ البوطيُّ- رحمه الله- يعتقد أن مؤامرةً كونيَّةً على بلدنا تريد النَّيل من استقرارنا وأمننا، ويعتقد أن المراد إنما هو تقسيم البلاد، ولم يأتِ الدكتور -رحمه الله-

بجديد، وإن لي خطبةً بتاريخ ٢٧/ ٥/ ٢٠١١م على اليوتيوب تحت عنوان: (رسالة للأمن والمتظاهرين)، تكلَّمتُ فيها بما تكلَّم به الدكتور البوطي عن المؤامرة الكونيَّة على بلادنا، وما أظنُّ عاقلاً -يرى حقد أعدائنا- يشكُّ في المؤامرات الخارجيَّة على بلادنا، ولقد تحدَّثتُ عن هذه المؤامرات، ولكنني في الوقت نفسه كنتُ أقول: إنَّ تصرُّفات المسؤولين في بلدنا وإجرامَ الأجهزة الأمنية جزءٌ من هذه المؤامرات.

وكنتُ أتلطَّفُ مع عناصر الأمن وأقول: أنتم إخواننا، فلا تسيؤوا إلى أبناء بلدكم في المعتقلات، فإن المعتقَل إذا خرج فسيكون بعد تعذيبه أشرسَ مما كان عليه حِقْداً على النظام وانتقاماً منه، وكلما قُتل شابٌّ، فإن مائة شابٍّ يخلِّفونه ثأراً له.

وإنني أتمنى من القارئ أن يستمع إلى خُطبي وخُطب أخي الشيخ أسامة المسجَّلة ليرى ويعلم: أنَّنا ما كنّا نريد في خطبنا إثارةً أو تهييجاً، وإنما أردنا النصح للحاكم والمحكوم، وهذا هو واجب العلماء.

سبَبُ خروج المظاهرات من المساجد:

لقد كانت انطلاقة المظاهرات من المساجد؛ وذلك لأنَّ الشباب الملتزم الذي يرتاد المساجد يُعاني في بلده من الإقصاء في المؤسَّسات والدوائر المدنيَّة والعسكريَّة، وذلك لأنه ملتزمٌ بصلاته، ولعله في المؤسسة العسكرية يُعاني من الضرب والتعذيب والقسوة في التدريب، وهذا ما حذَّرتُ الدولةَ منه في أوَّل خطبةٍ قبل الأحداث، بيَّنْتُ فيها أن الشعب مُحتقِنٌ لمنع الشباب من الصلاة في الجيش.



من مظاهرة الجمعة العظيمة أمام جامع الحسن في حي الميدان بدمشق - نيسان٢٠١١



جموع المصلين في تظاهرة داخل مسجد الحسن في حي الميدان بدمشق عقب صلاة عيد الفطر - آب ٢٠١١

فما إنْ وجد الشباب فرصةً ليرفع صوته عما يُعانيه في داخله وفي وطنه وفي المؤسَّسات التي ينتمي إليها، إلا وهبَّ مُطالباً بحقوقه، ولن ينسى المعلومة التي ذكرتُها عن ألف ومائتي منقَّبة أُبْعِدْن عن التدريس لحجابهنَّ، وأن اثنين وخمسين موظّفاً في المحافظة أُبعدوا عن وظائفهم لأنهم يُصلُّون، وكثيرٌ من الأمثلة على هذا النحو.

لذلك كانت انطلاقة المظاهرات من المساجد رغم أن شرائح المجتمع كلها تُعاني من الظُّلم، بدليل أن مظاهرةً تداعى إليها الفنانون والفنانات تجمَّعوا جميعاً أمام جامع الحسن في الميدان، وفيهم المسيحيون وفيهم علويون ودروز، ومع ذلك كانت انطلاقة مظاهراتهم قبالة جامع الحسن ليعبِّروا جميعاً عن استيائهم من النظام وظلمه.

والمشكلة التي لم أفهمها حتى اللحظة أن الشيخ الدكتور -رحمه الله تعالى- لديه من النَّقد على الدولة ما عندنا وأكثر! وكان في آخر لقاءٍ بيننا وبينه مُمْتَعِضاً من مدير مكتب القصر الجمهوري أبو سليم الدعبول، يقول: أعطيتُه كتاباً ليسلِّمه للرئيس أنتقدُ فيه وزيرَ التربية في إقالته ألفاً ومائتي امرأةٍ منقَّبةٍ من سلك التعليم، فكلما سألتُه عن الكتاب يعِدُني بعد أسبوع، وقد مضى شهر كامل، فاتَّصلتُ به وقلتُ: يا أبا سليمٍ، منذ شهر أعطيتُك الكتاب للسيد الرئيس وحتى الآن لم تُعطِني جواباً، يقول الدكتور: تكلَّمتُ معه فانزعج، وقال: غداً أعطيكَ الجواب، ثم قال: بالأمس اتَّصل بي قائلاً: إن السيد الرئيس يُسلِّمُ عليكَ، ويقول: إن قرار الإقالة للمدرسات قرارُ دولةٍ، وليس قرار وزيرٍ، يعني: لا تتكلَّم بهذا الأمر أبداً.

كنتُ أشهد بأنَّ الشيخ سعيداً كان يتكلَّم مع المسؤولين في كثيرٍ من القضايا؛ كمنع الصلاة في الجيش وغيرها، لكن المشكلة أنه ينخدع بكلامهم المعسول، يقولون له كما يقولون لنا: ليس هناك أمرٌ بالمنع أبداً، وواقع الأمر أنَّ مَن يصلي في الجيش يُعاقب، وقد قيل له: إنَّ مَن أراد الصلاة فليصلِّ، ولقد خصَّصْنا أمكنةً للصلاة، فكان يتكلَّم بذلك في

دروسه ومحاضراته وكأنَّ الأمر مسلَّم به، وهذا كذبٌ منهم، ولا يزال المنع قائماً.

تكلَّمنا نحن أيضاً معهم، وأذكر أننا طرحنا الموضوع مع اللواء بهجت سليمان، فقال: ليس هناك منعٌ أبداً، بدليل أن ضابطاً عندي أرسل إليَّ مجنَّداً لديه يدَّعي أنه يصلِّي، فقلتُ له: ما المشكلة إذا صلى؟

فقلتُ: إن هذا الدليل معنا؛ لأنه أرسله إليكَ بحُجَّة أنه يصلِّي.

فقال منزعجاً: يا أخي، أرجوكم، الجيش لكم وهبونا إياه! وسكتنا وانتهى اللقاء.

فالشيخ يتكلَّم معهم، ولا يسكت على خطأٍ، لكنَّهم يخدعونه فينخدع.

وأنا لا أتَّهم الشيخ أنه يؤيِّد النِّظام في قتله للمتظاهرين؛ بدليل الفتوى على موقفه لجنديٍّ سأله قائلاً: تأتيني الأوامر أن أُطلِق الرصاص على المتظاهرين، فهل أقتلُ؟ قال الشيخ: إياك أن تقتل. وقد ذكرتُ هذا من قبل.

لكنَّه حرَّم المظاهرات اعتقاداً منه أنها خروجٌ على الحاكم على حدِّ زعمِه، ولأنه يعتقد أن الجيش وجنوده صالحون، بخلاف اعتقادي بأن الجيش مُجرمٌ، وقد قلتُ هذا يوم عيد الجيش حين دخل حماة وقتل مائةً وأربعين شخصاً في يومٍ واحدٍ.

وأظنُّ أن الدكتور يعرف ذلك، وقد صرَّح بهذا لأحد إخواننا في الغوطة الشَّرقيَّة، وقد قُتِلَتْ زوجته قَنْصاً، فما كان من ولدها الشاب إلا أنْ حملَها إلى المستشفى، وعند الحاجز ضربوا الشاب بالرصاص فقُتِل، وكان والده يحضر دروس الدكتور سعيد رمضان البوطي ومن المقرَّبين عنده، فحضر الشيخ إلى التعزية، فأسرَّ له حديثاً قائلاً: يا فلان، والله إني لأعلم أنَّ هذا النظام مُجرمٌ، لذلك اعترضتُ على المتظاهرين خوفاً عليهم.

والمشكلة أنه يُصرِّح بذلك في المجالس الخاصَّة، وفي نفس الوقت يعتبر جنود الجيش

كالصحابة، فكيف أُوفِّق بين ما يعتقده مِن أن النظام مُجرمٌ وبين الكلام الآخر؟!

لقد تكلَّم في بعض مُحاضراته عاتباً علينا وعلى أمثالنا قائلاً: أين هم عندما كنتُ أنتقد المسؤولين في الدولة؟ مَن كان يُناصرني؟ لكنني أقول: إن لم يعلم مناصرتَنا له في نُصرة الحقِّ؛ فالله يعلم، فإنه عندما انتقد -رحمه الله- مسلسل (ما ملكت أيمانكم) المسيء للدِّين ولأهل الدِّين وله شخصياً، حيث جعل المخرجُ لبطل المسلسل كُنيةَ الشيخ (أبو توفيق).

وقد قلتُ للشيخ بحضرة شيوخ لقائنا الدوريِّ معه: كلُّنا جنودكَ يا دكتور، وتكلَّمتُ على المنبر، وخاطبتُ المخرج نجدت أنزور، وقلتُ: أتذكر يوم زرتَني وزرتُكَ، وحمَّلتُكَ الأمانة فيما تُنتجه وتُخرجه من المسلسلات، فليس على مِثْل هذا الإخراج والإنتاج اتفقنا! لكن وراء المخرج مَن يريد أن يسيء للدِّين ولأهل الدِّين ولن يكون لهم ذلك.

رحِمَ الله الشيخ، لا أقول: إنه مُرغَمٌ ومُكرَهٌ على تأييد النظام بما كنا نسمعه في خطبه ودروسه، بل كان يتكلَّم بكامل القناعة والفهم لما يقول.

فالشيخ يعتقدُ بأنَّ في الدولة تياراً دينياً محافِظاً يُمثِّله اللواء محمد ناصيف، كما يعتقد أن دين الدَّولة في سوريا الإسلام، بدليل أنَّ حافظ الأسد قال له ذلك، وأنه قال له: بأننا لا نُعلِنُ ذلك؛ لأن حزب البعث علمانيٌّ.

لذلك كان يُصرِّح في كثيرٍ من المجالس بأن الرئيس حافظ الأسد قال له ذلك، فلهذا الاعتقاد لا يُلام حين صلى عليه وبكى.

كان يتحدَّث -رحمه الله- عن باسل الأسد أنه كان يقومُ الليل؛ بدليل أنَّه اتَّصل به بعد قيام الليل يسألُه عن حُكْم صلاة الوتر إنْ صلاها بعد صلاة العشاء، هل يعيدها بعد قيامه الليل؟!

لذا كان يتحدَّث أيضاً عن دخوله الجنة برؤيا رآها، أو باعتقاد صلاح الرجل وصدقه

بقيام الليل، واللهُ أعلم.

وأخيراً أقول: بأن الدكتور سعيداً شخصيَّةٌ فذَّةٌ في عِلْمِه وفقهه لكنه بشرٌ، ويتَّصفُ كما قلت: بطِيب القلب وصفاء السَّريرة، مما يجعلُه يُصدِّقُ حافظ الأسد وهو يقول له أمامي: يا شيخ سعيد أحبُّ أن أسمع محاضراتِكَ، ولئن شُغِلتُ عن سماع بعضها أوصيهم أن يأتوا لي بالتسجيل! فيُصَدِّقه.

إنه يرى أن في الدولة خلَلاً، فيقول: إنَّ الخلَل والعبَث والفساد من المسؤولين والوزراء والضباط، أما الدولة بتوجُّه الأسد وأولاده، فإنه الإسلام.

كان يخشى من الشِّيعة وامتدادِها إلى القرى البعيدة، فكان يتكلَّم بكلِّ قسوةٍ مع وزارة الأوقاف بأن تاريخهم الأسود يُملي علينا أن نكون حذِرين كلَّ الحذَرِ، وقد طلب منِّي مرةً أن أجري إحصائيَّةً في المحافظات السورية عن الحُسينيَّات وعددِ مَن تشيَّع في سوريا، فكلَّفْنا بعض الشباب، فجاؤوا لنا بتقريرٍ دقيقٍ يُثبت بأن الشعب السوري شعبٌ واعٍ لا يتأثَّر بنشاط الشيعة، وقال التقرير: بأن نسبةً ضئيلةً من الناس تشيَّعوا في الجزيرة شمال سورية قريباً من الحسكة وما حولها لفقرهم وجهلهم.

وكان رحمه الله يكرَه مؤتمرات التَّقريب بين المذاهب والأديان، وقلَّ أن يحضُرَها.

علاقتُنا مع وزير الأوقاف:

لقد اختلفنا مع وزير الأوقاف في كثيرٍ من المواقف، وهو يعلم ما كان بيننا وبينه من علاقةٍ ودِّيَّةٍ حميمةٍ، خاصَّةً قبل أن يُصبحَ وزيراً، كنا نجد فيه حُبَّ القرآن وتحفيظه وتعليمه، وكان يغضَب لله تعالى عندما يسمع عن مؤتمر التقريب بين المذاهب والأديان تُقيمه إحدى الجهات قبل أن يصير وزيراً.

كنتُ أسمع منه الكثير والكثير عن الشيعة ممَّا يعلمه كل من يقرأ التاريخ ويقرأ

كتبهم ومراجعهم، وما يقوله مشايخهم عن الصحابة، وعن لعن سيدنا أبي بكر وعمر، واتِّهام السيدة عائشة، فكان الوزير يقول: أيُّ تقريبٍ هذا!؟ إنهم يريدون أن يقرِّبونا إلى مذهبهم، وأنا أعلم أنه قبل الثورة لم يفتح لهم حُسينيَّةً واحدةً، لكنهم الآن يلطمون ويلعنون الصحابة الكرام في الجامع الأموي.

ما الذي تغيَّر في الشِّيعة حتى يتغيَّر موقفه؟ وكأنه كان لله، وأصبح الآن غضبه للنظام الذي سلَّم البلد لإيران، كنا قبل تسلُّمه الوزارةَ نغضب لغضبه، ونشدُّ على يده، وكنا عوناً له، ولما صار وزيراً صار عبداً للمنصب يأتمر بأوامرهم.

إنه يذكر عندما دخلتُ عليه وقلتُ: والله إن الشهداء الذين يُقتَلون في المظاهرات لهم فضلٌ عليَّ وعليكَ وعلى المعاهد الشرعية في سوريا، قال: ولم؟ قلت: لأن المسؤول الأمنيَّ في القصر أراني تعديل الدستور الذي يقضي بتحييد الأجهزة الأمنية عن الوزارات وعن المجتمع المدنيِّ كلِّه. قال: نعم، قلتُ: لولا الثورة لبقيتَ أنتَ وزيراً موظَّفاً لدى الأمن في كلِّ قراراتكَ.

وربما يذكر لما دخلتُ عليه وقلتُ: وسِّع صدركَ، أريد أن أتكلَّم كلاماً قاسياً في حقِّكَ، قال: قل ما شئتَ، إنني أعلم محبَّتَكَ. فقلتُ: والله ما وجدنا عِزّاً كالذي وجدناه أيام أبيكَ الشيخ عبد الستار، وما وجدنا ذُلاً كالذي نجده الآن في عهدك.

وإذ بالدكتور البوطي يدخل ويتفاجأ بي وأنا أتكلَّم مع الوزير بلهجةٍ قاسيةٍ، فأراد أن يرجع وقال: لعلَّ حديثاً خاصاً بينكما، فقلتُ: تفضَّل، أنت شيخُنا، فخرج الوزير إلى غرفته الخاصة وناداني قائلاً: إنَّ هذا الكلام كلامٌ لا أتصوَّر أن أسمعه منكَ.

قلتُ: أما ترى القرارات التي صدرت منكَ خلال هذا الشهر؟!

أبعدْتَني عن مشروع حِفْظِ النِّعمة الذي أسَّستُه على حساب صحَّتي وأعصابي، حتى

غدا أعظم صرحٍ خيريٍّ في سوريا، وأغلقتَ وصادرتَ قناة الدعوة ومعداتها، فقال: أُقسم بالله لا علاقة لي بذلك، وذهب وجاء بالملف وأطلَعَني على الوارد من مكتب الأمن القومي وأوامره إليه.

لذلك قلتُ له: إن التعديل الدستوري بفضل الثورة سيجعلك وزيراً بحقٍّ، وسيعطي المشايخ ما طالبوا به منذ عشرين سنةً ما يريدون لمعاهدهم وللتخصُّص الجامعيِّ.

لقد كان موقفي في هذه الثورة موقف الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، وأنا أعلم أن الوزير لو لم يكن وزيراً لكان مثلي وأكثر، لكن المنصب يُعمي ويُصِمُّ، نسأل الله تعالى السلامة.

أنا أعلم أنه كان حريصاً عليَّ لما دخلتُ عليه يوماً، فقام وقال: أرجوكَ أرجوكَ كفاكَ هجوماً على الدولة، فقلتُ: إنهم يقتلون الشباب، ويغتصِبون النساء، أُقسم بالله لن أسكتَ بعد اليوم، وإن شئتَ وأنتَ مُحرَجٌ أن تُقيلني فأَقِلْني، أنا ما دمتُ على منبر رسول الله فلا أتكلَّم إلا ما يُرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنصير إلى الله لا محالةَ، وما أظنُّ أن وزارتكَ ستنفعكَ، والذي ينفعكَ إنما هو غضبُكَ لله، فإنْ منعكَ منصبُكَ من ذلك، فلا تمنع الخطباء أن يتكلَّموا كلمة الحق على منابرهم، ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، أليس القتل وسفك الدِّماء من المنكرات، بل من أشنعِها وأفظعِها؟! فلماذا السُّكوتُ؟ هل صدَّقتَ يا سيادة الوزير أكذوبةَ العصابات المسلَّحة؟ أتكلَّم معه هذا الكلام، فيسكتُ.

علاقتُنا مع أحمد حسون المفتي العام:

كانت صِلتي بالشيخ أحمد حسون صلةً قديمةً جداً منذ أن كنا معاً طلاباً في جامعة الأزهر في القاهرة، وكنتُ أشهدُ صِدْقَ محبَّته لي، حتى أنه سمَّى ولده سارية الذي اغتاله

النظام في بداية الثورة باعتبارِه مُعارِضاً لِظُلْمِه وإجرامه خلافاً لرأي والده.

وقال لي مرَّةً: صَدِّقْ أنني سمَّيتُ بهذا الاسم أكثرَ من أربعين طفلاً من أبناء أحبابنا لمحبَّتي لكَ، وهو يعلم أنني ما كنتُ يوماً من الأيام لأوافقه على منهجه في تصريحاته التي لا تتوافق مع الشرع، وكنتُ أعترض عليه فيقول: يا شيخ سارية، والله أردتُ كذا وكذا من تصريحي للنصارى والدروز، أردتُ أن أُحرجَهم بانتسابهم إلى الإسلام، فأطبِّق عليهم أحكام الإسلام، فلا يستطيعون الاعتراض.

وهكذا يجد لكلِّ موقفٍ ما يُناسب من إعلان شيءٍ وإخفاء أشياءَ، وكنتُ أقول له: إن هذا غير مقبولٍ شرعاً، فينبغي أن نكون مُعلِنين لثوابتنا مهما كانت النوايا والمقاصد.



السفير الإيراني في دمشق يسلّم المفتي أحمد بدر الدين حسون جائزة اللجنة الإسلامية لحقوق الإنسان - أيلول ٢٠١٥

ولستُ أدري مُؤخَّراً بماذا يُبرِّر فتواه للنِّظام بالهجوم على المدن والقرى بالقصف والتدمير لبيوتٍ آمنةٍ؛ يقتلون النساء والأطفال دون أن يُدركوا أمكنة المسلَّحين الثوار،

وهو يعلم أن النظام لا ينتظر فتواه، بل بمثابة الدعم لمواقفه الإجرامية، فكيف يرضى المفتي العام أن يُقصفَ أهلُه وأبناؤه في حلب! أو في أيِّ مكانٍ في سورية الحبيبة؟!!

أوَ يظنُّ أنَّ بشار الأسد سيُنجيه يوم القيامة وهو مُفتيه؟!

ألا يعلم بأنه لا مُلْكَ لأحدٍ يوم القيامة إلا لله الواحد القهار، فهو المالك ليوم الدِّين ولا مالك سواه!



شارع في حي جوبر الدمشقي بعد تدميره من قبل قوات النظام - تشرين الأول ٢٠١٣

ألا يعلم سماحة المفتي أنه سيصير إلى الله، فلا سَماحةَ هناك ولا مشيخةَ ولا إفتاء؟!

ولعلِّي أسبقه، وما الذي أصابني مؤخَّراً من الجلطة في الدماغ والشلل النصفي إلا إيذانٌ بقُرب الأجل، فإذا سألني ربي عن الصُّحبة، فسأقول: يا ربِّ، إني نصَحْتُ وحذَّرْتُ.

وها أنا ذا أقولُ: بأنَّ فتواك الأخيرة للنِّظام بالهجوم، وهو لم يُقصِّر منذ سنين بالهجوم على المساجد والمشافي والمدارس فدمَّرها، والبيوت فقصفها على رؤوس أصحابها، أقول

لكَ وتعلم الذي بيني وبينكَ: اتَّقِ اللهَ في نفْسِكَ وفي منصِبِكَ.

وأذكرُ يوم كنَّا نلتقي في بيته بجوار القصر الجمهوريِّ مع ثُلَّةٍ من العلماء من مدرِّسي الإفتاء العام، مضى بعضُهم إلى الله، كالشيخ هشام البرهاني، والشيخ وهبي سليمان الغاوجي، والشيخ وهبه الزحيلي، رحمهم الله تعالى، والشيخ عبد الفتاح البزم، والشيخ راتب النابلسي، والشيخ حسام فرفور، وغيرهم وغيرهم...

وقال يومها: ينبغي أن يُمثِّل بعضُنا بعضاً، فقلتُ: لا أُمَثِّلكَ ولا تُمَثِّلني ما لم نتَّفِقْ على الخطوط العريضة في توجُّهنا الديني وثوابتنا الإسلامية، عندها يُمثِّل بعضُنا بعضاً، وإلا فلا أُمثِّلك ولا تُمَثِّلني، بل تُمَثِّل عليَّ وأمثِّل عليك، وهذا لا يتوافق مع أخلاقنا وقيمنا الإسلامية.

وعندما عُرِضَ عليَّ أن أكون في منصب (مفتي دمشق) وقال: لقد قدَّمتُ للسيِّد الرئيس ستة أسماء لهذا المنصب، ومنهم سارية الرفاعي، فأشار إليَّ أن سارية هو المرشَّحُ الوحيد، فاعتذرتُ بشِدَّةٍ وقلتُ: والله لستُ أهلاً.

إنَّ مثل هذه الإغراءات بمناصب ومراكز دينيَّةٍ أو سياسيَّةٍ كان أسلوباً من أساليبهم، غير أن والدي -رحمه الله- ربَّاني على أن هذا مِن مُنزَلَقات الداعية التي تُسقِطه من عين الله ومن عيون عباده.

ما أظنُّ أن القيادة في سوريا تقرُّ أن واحداً من أبناء الشيخ عبد الكريم أو طلابه طلب منصِباً أو سعى إليه حتى على مستوى الجماعة، فإنَّ أنشطتَها لا تزيد على ما ترسمه قوانين الدولة من معاهد قرآنيةٍ، أو دروسٍ عامَّةٍ أو خاصَّةٍ؛ لأنَّ أيَّ طلَبٍ سوى ذلك لا بُدَّ له من ثمنٍ يتمثَّل بالتأييد المُطْلَق!

العصابات المسلَّحة صنيعة النظام لتبرئة الجيش والأمن:

ما أظن أن نظاماً في الدنيا يُشبه النظام السوري في ظلمه وبطشه، لذلك لما قال وليد

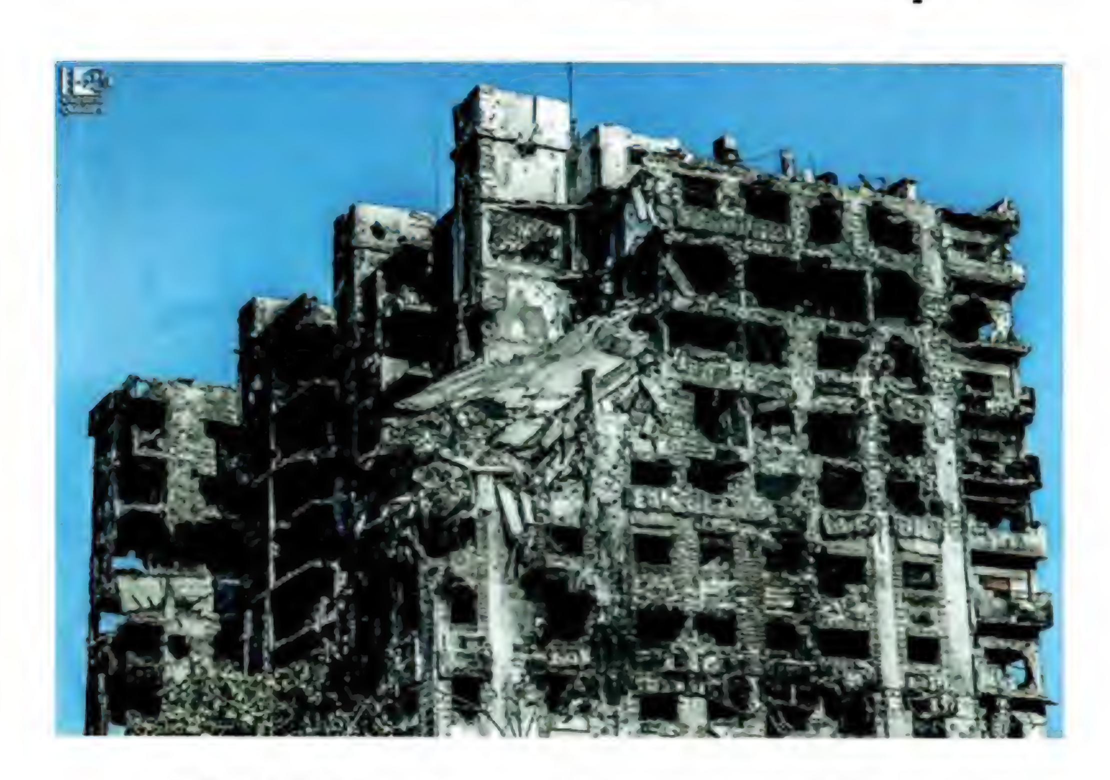
المعلم وزير الخارجية: لئن شهدتُم رحيل حسني مبارك وزين العابدين وسقوط بعض الأنظمة الأخرى سهلاً؛ فإن نظام سوريا يختلف عن كل تلك الأنظمة! وحذر كثيراً من التقليد لشعوب الأخرى، وأظن أنه كان صادقاً في ذلك؛ لأن النظام عندنا لا يبالي بملايين تُقتَل، وبأن تُحرَق البلد ويبقى الأسد، رَغم أن شهوة المُلْك والحُكْم موجودة لدى جميع الحكام، أما أن تُحرَق البلد ومَن فيها بالصواريخ والبراميل والكيماوي، فهذا ما لم يتوقعه الشباب السوري الثائر، وإنَّ مِن هذه الأساليب الماكرة ما سمَّوه بـ(العصابات المسلَّحة).

وكأنَّ تلك العصابات طرَفٌ ثالثٌ بزعمهم، ليسوا من مؤيدي النظام أو عناصر الأمن، وليسوا من الشباب الثائر، وإنما هي طرف ليسوا من هؤلاء ولا من هؤلاء، فكلما قُتِل أحدٌ من المتظاهرين قالوا: عصاباتٌ مسلَّحةٌ، وكلما حدث تفجير في سوق أو أمام مسجدٍ قالوا: إنها العصابات المسلَّحة.

وقد قلتُ مرَّةً في بداية الثورة: أخشى أن يأتي يوم تقصِف فيه طائرات النظام ثم يقولون: عصاباتٌ مسلَّحةٌ، وهذا ما حصل بالفعل، فقد دُمِّرت سوريا بمساجدها ومدارسها ومشافيها وبيوت الآمنين، ولا يزالون يقولون: عصاباتٌ مسلَّحةٌ، حتى وجدوا سخرية العالم منهم، إلى أن ظهر بشار الأسد أمام السادة العلماء في وليمة الإفطار يتحدَّثُ عن العصابات المسلَّحة، وأن لها حاضنةً شعبيةً بلغ عددها مئات الآلاف بل الملايين، ويُبرِّر لنفسه أنه يَقصِف العصابات وحاضنتها، وبهذا التصريح أراحنا من ادِّعائهم أن العصابات المسلَّحة هي التي تفجِّر المشافي، وتقتل النساء والأطفال، واعترف بأن هذا عقابٌ للحاضنة الشعبية لهذه العصابات المسلَّحة.

كان الناس في البداية يستغربون: لماذا تفجِّر العصابات المسلَّحة وسط المظاهرات، ولا تفجِّر وسط المسيرات التي تنظِّمها الدولة؟ ولماذا تُفجِّر المشافي والمدارس في المدن والقرى السُّنية، ولا نرى تفجيراً في القرى العلويَّة؟! لينكشف كذبهم، وليتبين أن هذه

العصابات ما هي إلا عصابات الأجهزة الأمنيَّة.



بناء برج المعلمين بحي جوبر عقب تدميره من قبل قوات النظام
- تشرين الأول ٢٠١٣

دور التجار وإضرابهم وقمع النظام لهم:

كان للتُّجار الأحرار دورٌ في هذه الثورة، خلافاً للتُّجار المستفيدين من النظام، أو التجار الذين يشاركون المسؤولين والضباط في تجارتهم، فهؤلاء جزءٌ من النظام يُدافعون عن كل الأخطاء ويبرِّرونها، فالمهمُّ أن تبقى علاقاتهم مع الأجهزة الأمنية والمسؤولين عامرةً لا تتأثَّر مصالحهم، بل ينعمون بمزيدٍ من خيرات النظام وبركاته عليهم، وإنني أقول لهؤلاء: أبشروا بمَحْق البركة في أموالكم وفي مستقبل أولادكم، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ [التوبة: ٥٥].

كان دور عامَّة التجار مهمّاً وفاعلاً في دفع الحراك الثوري، من خلال استجابتهم

لدعوات الإضراب، وإغلاق محلَّاتهم تعبيراً منهم عن استيائهم من أوضاع البلد المتردِّية، لا في اقتصادها فحسب، بل فيما يعيشه المجتمع من فسادٍ على كلِّ صعيدٍ، لكن الأمن والمخابرات كانوا يفتحون المحلات بكسر أقفالها ومُصادرة محتوياتها، وربما اعتقلوا أصحاب المحلات.

ويذكر الناس في دمشق عندما وجَّهتُ نداءً ودعوةً مُبَطَّنَةً للإضراب بعد مجزرة الحولة في الشهر الخامس من العام ٢٠١٢م التي قُتل فيها ما لا يقِلُّ عن مائة طفلٍ، قلتُ للناس فيها: ينبغي على كلِّ واحدٍ منا أن يعتبر أن أطفال الحولة أبناءٌ له، ومَن مات ولده هل يفتح محلَّه؟ أم يبقى في بيته يضرع إلى الله أن يرحم ولده وأن يُلهمه الصبر على فقده؟

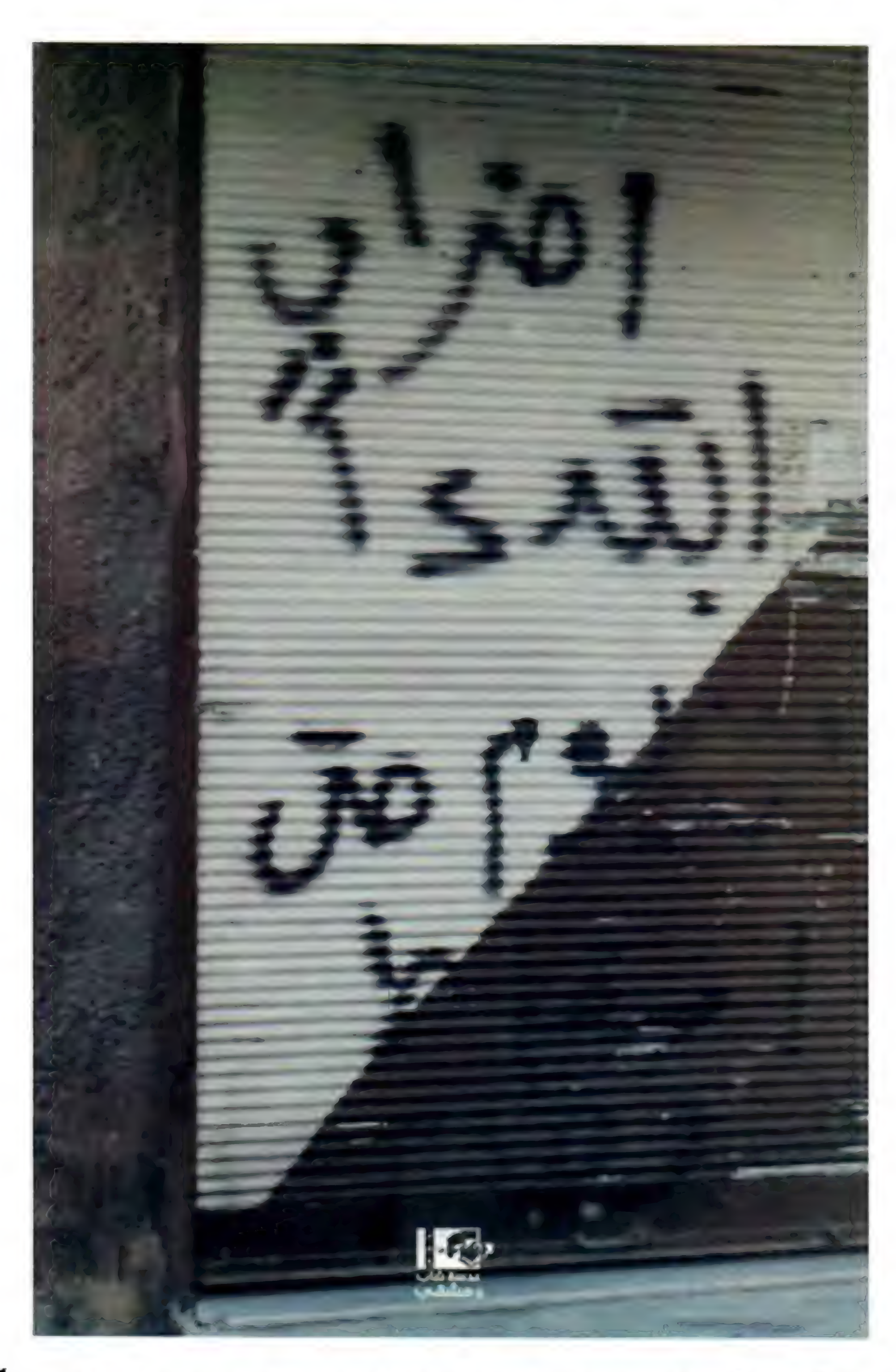
واستمرَّ الإضراب خمسة أيامٍ، بدءاً من تاريخ ٢٨ / ٥/ ٢٠١٢م، وفهم الناس من خلال هذا النداء أنَّني أدعو إلى الإضراب، فأغلَقت دمشق محلَّاتها في ذلك اليوم الذي حدَّدتُه، واكتسب طابع الإضراب، لكن سُرْعان ما تدخَّلت قوى الأمن التي خشِيَتْ أن يستمرَّ الإضراب.

إنَّ هذا التفاعل والتجاوب هو ما يُميِّز تجار دمشق خاصَّةً وتجار سوريا عامَّةً؛ فهم يتميَّزون بحبِّهم للعلماء وبصلتهم بهم، تجلَّى هذا الحب بعد تأسيس مشروع حفظ النعمة الخيري[1] الذي كان يجمع الألبسة الفائضة عند الناس، والطعام الفائض في الولائم، لكن المشروع تحوَّل بعد سنةٍ لتكون ميزانيَّته ما لا يقلُّ عن ستمائة مليون ليرة سورية، حيث كان التاجر وصاحب مصنع الألبسة يقول لي: والله والله إن أول وجبةٍ من الألبسة المصنَّعة أُرسِلُها إلى حفظ النعمة قبل طَرْحِها في السوق ليبارِكَ الله لي في عملي.

كما توجَّه تجار المواد الغذائية بمئات الأطنان من الرز والحبوب ليعُمَّ خير المشروع كلَّ

(١) هذا المشروع تحدثتُ عنه بإسهابٍ في الجزء الخاص من «ذكريات ومواقف في حياتي»، سيصدر فيما بعد إن شاء الله تعالى.

المحافظات السورية، ولله الحمد.



إضراب في أحد الأسواق بمدينة دمشق استجابة لدعوة الشيخ سارية الرفاعي رداً على

مجزرة الحولة - أيار ٢٠١٢

وهكذا تجد التُّجار أيضاً يتبنَّون الإنفاق على المعاهد الشرعيَّة التي تتعهَّد الكثير من أبناء المسلمين الوافدين من أنحاء العالم.

لكن التجار في الوقت نفسه كانوا يُعانون من الفساد في أجهزة الدولة، حيث انتشرت الرشوة في كلِّ الدوائر، وخاصَّةً الجمارك وغيرها من مؤسسات الدولة.

لذلك كانت أوَّل مظاهرةٍ انطلقت في سوق الحريقة وسط دمشق، مما اضطر وزير الداخلية أن يحضُرَ بنفسه ليَعِدَهم بتسوية الكثير من القضايا التي تهمُّهم.

كما أن الكثير من التجار كانوا يذهبون بأنفسهم لمساعدة النازحين من القرى والمحافظات إلى دمشق؛ ليقوموا بإيوائهم ومساعدتهم بتقديم الكساء والغذاء بالتعاون مع مشروع حفظ النعمة والجمعيَّات الأخرى.

مبادرة أهل الشام:

قام بها عددٌ من تجار دمشق بعد أن حصلوا على موافقةٍ من الجهات الأمنية؛ لإرسال المواد الغذائية إلى حمص وما حولها مِن قرى منكوبةٍ، كان مشروع حفظ النعمة يُسيِّر قوافلها، وكانت هذه المبادرة في السَّنة الأولى من الثورة، حيث حُوصرت حمص، وكلٌّ من النظام والفصائل المسلحة يتَّهم الآخر بالحصار، ولقد استغلَّ التجار الدمشقيون هذا السجال ليُطالب النظام بفَسْح المجال لمشروع حفظ النعمة لتسيير قوافل تحمِل الغذاء والكساء لأهل حمص المحاصَرين.

وقد حدَّثني المسؤول عن إحدى تلك القوافل: أنه وصل إلى مفرقٍ في مَدْخَل حمص، وإذ بحاجزٍ للجيش الحر يقول: ماذا تحمِلون معكم؟ قال: مواد غذائيَّة للمحتاجين،

فقالوا له: انظر إلى ذاك المسجد البعيد، اذهبوا إليه وستجدونه ممتلئاً بالنازحين من الحولة بعد المجزرة، فذهبوا إلى المسجد، والتقوا بإمامه الذي قال: إن أكثر من ثلاثمائة عائلة وفدت إلينا، فقلنا لهم: والله إننا لا نملك طعاماً، فاجلسوا معنا نتضرَّع إلى الله، فساقكم الله إلينا، ثم قال: وزَّعْنا حينها على كلِّ عائلة سلَّةً غذائيَّةً، فكانت الكمِّيَّة على عددهم تماماً!

وكلُّ هذه المساعدات كانت من تجار دمشق لإخوانهم أهل حمص وما حولها تحت ما يُسمى بـ(مبادرة أهل الشام)، وهذا يدلُّ على التلاحم والتراحم الذي اتَّسم به تجار دمشق وتجار بلادنا بشكلٍ عامٍّ.

وأما تجار سوريا المقيمون في الخليج أو في أوربا وأمريكا منذ الثمانينات في القرن الماضي؛ فلقد قدَّموا الكثير والكثير لإخوانهم اللاجئين والضُّعفاء من الموادِّ الإغاثيَّة، كما أنهم لم يُقصِّروا في فتح المدارس لأبنائنا الذين دُمِّرت مدارسهم، وتوقَّفوا عن الدراسة، لقد وجدنا بأن التجار ورجال الأعمال السوريين دعموا المدارس التي أُنْشِئَتْ في المناطق المحرَّرة في سوريا، أو في الدُّول التي لُجئ إليها من دول الجِوار وغيرها.

وأعتقد أن هذه المدارس التي يُشرِف عليها ويُديرها أساتذةٌ مخلصون، أدركوا أن تربية الجيل الجديد الذي سيحمل الراية وسيبني سوريا الحديثة، تحتاج إلى جهدٍ كبيرٍ ومالٍ وفيرٍ.

ولقد زرتُ بعض هذه المدارس، فوجدتُها تفوق الكثير من المدارس في الداخل السوري أو في خارجه، يتبنَّاها هؤلاء التجار السوريون، فلقد أنفقوا ما لم تُنْفِقْه المنظَّمات الدولية والحكومات العربية والغربية؛ لأن القضية تهمُّهم، ولأن أبناء سوريا بمثابة أبنائهم، وتعليمهم من أساسيَّات سورية الحديثة، وستكشف الأيام

عن أسماء هؤلاء التجار، وقد أخفى البعض اسمه؛ لأن البلد التي كان يقيم فيها - عربيةً كانت أو غربيةً- تمنعه من التحويل الرسمي للعملة.



مشهد من الدمار الذي أصاب مسجد الصحابي الجليل خالد بن الوليد في مدينة حمص بعد تعرضه للقصف والتخريب من قبل قوات النظام السوري - أيار ٢٠١٣

وإنني أقول: ستمضي الأيام، وسيُعرف عند الناس أسماء هؤلاء الأسخياء في المستقبل، كما يُعرف زيف الأدعياء ممن يُعلِن الدعم وليس له أيُّ أثَرٍ.

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خالها تَخفى على الناس تُعلَمِ

العَوائِنِيَّة وصِلَتُهم بالأمن وكتابة التَّقارير وموقفُنا منهم:

العَوائِنِيَّة: مصطلحٌ أُطْلِق على أناسٍ لهم صِلةٌ مع الأجهزة الأمنية، يُقدِّمون لهم تقارير قد تضرُّ بجماعاتٍ أو أسرٍ أو أفرادٍ، وقد كثُرَ عددهم في بداية الثورة رغبةً من ضعاف

النفوس بأن يتقرَّبوا من عناصر الأمن وضباطه، وربما يكون عددٌ منهم موظَّفين لدى الأمن برواتب شهريَّةٍ، مع احتفاظهم بأعمالهم كتجار أو موظفين، وخاصة عمال النظافة وأمثالهم، ولعل البعض من هؤلاء دخلوا السجن وخرجوا وقد تعهَّدوا أن يتعاونوا مع الأمن بكتابة تقارير.

لكنَّ الشباب الثائر تنادَوا للثأر من العَوايْنِيَّة الذين يكتبون التقارير بجماعاتٍ أو أفرادٍ مما يُوقع الضَّرر بهم اعتقالاً وتعذيباً، ويصِل الإضرار بالبعض إلى القتل.

فكان الشباب الثائر يُخبِر بعضهم بعضاً عن هؤلاء ليعلنوا عن مقاطعتهم إن كانوا أصحاب محلاتٍ أو ضربهم، وقد يصل الأمر إلى قتلهم إن تسبَّبوا بقتل أحد الناشطين.

ولما استفحل الأمرُ وصار الاتِّهام بمُجرَّد الظن؛ جاء كثيرٌ منهم إليَّ خائفين يُقسِمون بالله أنه لا علاقة لهم بأجهزة الأمن، فأفردتُ خُطبةً للحديث عن العَوايْنِيَّة، وحذَّرتُ الشباب من إساءة الظنِّ بمن لم تثبت عليه صلةٌ بالأمن؛ لأن ربنا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ووجَّهتُ كلمةً للعَوايْنِيَّة بأن كتابة تقريرٍ بأحد الناس قد يُودي بحياته أو سجنه وتعذيبه، وبالتالي فإن كاتب التقرير شريكٌ مع القاتل في قتله، أو شريكٌ مع مَن يعذِّبه، فأعدَّ جواباً غداً يوم الحساب عمَّن شاركتَ في تعذيبه أو قتله، وربُّنا يقول:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

كما حذَّرتُ مَن ثبت عليه التعاون مع الأجهزة الأمنية مِن أن يوقع الضرر بأبناء حيِّه أو أبناء المسلمين عموماً؛ وقد ورد في الأثر: «من أعان ظالماً ولو بشَطْر كلمةٍ؛ جاء

يوم القيامة مكتوبٌ على جبينه: آيِسٌ من رحمة الله»، وهذا إن دلَّ على شيءٍ؛ فإنما يدلُّ على الشر الذي استحكم لدى بعض الناس بأن يَسْتَعْدِيَ أجهزة الأمن المعروفة بالظلم والإجرام على المسلمين، رَغْبةً بالتقرُّب مِن هؤلاء الظلمة، وعلى أمل أن يحظى بمنصبٍ أو مركزٍ أو جاهٍ، أو ينال عرَضاً من الدنيا قليلًا، فيكون قد تعرَّض لغضب الله وسخطه.

ولا أبالغ إن قلتُ: بأن أحد المشايخ كان يرفع التقارير في حقِّ مَن يخالفه الرأي من سلَفيين مثلاً، وهو يعلم أن الدولة تعتقل السَّلَفيين، أو يتَّهم آخرين بأنهم من جماعة الإخوان المسلمين المحكومين بالإعدام، وهو يعلم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«وإن أحدكم ليتكلَّم بالكلمة من سخَط الله، لا يُلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم»[1].

ظهوري على شاشة قناة الدنيا لأوَّل مرَّةٍ:

اتَّصل بي رئيس مراسم القصر الجمهوري محيي الدين مسلمانية وقال: أودُّ زيارتك الآن، فقلتُ: أهلاً ومرحباً، فجاءني وقال: أنا على عجلٍ، وأودُّ أن أنقل إليكَ رسالةً، قلتُ: خيراً؟ قال: إن السيد الرئيس عاتِبٌ عليك كثيراً، قلتُ: ولمَ؟ قال: إن معظم المشايخ ظهروا على شاشة التلفزيون إلا أنتَ، قلتُ: لا عليكَ، يمكن أن تراني على الشاشة ولا حرج لديَّ أبداً، ولكن بشرطٍ، قال: وما الشَّرطُ؟ قلتُ: أتكلَّم بما أشاء، قال: تكلَّمْ بما شئتَ، قلتُ: أرجو أن تسأل أولاً الرئيس الذي أرسلكَ، فقال: إذن أعطيكَ الجواب بعد نصف ساعةٍ، وذهب واتَّصل بي كما وعد بعد نصف ساعةٍ، وقال: إن السيد الرئيس يُسلِّم عليكَ ويقول: تكلَّم بما شئتَ، قلتُ: خيراً إن شاء الله، وبعد دقائق اتَّصل بي المهندس محمد حمشو صاحب قناة الدنيا يظهر الفرح والسرور قائلاً:

(١) رواه البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ مسلم (٢٩٨٨): «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب».

سمعتُ أنكَ وافقتَ على الحديث في التلفزيون؟ قلتُ: لا حرج لديَّ إن تكلَّمتُ بما أريد، لا بما تريده الدولة، قال: الآن سآتيك، قلتُ: دعني إلى الغد لأستجمع أفكاري، قال: أرجوكَ الآن، قلتُ: فليكن، وجاء خلال دقائق، وانطلقتُ وإياه بصحبة أخيه محمود، وانطلق بي إلى جامع العثمان وقد أعَدُّوا استوديو هناك ليتكلَّم المتحدِّث أمام لفيفٍ من رجالات الأوقاف.

وما إن أعدُّوا أجهزة التصوير والبثِّ -وقد كنتُ أظنُّ أنه على الهواء-، وجلستُ بجانب مدير الأوقاف وعددٍ من جماعته، وأشير إليَّ بالبدء، حتى انطلقتُ أتكلَّم وكأنني على منبر جامع زيدٍ أجول وأصول فيما كنتُ أتكلَّم فيه عمَّا حلَّ في بلدنا من خلال إساءة المسؤولين والدولة، وإذ بالجالسين يخرج واحدٌ تلو الآخر، وبعد أن انتهى الحديث خرجتُ، فقلتُ لبعض مَن خرج منهم: لماذا خرجتم؟ قالوا: والله خشينا أن يُلقى القبض علينا جميعاً من قَسْوة حديثكَ، لكن المهندس محمد حمشو قال: أرجوكَ، إن هذا الحديث لا يصلُح للعرض أبداً، قلتُ: ماذا تريد؟ قال: نذهب إلى استديو قناة الدنيا، وإن أحببتَ أن يكون اللقاء على شكل حوارٍ فنحن جاهزون، قلتُ: لا حرج لديَّ أبداً.

وذهبنا في اليوم التالي إلى قناة الدنيا لنجلس أولاً جلسة تعارفٍ مع المذيع المحاور: محمد عبد الحميد، فقلتُ له: مرحباً، هل تعرفني؟ قال: كلُّ الناس يعرفونكَ، قلتُ: هل تمَّ لقاءٌ بيني وبينكَ من قبل؟ قال: لا، قلتُ: لذلك أريد أن أقول لكَ: إياك أن تتحسَّس إذا تكلَّمتُ كلاماً خطيراً في حقِّ بعض المسؤولين أو الأجهزة الأمنيَّة! فسكت، لكن المهندس محمد حمشو قال: نعم، إن الشيخ معه الضوء الأخضر في أن يتكلَّم ما يشاء، ودخلنا الاستديو وجلسنا للحوار، وسألني قائلاً: فضيلة الشيخ، ألا تعتقد أن ما يجري الآن في سورية ما هو إلا مؤامرةٌ على هذا البلد؟ فقلتُ: ما عندكم سوى الحديث عن مؤامراتٍ، وتنسَون أن ما يجري الآن من غلَيان الشارع إنما هو نتيجة الظلم والفساد!

وتكلَّمتُ والمذيع ساكتٌ لأنني حذَّرتُه من المقاطعة.

ثم سألني عن المظاهرات، قلتُ: إن المظاهرات السلمِيَّة التي تُعبِّر عن غضب الناس واستيائهم من الظلم القائم إنَّما هو حقٌّ من حقوقهم، وهذا ثابتٌ في قوانين العالم.

ثم سألني: ما رأيكَ في المظاهرات الآن في بلادنا وهم يُعرِّضون أنفسهم للخطر؟ فقلتُ: إن كان على المتظاهرين خطَرٌ من رجال الأمن أو سواهم؛ فأنصح الشباب أن يُمَتِّعونا بأنفسهم، وسأستغلُّ كلَّ منبرٍ لأتكلَّم بالنِّيابة عنهم بإذن الله تعالى.

لقاءاتٌ مع شبابٍ من مختلف الطوائف:

ما كان لنا أن ننْغَلق على المجتمع بكلِّ أطيافه، لا سيَّما وأنَّ في كل شريحةٍ في المجتمع مُخلِصين لوطنهم، مُنكِرين لما يجري فيه من فسادٍ عمَّ البلاد وأرجاءَها ومؤسَّساتِها، وهذا لا يخفى على أحدٍ، لذلك كان العديد من الشباب المتنوِّع بأفكاره ومعتقداته يسعى للقاء معي، فكانوا يودُّون زيارتي، فقلتُ: حدِّدوا المكان في بيت أحدكم، وسأحضر إن شاء الله؛ لأنَّ مفرزةً من الأمن تَمَرْكَزَتْ عند مدخل بناء بيتي ترصد الداخل والخارج بدعوى حمايتي، والحقيقة خلاف ذلك، فلا أريد أن أكون سبباً في الإساءة إليكم، فحدَّدوا مكاناً وذهبتُ في الساعة التاسعة مساءً لألتقي بهم، وفيهم مسلمون ومسيحيون ودروز وعلويون، دخلتُ فقام الجميع، وشعرتُ بأنهم يكنُّون لي كلَّ احترامٍ وتقديرٍ.

وفي بداية الحوار، تكلَّمتُ عن بلدنا الذي نعيش على ترابه، وجميعُنا على مختلف أدياننا ومذاهبنا نأكل من خيراته، فينبغي أن نكون جميعاً يداً واحدةً على الطغاة والجبابرة وعلى كلِّ فاسدٍ ومُفسدٍ لهذا النَّسيج الاجتماعي الذي تتميَّز به بلدنا منذ مئات السنين، ثم بدأ الحوار بعد أن قلتُ: علينا أن لا يزايد أحدٌ منَّا على الآخر بوطنيَّته، رَغم أنني -وأنتم ترون- كيف أُعرِّض نفْسي للخطر بما أُصرِّح به على المنبر، وهذا لا من أجل أسرتي أو

المسلمين فحسب، بل من أجل كل مواطن أياً كان انتماؤه وولاؤه.

وتكلَّم الشباب، وترجموا عن حُبِّهم لوطنهم وكراهيتهم للظلم والظالمين، وقالوا: نحن جاهزون لكل ما يُطلَب منا، وانتهى اللقاء في الساعة الواحدة ليلاً، فقلتُ لهم: لا تتجمَّعوا في الطريق خوفاً من الأمن والمخابرات، وتواصلوا دائماً، وارفعوا صوتكم مع كبار الشخصيات من طوائفكم حتى يتحرَّك الجميع، وانفضَّ اللقاء ليذهبوا في اليوم التالي إلى الأب إلياس زحلاوي في كنيسته قائلين له: لقد كنَّا بالأمس عند الشيخ سارية، وأنت تعلمُ عن تصريحاته الكثير، فنحن نرى أن تضُمَّ صوتكَ إلى صوته، وإذ به يتَّصل بي ويقول: أنا فلانٌ، فرحَّبتُ به كثيراً، ثم قال: يا شيخ سارية، أنتَ مدرسةٌ بكل ما تحوي الكلمة من معنى، وأريد زيارتكَ، فقلتُ: أهلاً وسهلاً ومرحباً.

كان الأب إلياس زحلاوي قد زارني من قبل، وهو من كبار المثقَّفين القساوسة، جاء آنذاك ليقدِّم الشُّكر لما تُقدِّمُه جمعية حفظ النعمة من طعامٍ لفقراء النصارى في منطقتنا منطقة باب سريجة وقبر عاتكة، فقلتُ له: يا سعادة الأب، نحن منذ سنتين نقدِّم لهم، وكثيراً ما طلَب مني شبابهم وشاباتهم اللقاء معي فأرفض؛ حتى لا يظنوا أني أُقَدِّم لهم الطعام مُسْتَغِلاً فقرهم لأُدخلهم في الإسلام، وجرى حديثٌ طويلٌ عن معاملة المسلمين للنصارى في بلادنا، وذكرتُ على ذلك شواهد مما جعل الأب إلياس يبكي أكثر من مرَّةٍ ويقول: يا شيخ سارية، أرجوكَ أرجوكَ لا تنساني من دعائك، قلتُ: هذا واجبٌ عليَّ وعليك.

شفاعتي للفنانين والفنانات:

كنتُ أترقَّب الأحداث الساخنة خلال الأسبوع لأجعلها مادَّة خُطبتي يوم الجمعة، وفي يوم الأربعاء سمعتُ بأن مظاهرةً للفنانين والفنانات ستخرج من أمام جامع الحسن في الميدان، يُطالبون بالإصلاح طلباً لنيل الحرية والكرامة، فقلتُ يوم

الجمعة على المنبر: إننا نسمع من أجهزة الدولة وضباط الأمن أن وراء المظاهرات السلفيين المتطرِّفين، ولقد سمعتُ البارحة بأن مظاهرةً للفنانين خرجت أمام جامع الحسن بالميدان، وما أظن أن الفنانين سلَفيون ولا صوفيون، وبعد نهاية الخطبة دخلتُ الغرفة، وإذ بشابٍّ يُدْعى: صهيب الحلبي يقول: ما رأيكَ أن تشفع لهؤلاء الفنانين الذين اعتُقلوا بالأمس في الأمن الجنائي التابع لوزير الداخلية، فاتَّصلتُ بالوزير، وقلتُ له: من عادتي أن أتَّصل برؤساء فروع الأمن، وأقدِّم لهم قوائم بمعتقلين لديهم ويستجيبون لي جميعاً، وها أنا الآن أتقدَّم إليكَ بقائمة معتقلين، قال: من هم؟ قلتُ: هم الفنانون، قال متعجِّباً ومستغرباً: الشيخ سارية يتشفَّع للفنانين والفنانات؟!

قلتُ: لتعلم الدولة أن الشيخ سارية لكلِّ مظلومٍ في هذا البلد، ثم قال الوزير: أعِدُك أن أرسلَهم إلى المحكمة غداً السبت، والقضاء يُفَرِّج عنهم، وإذ بالشاب الذي كان حريصاً على أن أشفع لهم أسرع إلى منزل الفنانة مي سكاف، وقال لأمها: أُبَشِّرك أنَّ الإفراج عنها غداً، قالت: من أخبركَ؟ قال: تكلَّم الشيخ أمامي مع وزير الداخلية، قالت: أيُّ شيخٍ؟ قال: الشيخ سارية، فبكت وقالت: والله إني لَأعلم أنه إنْ تعرَّضنا لخطرٍ يوماً من الأيام؛ فلن يُنجِيَنا إلا المشايخ!

وفي يوم السبت علِمتُ بأن الشبيحة أحاطوا بالقصر العدليِّ ليضربوا كل من يُفْرِجُ عنه القضاء، فاتَّصلتُ برجلٍ من حزب البعث يعمل في المحكمة، وطلبتُ منه أن يأخذ بيد النساء منهم ويخرجهن ويركبهن بسيارة أجرة حتى لا يسيئ إليهنَّ أحدٌ.

وهذا الذي تمَّ حينئذٍ، وذهب الشاب إلى مي سكاف يُهَنِّئها، فقالت له: بلِّغْ عنِّي الشيخ سارية أبلغ عبارات الشكر، وقل له: إن مي سكاف مُسلِمةٌ، وأنا أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فما فرحتُ برسالةٍ في حياتي فرَحي بهذه الرسالة.

ولقد زارتني المعارضة الفنانة ريما فليحان، وهي من الطائفة الدرزية في عمان، وقالت: أتمنَّى أن يسمع العالم كلُّه خطابَكَ المريح للطوائف، وعملَكَ الجليل في سوريا يوم كنتَ تشفع للمعتقلين وكنا نحن معهم، والذي تكلَّم في شأننا الشيخ سارية الرفاعي.

فقلتُ: هذا واجبي تجاه أبناء وطني الذين أصابهم جميعاً ظُلْمُ النظام وإجرامُه، وتجاه مَن زهد بكلِّ المغريات وهو يرى الظلم من قتلٍ واعتقالٍ وتعذيب، فإنَّ مثل هؤلاء ينبغي أن نحترمهم ونجلَّ موقفهم الذي إن دلَّ على شيءٍ، فإنما يدلُّ على نفوسٍ طيبةٍ ملؤها الحب والتطلُّع إلى مستقبلٍ لسورية، يساهمون فيه بأعمالٍ فنيَّةٍ تهدف إلى إصلاح المجتمع الذي أفسده النظام خلال عقود من الزمن.

وربما كانت هذه الشريحة كغيرها من الشرائح -بما فيها شريحة المشايخ- أداةً لتنفيذ أفكارهم الهدامة، وعلى سبيل المثال: مسلسل (ما ملكت أيمانكم)، فقد كان بتوجيهٍ من الدولة عموماً، ومن آصف شوكت بالذات، والذي علم بأن الدكتور البوطي -رحمه الله- قد دعا على المخرج الذي كان مسلسله مثار استهزاءٍ وسخريةٍ بالدِّين وأهل الدِّين، حيث كان بطل المسلسل (أبو توفيق)، وهي كنية الشيخ الدكتور، وكان المسلسل يضع صورة جامع الإيمان الذي يُدرِّس فيه الشيخ، فكان فيه الغَمْزُ واللَّمزُ بالشيخ الدكتور البوطي، وبالداعيات اللاتي يدعمهن الشيخ في عملهن، فما كان من آصف شوكت إلا أن دعا الدكتور للقاءٍ به مُظهِراً للانزعاج قائلاً: لماذا تدعو على المخرج، وما أراد الإساءة ولا قصدها، وبعد كلِّ هذا التودُّد من آصف شوكت للشيخ، قال له: سأدعو الآن المخرج لتعتذر منه؛ لأنَّكَ ظلمتَه، وجاء المخرج ليُسلِّم على الشيخ الذي عُرِف بطيب قلبه، مما جعله يعتذر من المخرج.

علماً بأنني وعلى المنبر هاجمتُ المخرج نجدت أنزور، وهو يعرفني وأعرفه، وقد زارني وزرته حين وقع في مشكلةٍ عائليَّةٍ، وجاء إليَّ مع صديقه المنتج، ورجاني أن أذهب إلى

بيته لتسمع زوجته الحكم الشرعي منِّي مباشرةً، فذهبتُ، وكنتُ أنصحه وصديقه المنتج قائلاً:

إنَّكم بمسلسلاتكم تدخُلون إلى كلِّ بيتٍ، وتؤثِّرون بالرجل والمرأة والشباب والكبار والصغار، فإياكم أن تكونوا سبباً في الإغواء، وربُّنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

وقد وعدني بالاهتمام بالمسلسلات التي تتناول رجال التاريخ، وما فيه من عِبَرٍ وعِظاتٍ، وكذلك صديقه المنتج الذي كان معه، لكنه أخلف الوعد لما استجاب لآصف شوكت وهو يُسيء لدين الأمة ورموزها.

خوف الطائفة العلوية واعترافهم بكذب النظام وأجهزته:

في بداية الثورة اتَّصلت بي امرأةٌ وصوتها مرتفعٌ تقول: أرجوكَ خلِّصْنا، فاستغربتُ من طلبها، وقلتُ: يا أختي، أتعرفين مع من تتكلَّمين، وأنا مواطن كغيري؟ قالت: نعم مع الشيخ سارية، المهم أريد أن أزورك، قلتُ لها: اتَّصلي بعد يومين، قالت: أرجوكَ أريد اليوم، قلتُ لها: ربما لا أعود حتى العاشرة ليلاً، قالت: آتيكَ في العاشرة، قلتُ: إذن تستقبلكِ زوجتي لو تأخَّرتُ.

وبالفعل جاءت والتقيتُ بها، فسألتُها: من أنتِ؟ قالت: أنا مُوظَّفةٌ في التلفزيون العربي السوري، وأنا من الطائفة العلويَّة، والتلفزيون عندنا مؤسسة الكذب والدجل، قلتُ: أعلم ذلك، قالت: أنا موظَّفةٌ كبيرةٌ في التلفزيون السوري، ووالله والله إن معظم الأخبار فيه كاذبةٌ.

ثم قالت: أنا خائفةٌ على أولادي أرجوكَ أرجوكَ، وهي تبكي أكثر من نصف ساعةٍ

قائلةً: أنا خائفةٌ، قلتُ: خائفة ممَّن؟ إن كان من أهل السنة الذين يُشكِّلون ٨٥٪ من عدد السكان؛ فأنا أقول لكِ: إن هذه النسبة منذ عشرات السنين بل مئات السنين، فهل سمعتِ بأن أحداً من الأكثرية أساء إلى واحدٍ من الأقليَّة لمجرَّد أنَّه من الأقليات؟! هل سمعتِ بأن قتلاً في بلادنا على الهوية قد حصل؟! وذلك لأن ديننا الحنيف حذَّر من ذلك.

ثم قالت: إن الطائفة العلوية لم تستفِدْ من هذا النظام الحاكم، والمستفيدون هم أصحاب النفوذ، ونحن كطائفة نتحمَّل التَّبِعات، ونعيش على الفُتات.

دعم النظام للطائفة العلوية جمعية البستان:

طلب مني الدكتور سامر درويش رئيس جمعية البستان أن يزورني في البيت، فرغبتُ أن تكون الزيارة في مجمع مشروع حفظ النعمة الخيري، المنظَّم والمنضبِط بضوابط النُّظُم الإدارية الدقيقة في موارده ونفقاته وطريقة التوزيع، وتكريم الفقير في اختياره الألبسة مثلاً عبر صالةٍ قلَّ نظيرها في الأسواق الراقية، حيث يختار بنفسه الموديل واللون والقياس.

كان الدكتور سامر في ذهولٍ وهو يتجوَّل في فروع المشروع، ثم قال: إن مشروعكم هذا ليس له نظيرٌ في بلدنا، قلتُ له: إنني لم أسمع بجمعية البستان من قبل، فأرجو إعطائي لمحةً عنها، حدِّثْني كم ميزانيَّتها؟ قال: مليار ليرة سورية، قلتُ له: هل تجمعون الميزانيَّة من التبرُّعات؟ قال: لا، بل هو من مال الأستاذ رامي مخلوف الخاص، قلتُ: ومَن هم المستفيدون؟ قال: الطائفة العلوية، ثم قال لي: أقول لكَ بصراحةٍ يا شيخ سارية: إن الرئيس قال للأستاذ رامي: أرغبُ أن تضع مليار ليرة أخرى للميزانية تُوزَّع على فقراء دمشق وريفها، وأن يكون توزيعُها عن طريق الشيخ سارية، فقلتُ له: هذا ما

لم أكن أتوقَّعُه، وهو أن تتعاملوا مع أشخاص، فالواجب هو أن تتعاملوا مع مؤسسات، فمشروع حفظ النعمة له مجلس إدارةٍ وهيئة عامة، أما سارية الرفاعي فهو شخصٌ كان رئيساً لمجلس الإدارة في المشروع، ثم صدر قرارٌ من الدولة بإقالته، والآن أنا خارج المشروع رسمياً، فكيف تتعاملون معي وتعرضون عليَّ مليار ليرة سورية؟!

ولقد التقيتُ برامي مخلوف الذي قال لي: أنا جاهزٌ لأيِّ طلَبٍ تطلبُه مني.

إنها الإغراءات التي يُدَغْدِغون بها عواطف الضُّعفاء، ولكنَّ الله ثبَّتنا بتربية والدي - رحمه الله- وبدعوات الصالحين، جزاهم الله خيراً.

حوارٌ مع دبلوماسيٍّ إيرانيٍّ:

كنتُ مدعُواً لحضور مؤتمر حوار الأديان في إستانبول رَغم عدم قناعتي بكل هذه المؤتمرات، فحضرتُ لضرورة الظرف الذي يعيشه الشعب السوري.

وخلال الاجتماعات سلَّم عليَّ رجلٌ عرَّف بنفسه قائلاً: أنا إيراني، وكنتُ في السفارة الإيرانية في دمشق، وقال: إنني أحبُّكَ وكنتُ أحضر دروسكَ وخُطبة الجمعة في جامع زيد، وأعتقد أنه يقول هذا تقيَّةً، قلتُ: أهلاً ومرحباً بكَ، ودخل في الموضوع يريد أن يقنعني بدعم إيران للنظام الذي يدعم المقاومة، قلتُ له: هل تتكلَّم جاداً؟ وهل أنت مُقتنعٌ بما تتكلَّم به؟

أليس مذهبكم الشيعي يُكَفِّر النُّصَيريين؟

أنسيتَ أن جمهورية إيران اسمها: الجمهورية الإسلامية الإيرانية؟

ألا تعلم أن الشعب السوري تعاطفَ مع حسن نصر الله الذي تدعمه إيران، حتى افتتن به الشعب السوري الخاصة منهم والعامة، فأسألك: هل يتوافق عنوان جمهوريتكم

مع دَعم النظام النُّصيري الكافر بفتوى علمائكم؟

وهل يتوافق عنوان جمهوريتكم وعنوان حزب الله مع دعم نظامٍ يمنع الصلاة في الجيش، ويسُبُّ الدِّين والذات الإلهية على عدد أنفاسه؟

لكنني أقول: إن حزب الله وجمهوريتكم الإسلامية وأتباعكم سقطتم من عيون الشعوب الإسلامية، لا بل من عين الله، وأعتقد أنكم خسرتم تعاطفاً كبيراً من الشعوب معكم ومع مذهبكم الذي تسعَون لنشره في بلاد الإسلام والمسلمين، لكن السياسة وحُبَّ التوسُّع لإمبراطوريتكم أنساكم ما تدَّعون من حُبِّ رسولكم وآل بيته، وهذا من قلَّة التوفيق بأن تقدِّموا السياسة على دعوتكم ونشر مذهبكم، فوالله إن خسارتكم لا تُعوَّض بمئات السنين، ولكن الله تعالى أراد أن يرحم الأمة من أن تنزلِقَ، فتتشيَّع لو أنكم وقفتم مع الشعب السوري، وأخذتم على يد بشار الأسد، فظهرَتْ حماقتكم وحماقة حسن نصر الله في سَفْكِ دماء أهل السنة؛ لينكشف حقدكم على أهل السنة في سوريا وأنحاء العالم الإسلامي.

فقال الرجل الإيراني: إن إيران بذلت قُصارى جهدها مع النظام للإصلاح، لكن المظاهرات المسلَّحة حالت بين المساعي وتحقيق الإصلاح.

فقلتُ: أيَّ إصلاحٍ تريد؟ إصلاح نظام حزب البعث الذي تجذَّر فيه الكفر والضلال، والذي فقد الشعب السوري ثقته به، حيثُ إنَّ معظم استحقاقات الدولة للمنتسبين لهذا الحزب، ولا استحقاق لبقية الشعب مهما كانت الكفاءات إلا في الفُتات.

والمستغرَب أن ترى دولة إيران وحزب الله يُرسلون مَن ينادي بقوله: (يا لَثارات الحسين)، وكأنَّ الشعب السوري هو الذي قتل الحسين رضي الله عنه وهم يُريدون الثأر للحسين بقتل هذا الشعب الضعيف.

وقد حدَّثتنا امرأةٌ جاءتنا من حمص قائلةً: والله والله لقد ذهبتُ إلى أسرتي في ريف حمص، فوجدتُ شباباً يضعون عصابةً على جباههم كُتب عليها: (يا حسين)، يدخلون على البيوت، ومنها بيت ابنة أختي.

تقول: فرأيتُ الطفل مذبوحاً على صَدْر أمِّه التي ذبحوها أيضاً.

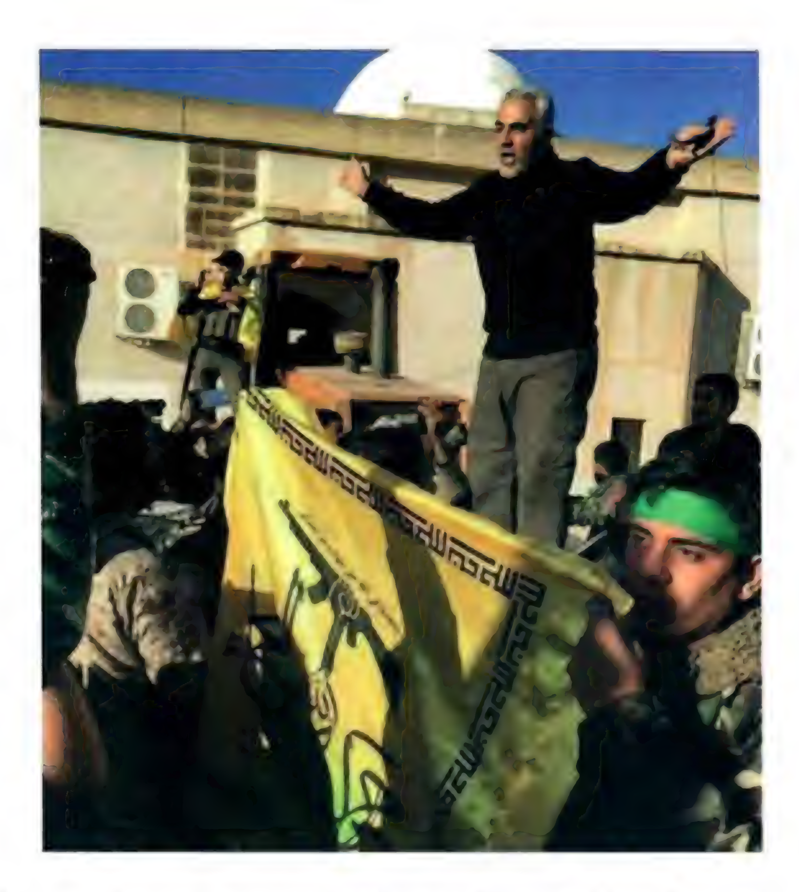
لقد سمعنا الكثير من هذه الفظائع في كلِّ مكانٍ حلَّ فيه شيعة إيران ولبنان.

الشِّيعة بين أهل الشام:

لقد عاش الشِّيعة -وهم أقليَّةٌ في بلادنا- مع الأكثريَّة بكل حبٍّ واحترامٍ وبدون تفريق، هل لأنهم جاهلون بما يقوله أئمتهم عن أهل السنة؟ وبالتالي أرسل بعضهم أولادهم إلى مساجدنا لحفظ القرآن الكريم، كما سجل كثيرٌ من السنة أبناءهم في مدارس الشيعة، أم لأنَّ أهل السنة لم يقرؤوا ما قاله أئمة الشيعة وعلماؤهم فاستقبلوهم أحسن استقبال؟

أما وقد كشَّروا عن أنيابهم، وقد سنحت الفرصة لشيعة إيران والعراق ولبنان، فذبحوا أطفالنا ونساءنا رَغم ما كان من الشعب السوري حين وفد إليه سكان الجنوب اللبناني، حيث فتحوا بيوتهم ومزارعهم ومدارسهم، ولم تُنصَب لهم خيمةٌ في سوريا؛ ليعلموا أنهم بمثابة الأهل جاؤوا إلى بيوتهم.

لقد كنتُ في جمعية حفظ النعمة واحداً ممَّن تفاعل في خدمة الإخوة القادمين من جنوب لبنان فارِّين من الموت، ولقد اتصل بي أثناء وجود الشيعة اللبنانية ضابطٌ في القصر الجمهوري، وقال: يا شيخ سارية، أتعرف الجهة التي قدِم منها هؤلاء اللبنانيون؟ ففهمتُ ما يريده وقلتُ له: تريد أن تقول: إنهم شيعة فكيف نساعدهم؟!



قاسم سليماني، زعيم مليشيا الحرس الثوري الإيراني مع عناصره في حي الحاضر بمدينة حماة بعد ارتكاب مجزرة هناك - تشرين الثاني ٢٠١٥

قلتُ: إنني لا أنظر إلى دينهم أو مذهبهم، إنهم هربوا من القَصْفِ، فالواجب عليَّ أن أقدِّم لهم كلَّ ما يحتاجونه، وأن ينزلوا ضيوفاً في بيوتنا ليعلموا أنهم ليسوا لاجئين، بل جاؤوا إلى أهلهم.

وبعد انتهاء الأزمة أقام القصرُ الجمهوريُّ حفلَ تكريمِ للمنظَّمات التي قامت بخدمتهم وإيوائهم، وتكلَّم بشار الأسد، ثم طلب الجميع منِّي أن أتكلَّم باسمهم، فتكلَّمتُ حيث كانت سيارات مشروع حفظ النعمة تجولُ حاملةً الدواء والغذاء والكساء لتقدِّمه لإخوانهم شيعة لبنان، ولكن ويا للأسف جاؤوا في أزمتنا ليكافئونا بقتل أطفالنا وسفك دمائنا!

لقد افْتُتِن الناس بحَسن نصر الله لمواقفِه تجاه إسرائيل، وأشكرُ الله تعالى الذي حفظ أهل الشام من هذه الفتنة - فتنة التَّشيُّع -، حيث انكشف اللِّثام عن هؤلاء الذين يتقرَّبون إلى الله بقتلنا، ونحن في نظرهم كفارٌ أنجاسٌ، دماؤنا وأموالنا حلالٌ لهم.

والتاريخ حدَّثنا الكثير عن الصَّفَويين، وكيف قتَل إسماعيلُ الصَّفَويُّ آلافاً من سُنَّة إيران، كما حدَّثنا عن القرامطة وجرائمهم وما فعلوه في مكة المكرمة، وتآمرهم مع الصليبين ضد المسلمين، لكن مشكلتنا أننا لا نقرأ، وإذا قرأنا فسرعان ما ننسى.

أهل السنة في نظر الشيعة:

لقد كنا في شبابنا مُغَيَّبين عن حُكْمِ الشيعة في أهل السنة والجماعة، ومُغَيَّبين عن تاريخهم الأسود، ولقد درَسْنا في الأزهر، فكنا نجد المشايخ يُشَيِّدون بالشيعة، ولعلَّهم ينخدِعون بكذبهم والتَّقِيَّة التي كانت من أفضل العبادات عندهم، فكانوا يُخفون كراهِيَّتهم لعلماء الأزهر، بل يُوقِّرونهم ويحترمونهم، فينخدعون بهم، وإذا سألوهم عن أقوال علمائهم في أهل السنة، يقولون: دعونا مِن أقوالٍ لا قيمة لها، ونحن وإياكم إخوةٌ في الدِّين، فإلهُنا واحدٌ، ونبيُّنا واحدٌ، وكتابُنا واحدٌ، وهناك خلافٌ تاريخيٌّ ينبغي علينا أن نتجاوزه دون ما يتداوله الناس من كلامٍ بحقِّ أهل السنة وكلامٍ بحقِّ الشيعة، ونحن بحاجةٍ للتَّقاربِ، حيثُ إنَّ عدوَّنا واحدٌ يتربَّص بالشيعة وأهل السنة الدوائرَ، ويسعى للإيقاع بيننا.

ولقد ذكرتُ عن تعاملنا مع الشيعة في بلادنا، حيثُ كنَّا نُطعِمُ جائعهم، ونؤوي لاجئهم، ونوقِّر سادتهم وعلماءهم، ولا نعلم خفايا حِقْدِهم ومكرِهم، وأقوال أئمتهم وعلمائهم التي صدَّقها الواقع بالثورة السورية الفاضحة لمذهبهم التكفيري؛ وذلك لما يعتقدونه من أن قتل النواصب وأهل السنة من أقرب القُرُبات.



لطمية شيعية في مقام السيدة زينب بريف دمشق مع مظاهر تؤكد الاحتلال الإيراني لسوريا - تشرين الثاني ٢٠١٥

بدأ الشباب يقرؤون عن هذا المذهب وأتباعه، وخاصَّةً مجوس إيران، الذين خَدَعوا أيضاً شيعة سورية والعراق، وأغرَوهم بالمال والسلاح، وذكَّروهم بما نُسِب إلى أئمَّتهم كذباً وافتراءً في حقِّ أهل السنة، وأثاروها طائفيَّةً مَقيتةً، ذكَّروهم بما دوِّن في كتبهم: «وسائل الشيعة» و«بحار الأنوار»، وما قاله الكُلَيني: بأن الناس كلهم أولاد زنا -أو قال: بغايا- ما خلا شيعتَنا.

وما قاله نعمة الله الجزائري الشيعي لما سُئِل عن النواصب أهل السنة، فقال: إنهم كفارٌ أنجاسٌ بإجماع علماء الشيعة الإمامية، وإنهم شرٌّ من اليهود والنصارى، ولهذا أباح الشيعةُ دماءَ أهل السنة وأموالَهم.

وما ورد عن داود بن فرقد قال: قلتُ لأبي عبدالله: ما تقول في قتل النواصب؟ فقال: حلال الدم، ولكنِّي أتَّقي عليكَ، فإن قدرتَ أن تقلب عليه حائطاً، أو تُغرِقه في ماء لكي

لا يشهد عليكَ؛ فافعل.

وقد علَّق الخُميني على هذا بقوله: فإن استطعتَ أن تأخذ ماله؛ فخذه وابعثْ إلينا بالخُمُس!

فليس عجيباً أن نرى الشيعة يُذبِّحون الأطفال على صدور أمهاتهم، ثم يُذَبِّحون أمهاتهم، وقد كتبوا على جباههم: (لبيك يا حسين)، إنهم يعتقدون أن قتل أهل السنة -وهم ألدُّ أعدائِهم- من أقرب القُرُبات إلى الله تعالى.



عناصر من المليشيات الشيعية داخل مدينة دمشق - آب ٢٠١٤

ولقد قلتُ وأقول: بأن أهل السنة، أو أن المسلمين لَمَّا شهِدوا دَعْمَ إيران للمقاومة ولحزب الله في لبنان؛ كاد كثيرٌ من الناس أن يتشيَّعوا لِما رأوا من تضحياتٍ، لكن الله تعالى أراد بأهل الشام خيراً، عندما رأوا جرائمَهم وهم يَدْعَمون مَن كان في نظرهم كافراً

(العلويين)، والطائفةُ النُّصَيريَّة (العلويُّون) هي فرقةٌ كافرةٌ في نظر أئمتهم وعلمائهم.

فلو أن إيران ناصرَت الشعب السوري لتشيَّع كثيرٌ من الشعب السوري، ولكن الله أراد الخير ونحن في هذه المحنة؛ لينكشف زَيْفُ هؤلاء وبغضهم وكراهيتهم لنا، ولله الحمد.



مقاتلون من المليشيات الشيعية على مداخل الغوطة الشرقية - أيار ٢٠١٥

لقاءاتٌ مع كبار المسؤولين، واستنكارهم لما يقوم به رجال الأمن:

جرت في الأشهر الأولى من الثورة لقاءاتٌ مع بشار الأسد، ومع مكتب الأمن القومي، ومع آصف شوكت، وهشام اختيار، ومع عادل سفر رئيس الوزراء وغيرهم، وسأسرد ما كان بيننا من حوارٍ لتفادي بركان الغَضَب لدى الشعب.

لقاء العلماء مع بشار الأسد:

فأما اللِّقاء مع بشار الأسد، فقد كان بعد خُطبةٍ ألقيتُها قبل الثورة بتاريخ

٢٨/ ٢/ ٢٠١١م، تكلَّمتُ فيها عن الفساد والإساءة للدِّين وأهل الدِّين والالتزام، مُنتقِداً تصرُّفات الأمن والحكومة والمسؤولين، قلتُ فيها: ولقد حِيل بيننا وبين الرئيس، فما كان من النظام إلا أن بادر إلى تحديد موعدٍ للعلماء مع بشار الأسد، وأذكُر أن الدكتور البوطي قبلها كان يطلب لقاءً معه خلال خمس سنواتٍ، فلا يُستجاب له.

ولكن الدولة لا تتحرَّك إلا برفع الصوت، وخاصَّةً في ظَرْفٍ تخشى فيه الدولة أن يُصيبها ما أصاب الدول العربية الأخرى، فبادر وزير الأوقاف بالاتِّصال بي قائلاً: إن اللقاء مع السيد الرئيس غداً، وبلِّغ السادة العلماء، والتقينا في القصر، وكان العدد لا يقلُّ عن ثلاثين عالماً، تحدَّث الجميع عن إساءات الأجهزة الأمنيَّة ومُلاحظاتٍ أخرى.

وفي هذا اللِّقاء جرى الحديث عن خُطبة الجمعة في جامع زيدٍ، والتي تكلَّمتُ فيها عن إساءة الكثير من المسؤولين، فقال لي بشار: إن خطبتك كانت تحريضيَّةً، خصوصاً أنها جاءت في وقتٍ غاية الحساسية، فقلتُ له: هذا اجتهادُك واجتهادُ أجهزتك الأمنيَّة، لكن اجتهادي كان للتحذير المبكِّر خوفاً من ثورةٍ عارمةٍ، كما حصل في بعض البلاد العربية.

وقلتُ: على الدولة أن تتداركَ الأمر في التصحيح لكثيرٍ من الأخطاء؛ خوفاً من عدْوى ستُصيبنا لا محالةَ، وتحوَّل بعد ذلك اللِّقاءُ لمواضيع أخرى لينتهي بعد ثلاث ساعاتٍ أو يزيد.

ولم يمضِ شهرٌ أو شهران إلا واندلعت المظاهراتُ، ورافقها العُنْفُ من الدولة، والذي جَعَلنا نوجِّه النُّصْح للشباب الثائر، وكذلك النُّصْح للأجهزة الأمنيَّة في تعاملها مع المتظاهرين، وكان الخِطاب قاسياً على هؤلاء وهؤلاء؛ لأن واجب العلماء كما ذكرتُ هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوبٍ يتقبَّله الجميع؛ إذ لو كان النُّصْح للشباب فقط؛ لَثاروا علينا قائلين: ألا ترَون الظُّلْم من الدولة، فيزدادوا ثورةً وغلياناً.



أحد اللقاءات التي أجراها رأس النظام بشار الأسد مع مشايخ دمشق - تموز ٢٠١٦



لقاء رأس النظام بشار الأسد مع العلماء خلال افتتاح مركز الشام الدولي لمكافحة الإرهاب - أيار - ٢٠١٩

لقاءٌ خاصٌّ مع بشار الأسد:

ومع ازدياد الوَضْع الأمنيِّ تفلُّتاً وفوضى، أرسل بشار الأسد إليَّ وإلى أخي الشيخ أسامة طلَباً للقاءٍ خاصٍّ، فذهبنا، وعند اللقاء قال: أنا اليوم أريدُ أن أسمع منكما: ما الذي يجري في البلد وما سببُه؟ فقلنا له: إنه الفساد الذي عمَّ كلَّ جوانب الحياة، فالقضاء فاسدٌ بنسبة ٩٥٪ بإقرار اللواء بهجت سليمان رئيس فرع الأمن الداخلي، وإن مخافر الشرطة أضحت عصاباتٍ، وقد قلتُ لوزير الداخليَّة: أتمنى أن أحرق كلَّ مخافر الشُّرطة؛ لأن المظلوم فيها يتحوَّل إلى ظالمٍ، والظالم إلى مظلومٍ بحسب المبالغ التي تُدفَع لهم، كما أنَّ المعاملات مهما صغُرت أو عظُمَت لا يمكن أن يستلِمَها صاحبها إلا بعد دفع رسوم الدولة ورسومٍ أخرى يأخذها الموظَّف جهاراً نهاراً! فإن كان هذا على مستوى الدوائر المدنيَّة؛ فكيف بالأجهزة الأمنيَّة التي تقوم بعمليَّة ابتزازٍ لأهل الموقوف بمئات الآلاف تُدفَع لإطلاق سراحه، أو عشرات الآلاف لمجرَّد رؤيته أو زيارته.

وهذا كلُّه يجري في البلد على العامَّة والخاصَّة وكلِّ الشَّرائح، لكنَّ شريحة المتديِّنين أصبحت مُستهدفةً في وظائف الدولة، فمنذ أسابيع صدرت قائمةٌ من اثنين وخمسين موظَّفاً في المحافظة سُرِّحوا من وظائفهم لتديُّنهم، وألفٌ ومئتا امرأة يُدَرِّسْنَ في التعليم أُحِلْنَ إلى البلديات لحجابِهنَّ ونقابهنَّ، وهنَّ شريحةٌ في المجتمع لا يُستهان بها.

قال: نعَمْ، لقد حدَّثوني بأنَّ أفكارهنَّ سلَفيَّةٌ، فقلتُ له: إن بناتي وأخواتي مُنَقَّباتٌ، فهل هنَّ سلَفيَّاتٌ؟ قال: هكذا حدَّثوني، ثم قال: ماذا أيضاً؟ يُبدي اهتمامَه.

قلنا: وإنَّ المراكز التجاريَّة تودُّ تخصيص مكانٍ للصلاة، فمُنِعوا من ذلك، فهل يجوز هذا في دولةٍ دينُها الإسلامُ؟!

ثمَّ حدَّثْناه عن قناة الدعوة التي بثَّت لمدَّة ستة أشهرٍ، ثم أُغْلِقَتْ وصُودِرَتْ مُعدَّاتها،

كما حدَّثْناه عن المعاهد الشرعيَّة التي لم يُعْتَرَفْ بها منذ أكثر من أربعين عاماً رَغم المطالب الحثيثة.

فقال: لا حرَجَ، وإنَّني اليوم سأُصْدِرُ مراسيمَ بإعادة المدرِّسات المنقَّبات، وبإعادة القناة الدينيَّة، والاعتراف بالمعاهد الشرعية.

ومن الإنصاف أن نقول: إن الثورة كانت سبباً في دَعْم المعاهد والمؤسَّسات الدينيَّة، أقرَّ المشايخ ذلك أم لم يُقِرُّوا.

وفي نهاية اللقاء معه قال: أعلَمُ أنَّ لكم مكانةً في قلوب أهل درعا، فهل لكم أن تُقابِلوا وُجَهاءهم لمعرفة مطالبِهم، وأعِدُكم بتنفيذها؟

وانتهى اللِّقاء وانصرَفْنا، وبعد ساعةٍ يتَّصل بي وزير الأوقاف قائلاً: هل كنتم عند السيد الرئيس؟ قلتُ: نعم، قال: إن السيد الرئيس كان مُتجاوِباً معكم، وقد أصدر مراسيمَ عِدَّةً تتعلَّق بالمُنَقَّبات المُدَرِّسات والقناة الدِّينيَّة على أن يكون الشيخ سارية مُشْرِفاً عليها.

قلتُ له: لقد اعتذرتُ، وخاصَّةً بعد الإساءة لي فيما يَخُصُّ القناة.

قال: وكذلك صدر مرسومٌ يتعلَّق بالمعاهد الشرعيَّة والاعتراف بشهادات التخصص الجامعيَّة.

قلتُ: الحمد لله، وهذا من فضل الله وبفضل الثورة التي قامت على أيدي الشَّباب، وراح ضحيتها شهداء.

ذهابُنا إلى درعا للتهدئة والوعد بإنجاز المطالب:

رَغْبةً منا بتهدئة الموقف، وعدم التصعيد في قتل المتظاهرين، استجَبْنا لطلَب بشار

الأسد وهو يقول لنا: أنا أعلم أن لكم شعبيَّةً كبيرةً في حوران، فربما يكون لذهابكم أثرٌ في التَّهْدِئة، وأنا أتعهَّد بتنفيذ مطالبهم، قلنا: هو ذلك إن كان كذلك.

سألَنا: هل ترغبون في أن نُرتِّب لكم وسائل النَّقل وسائر الخدمات، أم لكم رأيٌ آخرُ؟ قلنا: بل نذهب بسياراتنا، ولا حاجةَ لتَعْقيدِ الأمور، لا سيَّما ونحن بطبيعتنا نرغب بالبساطة في كلِّ شؤوننا من سفرٍ ولقاءاتٍ، قال: إذن سنتواصل مع الجهات الأمنيَّة والإداريَّة لتقديم مايلزم لكم.

انطلَقْنا بسياراتنا مع بعض الشباب، وكانت درعا آنذاك في قِمَّة الغلَيان، لكن الواقع المؤلِم يُملي علينا أن لا نتردَّدَ في حَقْن الدماء والحفاظ على أطفال درعا الذين سجنهم النظام، وقتَلَ بعضهم تحت التعذيب الشديد، وتخفيف معاناة آبائهم الذين سمعوا استفزاز رئيس الأجهزة الأمنيَّة في درعا الذي قال لهم عندما طالبوا بأطفالهم: (عليكم بنسيان أولادكم، وإن شئتم فابعثوا بنسائكم لنُنجِبَ لكم أطفالاً آخرين مؤدَّبين!)، الأمر الذي ولَّد احتقاناً كبيراً في بلَدٍ له كرامته وشرَفه، البلد الذي يجعل رجاله يقتلون دون أعراضهم التي نالها عاطف نجيب رئيس المخابرات بلسانه القذر، وكنتُ قد كلَّمتُ بشار الأسد عن قذارته وبذاءة لسانه واستفزازه لأهل درعا، فقال: هو ابن خالتي (أزعر وشلناه).

لكنَّنا لما وصَلْنا درعا، انطلَقْنا مُباشرةً إلى مجلس المحافظة الذي أعدُّوا فيه اللِّقاء مع وُجَهاء حوران ومُدُنِها الثائرة، وقد اجتمع ما يزيد على ستين رجلاً من علمائهم ومثقَّفيهم، وتناوبوا الحديث، حيث قال أحدهم:

إننا نرحِّب بالشيخين أسامة وسارية، ووالله لو جاء معكم مسؤولون في الدَّولة لَما استقبلناكم، ولو جاء معكم مشايخ مؤيِّدون للنظام لما استقبلناكم.

وتكلمَّ آخر قائلاً: لا نقبل إلا أن يأتي بشار الأسد بنفْسِه، ويعتذر عما صدرَ من ابن خالته، وتوالت الكلمات مُطالِبين بمحاكمة عاطف نجيب الذي تكلَّم في أعراضهم، وسجَنَ أطفالَهم، ومات بعضهم تحت التعذيب؛ مثل الطفل (حمزة الخطيب).



مئذنة الجامع العمري في درعا بعد تدميرها من قبل قوات النظام - نيسان ٢٠١٣

وأخيراً تكلَّم الشيخ أسامة شاكراً لهم حُسْنَ استقبالهم وصِدْقَ محبَّتهم، ثم قال: إن بشار الأسد وعد بتنفيذ مطالِبكم، ونحن لا نتعهَّد بشيءٍ، بل ننقل إليكم ما وعد به.



من مظاهرات أهالي درعا المطالبة بالحرية وإسقاط النظام - آذار ٢٠١٢

وفي نهاية اللِّقاء قدَّموا قائمةً لما يطلُبونه تشتمل على أربعة عشر مطلباً في غاية البساطة منها: تغييرُ المحافظ، وتسميةُ المشفى الوطني باسم (الشهيد. الدكتور مسالمة) الذي قتلته الأجهزة الأمنية، والسماح بحفر آبارٍ دون إتاواتٍ.

وبعد عودتنا رفَعْنا قائمة طلباتِهم إلى القصر الجمهوري يوم الأربعاء، وكان الجواب يوم الجمعة بقتل ٤١ شهيداً في مدينة الصَّنَمين، ما جعلَني أُقسِمُ يميناً أن لا أزوره بعد الآن، ولا ألتقي بأحدٍ من ضباط الأمن؛ لأننا أدرَكْنا بأن المؤامرة على سوريا كان أحد مُنَفِّذيها النِّظامَ نفْسَه، لقد أدرَكْنا بأنهم لا يقيمون لنا وللشعب وزناً، فلماذا اللقاء؟!

لقاؤُنا مع أعضاء مكتب الأمن القومي:

بعد لقائنا مع بشار الأسد توالت بعده لقاءاتٌ مع أعضاء مكتب الأمن القومي في مكتب اللواء علي مملوك، بحُضور اللواء هشام اختيار، واللواء عبد الفتاح قُدْسِيَّة، وكنتُ بمعيَّة أخي الشيخ أسامة فقط.

بحَثْنا العديد من القضايا التي أثارت الشارع، والعُنْف المتزايد في حقِّ المتظاهرين، وقلنا: بأنه لا يُمكن للعلماء أن يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء مئات الشهداء الذين يُقْتَلون في المظاهرات السِّلْمِيَّة، وبالتالي نجد لزاماً علينا أن نُصْدِرَ بياناً ندعو فيه الجميع لتحمُّل المسؤوليَّة، وعلى رأسهم الأجهزة الأمنيَّة، لكنهم كانوا يُصِرُّون على أن العصابات المسلَّحة هي المسؤولة عن هذه الدماء.

فقلتُ لهم: ما من دولةٍ في العالم إلا وتُعاني من العصابات المسلَّحة، وربما يكون الحدُّ من نشاطها خلال أيَّامٍ أو أسبوعٍ، ثم يشعُر الناس بالأمن والأمان، في حين أن دولتنا لم تستطع أن تقضي على ما تزعمون من عصاباتٍ مُسلَّحةٍ منذ سنةٍ أو يزيد، وكنا نُصِرُّ على أن القتل لا من طرفٍ يُدعى العصابات المُسلَّحة، بل من الأجهزة الأمنية نفْسِها.

ودام النقاش إلى ما بعد منتصف الليل، وغادَرْنا المكان بعد أن حاولوا أن يأتوا بعشاءٍ، فاعتذَرْنا وانتهى اللِّقاء.

لقاءُ العماد آصف شوكت وهشام اختيار:

وبعد شهرٍ التقَيْنا بالعماد آصف شوكت، والذي يُعتبَر في نظَر السوريين الرجل الثاني في الدولة، لكنَّ النِّظام لا يعرف ثانياً ولا مُقرَّباً، فقد يجد الحاكم أن هذا يُنازِعُه الحُكْم، أو له اعتراضٌ ما على تصرُّفات الرئيس، فيمكن أن يقتله مهما كان وزنه، ولقد قتل النِّظام قبله ذوي رُتَبٍ ومراكز في الدولة؛ مثل غازي كنعان، ومِن قبله شخصيَّات ومِن بعده كذلك، فأين اللِّواء هشام اختيار، وأين رستم غزاله حاكم لبنان، ومن قبل رئيس الوزراء محمود الزعبي وغيرهم كثير؟!

وأنا أنصح جميع الضباط الكبار بأنَّ وجودَكم في الحُكْم قد يكون سبباً في تَصْفِيَتِكم مهما كان ولاؤكم وإخلاصكم، فلا يدري أحدكم متى سيكون الوداع، ولا أستثني من هذا المصير أحداً، حتى رئيس الدولة إنْ تردَّد في تنفيذ الأوامر الصَّادرة عن إيران، أو سواها من الأوصياء على بلدنا.

والشاهد أن آصف شوكت كان يتَّصل بي ويطمئنُّ عن صحتي، ويقول: نريد أن نلتقي، فأعِدُه وأُسوِّف كلما رأيته صُدْفةً، وخاصَّةً في التعازي -وكان يحضُر التعازي في وفاة عالمٍ أو وجيهٍ-.

وفي إحدى التعازي التقينا في صالة الحسن، فخرج قبلي وانتظرَني خارجاً، وأخبرني أحد الشباب أن العماد ينتظرُكَ، فقمتُ إليه وقلتُ له: خيراً؟ قال: لا شيء، أريد أن أودِّعكَ وأُذكِّركَ باللقاء مع الشيخ أسامة، قلتُ: خيراً.

واتَّفقتُ مع الشيخ أسامة أن نذهب إليه في مكتبه في مبنى الأركان، فدخَلْنا إليه،

وجلَسْنا ربع ساعةٍ أو أقل، ثم أخبرنا بأن اللواء هشام ينتظرنا في مكتبه في الروضة، وطلب إلى سائقه أن يقود سيارتنا، وركب هو سيارته يقودُها، وركِبْنا معه وانطلَقْنا إلى مكتب الأمن القومي.

وهناك كنتُ والشيخ أسامة مع الرجلين في غاية الصَّراحة عما يقترِفُه النِّظام من جرائمَ، وعن الظُّلْم والفساد الذي هيَّجَ الشباب في كلِّ مكانٍ، لكنهما كانا يتلطَّفان غاية التَّلطُّف، حتى إنني قلتُ لآصف: لماذا تحرَّكت الدبابات لتدخُلَ المُدُن والقرى؟! فقال: من أجل هَيْبَةِ الدولة، فقلتُ له: إنكم بهذا جعلتم هَيْبَة الدولة في الحضيض، والعالَمَ يقول: إن النظام السوري يقتُلُ شعبَه، قال: أتحدَّى أن يُثْبِتَ أحدٌ أن دبابةً واحدةً أطلقَتْ قذيفةً واحدةً، قلت: لا داعي للتحدي، وقد حدَّثني أحد الأطباء قدِم من تل كلخ -التي يسكنها علويون وسنيون- بأنَّ الدَّبابات تحمي شباب العلويين، وهم يَسْطون على بيوت السنة في المدينة، فسكتَ، ولم يُجِب بكلمةٍ واحدةٍ.



شهداء في مدينة حمص إثر تصاعد قمع وعنف عناصر النظام ضد المتظاهرين في مختلف المناطق السورية بذريعة تفجير خلية الأزمة - تموز ٢٠١٢



من تشييع شهداء التظاهرات في بلدة داريا بريف دمشق إثر تصاعد قمع وعنف عناصر النظام ضد المتظاهرين في مختلف المناطق السورية بذريعة تفجير خلية الأزمة - أيلول ٢٠١٢

وخلال اللِّقاء أصَرَّا على تناول الغداء، فاعتذَرْنا لنمضي، ولكنهما أصَرَّا على أن يكون اللقاء مُتَمَيِّزاً بالودِّ بعيداً عن التَّشَنُّج، ولَمَسْنا منهم إرضاءَنا بأيِّ شكلٍ، كنتُ في غاية الاستغراب لهذا التودد من رجلين هما مِن أهمِّ الشُّركاء لبشار الأسد في الحكم.

لَمَسْنا الرَّغْبَةَ في مزيدٍ من الحوار للوصول إلى اتِّفاقٍ، ظانِّين أننا نملِكُ حلَّ المشكلة بتهدئة الشباب، وقد قلنا لهم: إن الحل يكمُنُ في كفِّ أيدي الأجهزة الأمنيَّة، وإطلاق سراح المساجين، ولكننا وجدنا أنهم لا يملكون القرار!

وبعد عامٍ تقريباً، جاءنا خبرُ مَقْتَلِهما في تفجير مكتب الأمن القومي، ثم سمِعْنا بأنَّ النظام هو الذي قام بالتفجير؛ لأنهما كانا يَسْعَيان للحوار مع المعارضة، ولكنَّ قوَّةً فوق قوَّة النِّظام كلِّه هي وحدها التي تملك القرار، فهي التي عطَّلت نتائج مؤتمر الحوار الذي رأسه فاروق الشرع، وهي من وراء العنف والقتل، بدليل دخول كتائب

عسكريَّة من إيران والعراق ولبنان بشكلٍ مُنَظَّمٍ وتدريبٍ مُحْكَمٍ، بخلاف قدوم شباب من أنحاء العالم لمساندة الجيش الحُرّ، والانضمام إلى ألوية وكتائب تجمع العديد من الجنسيات، لا يجمع بينها راية، بل التخطيط من الدول العظمى لقتل الشباب المسلم بأيدي بعضهم، وبسلاح جيش بلادهم، تسانده دولٌ إقليميَّةٌ ودُوَليَّةٌ.



من تشييع شهداء مجزرة مدينة دوما بريف دمشق إثر تصاعد قمع وعنف عناصر النظام ضد المتظاهرين في مختلف المناطق السورية بذريعة تفجير خلية الأزمة - تموز ٢٠١٢

سجون الفروع الأمنية خمس نجوم:

ومن عجيب ما كان بيننا في لقائي وأخي الشيخ أسامة مع آصف شوكت وهشام اختيار في مقرِّ مكتب الأمن القومي: أنَّني ذكرتُ ما يحصل في السُّجون من انتهاكاتٍ لأبسط حقوق الإنسان، وتكلَّمت عن شابٍّ في السابعة عشر من عمره، دخل إلى فرع فلسطين وقد خلعوا ملابسه ليجرِّدوه من إنسانيَّته، وهذا دأبُهم في كلِّ الفروع، لكن خبيثاً من خُبَثاء عناصر ذلك الفرع تبعَ ذلك الشاب وراوده عن نفْسِه، وبعد يومين خرج من السِّجن ليحدِّث أستاذه بما جرى له، ثم حدَّثني أستاذه عن ذلك، وتكلَّمت

مع آصف وهشام وإذ بهما يتفضان -وكان الأمر مستغرباً جداً-، فرفع هشامٌ صوته، وقال: إنْ صدَقَ الشاب فيما يقول فوالله لأعدِمنَّ هذا العنصر ولأقتلنَّه، وجعل كلٌّ منهما يطلب مني أن أُحضر هذا الشاب إليه، لكن العماد آصف أصرَّ وقال لي: أريد أن ترسله إليَّ، قلتُ: خيراً، وجئتُ بالشاب وأستاذه، وقلتُ: تذهبان معاً إلى الأركان إلى العماد آصف شوكت، فبكى الشاب وقال: أرجوكَ أن تعذرني، فأكَّدتُ له أن الأمر لا يَعْدو الاستفسار، لكنه أراد أن يُخبِر أباه، وجاء أبوه يقول: يا أستاذ، أسقَطْنا حقَّنا ولا نريد شيئاً، قلتُ: يا أخي أنا وعدتُهم وأنا ضامِنٌ، فقال: إذن أذهبُ معه، قلتُ: لا حرج، وذهبوا جميعاً ليستقبلهم مدير مكتب آصف شوكت، ويذهبوا برُفْقة ضابطٍ إلى فرع فلسطين ليستقبلَهم رئيس الفرع، وينزل معهم إلى أحد أقبِية الفرع، حيثُ الرُّخام الأبيض والتهوية الجيِّدة عبر أجهزةٍ حديثةٍ، والطعام في الأدراج وكأنَّكَ في الطائرة من الدرجة الأولى، ثم سأله: هل كنتَ هنا، فقال الشاب: لا أبداً، وإن بلاط السجن الذي كنتُ فيه مكسَّرٌ يتخلَّله الإسمنتُ، ثم جعل يستعرض أمامه عناصر الفرع، فلم يَعرِفْ أحداً.

وفي اليوم التالي اتَّصل بي مدير مكتب العماد، وقال: يا شيخ سارية، إن هذا الشابَّ «مُهَلْوِسٌ»، فقلتُ له ساخراً: نعم، وأنا أعرف النتيجة التي وصلتم إليها، والشاب «مُهَلْوِسٌ» كما تقولون.

ورجع الشاب ليخبرني أن السجن الذي كان فيه هو القبرُ بظُلْمَتِه، لا هواء فيه ولا ماء ولا طعام، وأن الذي رآه لا يعتقد إلا أنه سجن في سويسرا أو في بلدٍ حضاريٍّ أو أوروبيٍّ.

وبعد ذلك اتَّصل بي العماد آصف وقال: إن صاحبك «مُهَلْوِسٌ»، قلتُ: نعم، ولقد اعتذرتُ عن إرساله إليكَ، إلا أنَّ إصرارَكَ جعلني أستجيب، ولكن سؤالي لكم يا سيادة

العِماد: بالله عليكَ، هل سجونكم كلُّها على هذا النحو الذي أريتموه لهذا الشاب؟! قال: نعم سجوننا خمس نجوم، قلت له: تريد أن تمزح الآن ونحن نُعاني من أزمةٍ في بلادنا، أزمةِ الكذب على هذا الشعب حتى فيما أصبح بمثابة الخبر المتواتر فيما يتعلَّق بسجون فروع الأمن!



عناصر من قوات النظام أثناء اعتقالهم سيدة من منزلها في حي العسالي لإرغام زوجها وأولادها على تسليم أنفسهم - آب ٢٠١٣

هذه هي دولتنا، وهؤلاء هم حُكَّامنا، وإن الله لا يُصْلِح عمل المفسدين، ومهما صدر منهم من مكرٍ، فإن ربنا يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

ولقد قُتِل كلٌّ من العماد واللواء، وإنني أُبشِّرُ كلَّ مَن يشارك النظام بمَكْرِه وقتله وإجرامه أنَّ نهايته على يد النظام ستكون أسوء مما يتصوَّر، وربما على يد من أيَّده بالظلم و الإجرام.

اللقاء مع العقيد حسام سكر المسؤول الأمني في القصر الجمهوري:

وقد تمَّت لقاءاتٌ مُتعدِّدةٌ مع المسؤول الأمنيِّ في القصر الجمهوري حسام سكر على

أمل أن يُقنِعَنا بالعصابات المسلَّحة، وهي الطَّرَف الثالث التي تريد أن تثير الشارع لتبرئة الجيش وعناصر الأمن من القتل، غيرَ أني لا أظن أن عاقلاً يُصَدِّق بهذا الطرف الثالث الذي يُفجِّر في القرى السُّنِّيَّة دون العلويَّة، والذي يطلق الرصاص على المتظاهرين دون المؤيِّدين في مسيرات الدولة.

وحاول العقيد مع ولدي عمار خلال سبع ساعاتٍ أن يُقنِعَه، فلم يصِلْ معه إلى شيءٍ، إلى أن قال له: بالأمس ذكرَكَ السيد الرئيس وقال: إنه يُريدكَ مع صَفْوةٍ من الشباب، ولعلَّ لقاءً يتِمُّ بينكَ وبين الرئيس، ظناً منه أن هذا يُدغدِغ الرغبة عنده بالجاه العريض لمجرَّد اللِّقاء مع السيد الرئيس، غيرَ أنَّه رفض اللقاء؛ لأن الشاب الذي شاهد أقرانه يُقتَلون أو يُسجَنون ويُعَذَّبون لا يُطاوعُه دِينُه ولا ضميرُه أن يكون له شأنٌ، وغيرهُ على ذاك الحال من الذُّلِّ والهَوان.

لقاءٌ مع عددٍ من أعضاء مجلس الشعب:

بعد خمسة أشهرٍ من الثورة تقريباً، زارني الدكتور سليمان حداد أمين سر مجلس الشعب، والسفير السوري الأسبق في ألمانيا ودولٍ أوروبيَّةٍ أخرى لأكثر من عشرين عاماً، ومعه فاروق أبو الشامات وآخرون وهم أعضاء في مجلس الشعب، ومن القياديين في حزب البعث، وقالوا: نريد أن نتعاون على حلِّ الأزمة، قلتُ: إن الجامعة العربية والاتحاد الأوربي وهيئة الأمم عجزوا جميعاً عن حلِّها، رَغم أنكم في مجلس الشعب أنتم المَعْنِيُّون بمثل هذا الأمر، لكنكم لا تستطيعون، بل أتكلَّم بصراحةٍ، وهو أن الواحد منكم لا يستطيع أن يرفع يده في مجلس الشعب لاقتراح أمرٍ أو إبداء ملاحظةٍ إلا بإذنٍ مُسبَقٍ من القيادة، وأنا أتكلَّم معكم في غاية الشفافِيَةِ دون مُجاملةٍ، هل أنتم تمثِّلون هيئةً تشريعيَّةً في الدولة، أم تُملى عليكم التشريعات لتوافقوا عليها؟

ثم إنكم قياديون في حزب البعث، ولم تتغيَّرْ أشخاصكم في مجلس الشعب، أما مَلَلْتم وقد ملَّ الشعبُ منكم، فابتسموا وقالوا: والله لا مانعَ لدينا من فَسْح المجال لغيرنا، قلتُ: لكنكم لا تستطيعون الاعتزال بإرادتكم، وأودُّ أن أسألكم عن مؤتمر الحوار الذي رأسه فاروق الشرع، وقد مرَّ شهورٌ على انعقاده، فما هي نتائجه؟ لم نعُدْ نسمع عنه شيئاً، فنظر بعضهم إلى بعضٍ وقالوا: المشكلة في عدم المتابعة.

قلتُ: لعلكم وجدتم الخطر يُهدِّدُكم لو استمرَّت هذه المؤتمرات التي تجمع مختلف الفئات في انتماءاتها، والراغبة في المشاركة بالحُكْم، أو يريد النظام أن يبقى الحكم لكم معاشِرَ أعضاء حزب البعث.

ثم قلتُ لهم: كفاكم حُكْم البلاد أربعين عاماً، افْسَحوا مجالاً لغيركم، أو على الأقلِّ شارِكوا الآخرين في حُكْم البلاد، وإياكم أن تظنُّوا أن لنا رغبةً في ذلك، فأنتم تَعْلَمون حَجْمَنا وتأثيرَنا في البلاد، فقالوا: والله إنَّا لنعلم ذلك، ونُعاهِدُكَ على أن لا نتقدَّمَ إلى مجلس الشعب بعد هذه الدَّورةِ.



مظاهرة مليونية في مدينة حماة - تموز ٢٠١١

لقاء اللواء عدنان مخلوف رئيس الحرس الجمهوري السابق:

زارني اللواء عدنان مخلوف المستشار في القصر الجمهوري، فتحدَّثتُ معه عن الأوضاع المؤلمة في البلد، والتي لا يُمكن أن يتصوَّرَها عقلٌ، ولا أن يقبلها إنسان فيه ذرَّةُ ضميرٍ أو إنسانيَّةٍ.

وبعد أن استمع قال لي: هل من الممكن أن تختِصر ما قلتَه في أسطرٍ؛ لتكون رسالةً إلى الرئيس؟ قلتُ: ولِمَ؟ قال: لنسعى إلى لقاءٍ بينكَ وبينه، قلتُ: سبق أن التقينا مراراً معه ومع مكتب الأمن القومي ومُعظم ضباط الأمن، فما وجدنا إلا الضحك على اللِّحى، والله لو علِمْتُ أن الحلَّ عنده لذهبتُ، لكنني أعتقد أنه لا يَملِكُ الحلَّ أو القرار، بل هو المنفِّذ لما يأتيه من إيران.

ثم قلتُ له: لقد طلب مني ومن الشيخ أسامة أن نذهب إلى درعا لنجتمع بوجهائها وأعيانها، ونستمع إلى طلباتهم حتى يُنفِّذَها الرئيس بالكامل، فقلنا: نذهب رَغم التوتر القائم في درعا، وذهَبْنا واستمَعْنا إليهم في مجلس المحافظة، وعُدْنا بأربعة عشر مطلباً، كلُّها مقدورٌ عليها، وأرسلناها إلى القصر، كان هذا يوم الأربعاء، ثم جاء يوم الجمعة فقُتل أربعون شهيداً في الصَّنَمَين في محافظة درعا! بالله عليكَ، مثلُ هذا هل يريد الحلَّ؟ أو ربما يُريده ولكن الأمر ليس بيده.

وانتهى اللقاء وهو يرجوني أن أكتب رسالةً للرئيس ليتمَّ اللقاء، لكنني قلتُ له: يا أخي أنا منذ ستة أشهرٍ أقسمتُ أن لا أزورَه ولا أحداً من ضباط الأمن؛ لأننا لا نسمع إلا كلاماً معسولاً، ولا نجد على الأرض إلا القتل وسفك الدماء، وهبْ أنني ذهبتُ وقلتُ له قناعتي: بأنَّ حلَّ المشكلة في أن تتنحَّى، فهل يتنحَّى؟ فقال لي اللواء مخلوف: يا شيخ سارية، نريد حلَّ المشكلةِ لا تعقيدَها.

لقاء رئيس الوزراء عادل سفر:

في بداية الثورة كُلِّف رئيس الوزراء عادل سفر بتشكيل وزارة جديدة، فطلب مني والشيخ أسامة أن نلتقي معه قبل إعلانه عن تشكيل الوزارة.

التقينا وإياه ليستأنس برأينا بوزير الأوقاف الحالي محمد عبدالستار السيد، أو غيره إن كان هناك أولى منه، وكأنه يحاول أن يُقنِع نفسه بأن له الخيار بالاختيار، أو أن يقنعنا بذلك، ولكن أهم ما قلتُه له في هذا اللقاء: بأن محمد عبد الستار السيد وغيره وأنتَ معهم موظفون لدى الأجهزة الأمنية، ولا أنصحُكَ باستلام رئاسة الوزراء إنْ كان لديك اختيارٌ بالاستلام أو عدمه، ولقد كنتَ سابقاً وزيراً للزراعة، وعانَيْتَ من تسلُّط أجهزة الأمن عليكَ، فإننا ننصحك بالابتعاد عن الوزارة حتى تسْلَم من تلويث تاريخكَ مِن قراراتٍ تُملى عليكَ لا أرى لكَ فيها موقعاً.

موقع رئاسة الوزراء ممحوق البركة:

دعاني أحد الشخصيات الكبيرة إلى مكتبه، وقد أرسل لي سيَّارةً فخمةً، ولستُ أدري موقع مكتبه، وإذ به يتوجَّه إلى المبنى العظيم في تنظيم كفرسوسة، وهو مبنى مجلس الوزراء، فدخلتُ إلى مكتبه الكبير، فرحَّب بي، وبعد أن جلستُ قلتُ له: والله ما كنتُ أتصوَّر أن أدخل هذا المكان لأنه مغصوبٌ، وأسأل الله أن يعفوَ عني وأنا الآنَ في مكتبكَ، قال: وكيف يا أستاذ؟!..

قلتُ: لقد جاءتني امرأةٌ ترجوني أن أسجِّلها في قائمة المستفيدين في مشروع حفظ النعمة، فكتبتُ كتاباً لمدير المشروع أن يُحقِّق في شأنها، فبكتْ، فقلتُ: لِمَ تبكين أيتها الأخت الكريمة؟ فقالت: أنا امرأةٌ كنتُ أملِكُ مئات الملايين، غيرَ أن الدولة الظالمة أخذَتْها، قلتُ: كيف؟!..

قالت: كان عندنا بستانٌ كبيرٌ في تنظيم كفرسوسة الذي وصل العقار فيه إلى ثلاثمائة مليون، ولعل بستاني بمساحته يعادل عدداً من العقارات في التنظيم، ولكن الدولة الظالمة استملكَتْهُ لصالح مجلس الوزراء...



مقر رئاسة الوزراء في حكومة النظام والذي تم إنشائه على أرض اغتصبت من أصحابها

كنتُ أقول هذا للمسؤول الكبير صاحب الشأن في مجلس الوزراء، وقلتُ له: قل لرئيس الوزراء على لساني: والله لن تجِدوا توفيقاً في قراراتكم وأنتم في هذا المجلس والمبنى المغتصَب، وأرجو أن تبلِّغ الأمانة بأنَّ هذه المرأة تدعو الله عليهم ليلها ونهارها..

ثم قلتُ في نفسي: إن الدولة بحُكّامها وقضائها وموظفيها يعمَلون ضمن منظومةٍ فاسدةٍ ظالمةٍ جائرةٍ، والناس كلهم يَعْلَمون ذلك ويسكُتون، فابتلاهم الله بهذا البلاء الكبير الذي أصاب الغنيَّ والفقير والكبير والصغير.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].



مظاهرة في حي كفر سوسة الدمشقي تطالب بالحرية وإسقاط النظام - شباط ٢٠١٢

لقاء مع اللواء محمد ناصيف بحضور أربعين عالماً في المهاجرين:

في الشهر الثاني من اندلاع الثورة السورية، دعانا اللواء محمد ناصيف، على فطور على جبل قاسيون، ودعا أكثر من أربعين عالماً، وكان الدكتور البوطي -رحمه الله- حاضراً، حينها تكلَّم اللواء عن ضرورة التعاون لحلِّ الأزمة، ثم تكلَّم الدكتور سعيد عن ضرورة الحوار بدلاً عن المظاهرات التي تُختَرَقُ من قبل العصابات المسلَّحة.

ولما انتهى تكلَّم الوزير، وحاول أن يُنهي الجلسةَ، فقلتُ: عندي كلامٌ أُريد أن أقوله، قال: تفضَّل، فقمتُ وقلتُ: لقد تفضَّل الدكتور قائلاً: إن الحوار خيرٌ بديلٍ عن التظاهر، لكنني أقول -وهو يعلم- بأن أيَّ مسؤولٍ في الدولة لا يفتح مكتبَه لعامَّة الناس وربما لأمثالنا فقط، لكنه يصمُّ أذنيه أو يُسمعنا كلاماً طيباً، ولا نرى أيَّ تغييرٍ، وإن الدكتور سعيد أكثر مَن يعاني من هذا الأمر، فكيف يكون الحوار خيرَ بديلٍ عن رفع الصوت

بطلب الحرية والكرامة ورفع الظلم، وانتهى كلامي ولم يردَّ عليَّ الدكتور أو غيره بكلمةٍ واحدةٍ.

وكان في اللقاء الأخ المجاهد خالد طفور من علماء دوما، وقد دُعي إلى حضور اللقاء، فجاء يستشيرني وهو غير راغبٍ بالذهاب، فقلتُ: ينبغي أن تذهب، قال: فما الفائدة؟ قلتُ: أسمِعْهم شكوى الناس في الغوطة، وكانت رغبتي أن يسمع الدكتور البوطي أكثر مِن سماع اللواء ناصيف، فقال: وهل يُسمَح لي أن أتكلَّم؟ قلتُ: أنا أطلب منكَ الكلام، وبالفعل جاء الشيخ خالد، وبعد كلمة الوزير والدكتور تكلَّمتُ بما تكلَّمتُ به، ثم قلتُ: نريد أن نسمع صوت ريف دمشق، تفضَّل يا شيخ خالد، فقام وتكلَّم عن الجيش والأمن ومُداهماتهم البيوت، وإرعابهم للنساء والأطفال، وسرقتهم ما فيها من مالٍ وحُليٍّ.

وهكذا كان لكلامه الأثر الكبير والذي فتق جراحاتي، فكانت كلمتي قاسيةً جداً أمام اللواء والوزير والدكتور -رحمه الله-، وأنا أعلم علم اليقين أننا لا يمكن أن نخرج بنتيجةٍ؛ لأن مخطَّطاً ومؤامرةً يمضي النظام بفُصولها كما يُملى عليه بإثارة الناس، وقد قلتُ لهم عندما يقولون لي: إنَّك تُحرِّض الناس، فأقول: والله أنتم المحرِّضون بقتلكم واعتقالاتكم وتعذيبكم ومداهماتكم، كلُّ هذا يثير الناس أكثر فأكثر، ولا تجد منهم أدنى محاولةٍ لإرضاء الناس.

لقاء اللواء رستم غزاله:

وذلك بعد أول خطبةٍ في جامع زيد هاجمتُ فيها المخرِّبين من المسؤولين بقراراتهم وإساءاتهم، ولا نشكُّ أبداً بأنَّ أيَّ مسؤولٍ في الدولة لا يتصرَّف إلا بتوجيهٍ من الدولة ومن مكتب الأمن القومي، وبعد الخُطبة بنصف ساعةٍ، اتَّصل بي وزير الأوقاف ليقول

لي: إن كل فروع الأمن اتصلَت بي يقولون: بأن الشيخ سارية هاجم الدولة بمؤسساتها المدنية والعسكرية والأمنية.

وفي هذا اليوم أشار عليَّ أولادي وإخواني أن لا أبيتَ في البيت خوفاً عليَّ، قلتُ: لن أبيتَ إلا في بيتي، وليفعلوا ما أرادوا...

وفي اليوم التالي نزلتُ إلى المسجد لصلاة الفجر وإعطاء درسي المعتاد، ثم عدتُ في الضحى لأنام ساعة، وفي أثنائها جاء اتصالٌ من شخصٍ يقول لي: تكلَّم مع سيادة اللواء، قلتُ: أيُّ لواءٍ؟! وسمعتُ المتكلِّم يقول: مرحباً يا شيخ سارية، قلتُ: مَن؟! قال: أبو عبده، وخلال الخطاب وأنا أتذكَّر من هو أبو عبده إلى أن عرفتُ أنه اللواء رستم غزاله، قلتُ: مرحباً، سمعتُ أنَّكم عاتبون عليَّ؟

قال: لقد عرفناكَ بإخلاصكَ لبلدكَ، لكنني الآن أحبُّ أن نلتقي، فإما أن تأتي إليَّ أو آتي إليكَ، المهمُّ أن نلتقي، قلتُ: سآتيكَ خلال ساعةٍ، وذهبتُ، ولما وصلتُ وجدتُه ينتظرني على درج البناء، ورحَّب بي كثيراً، ثم قال: يا شيخ سارية، عندما تريد أن تتكلَّم شيئاً على المنبر، أتمنى لو أنك تتَّصل بي وتقول: يا أبو عبده (أنا عاوزك) وسآتيكَ فوراً.

قلتُ: ولو أنني كلَّمتُكَ، هل يمكن أن تفعل شيئاً؟!

قال: أفعل ما أستطيعه.

قلتُ: والله لو أعلم أن بيدك القرار أو أنك تؤثِّر في القرار لما تكلَّمتُ كلمةً إلا بعد مشورتكَ، لكنني ما علمتُ أن في الدولة صاحبَ قرارٍ!

وكنتُ قلت على المنبر: ولقد حيل بيننا وبين الرئيس.



محراب جامع زيد بن ثابت الأنصاري

وإذ بوزير الأوقاف يقول لي: إن السيد الرئيس يرغب باللقاء مع السادة العلماء، قلتُ في نفسي: والله ما أظنُّ أن الرئيس كذلك يملِك القرار، وذلك أن حافظ الأسد باع

سورية لإيران باسم التحالف بين الدولتين، وبمُباركةٍ من الولايات المتحدة التي تبارك لإيران امتدادها في الوطن العربي، بدءاً بالعراق، ثمَّ لبنان وسورية، ثمَّ اليمن.

وختاماً كنتُ أظنُّ أن لقائي مع رستم غزاله هو لقاءٌ مع مسؤولٍ كبيرٍ في الدولة، فتبيَّن أن رستم وغيره موظفون لدى إيران، فإن تردَّدوا في تنفيذ الأوامر كان لا بُدَّ من التصفية مهما كان وزنُ الواحد منهم.

من مُفْرزات الثورة السورية جيلٌ جديدٌ يحمل راية التجديد:

أقول بكلِّ صراحةٍ وصدقٍ وأمانةٍ: لقد وجدنا من خلال هذه الثورة التي كنتُ أقف أمام بعض أطفالها وشبابها وَقْفَةَ احترامٍ وتقديرٍ، وربما أستصغر نفسي أمامَ شجاعة البعض منهم وهم يجهرون بالحق لا يخشون قَتْلاً ولا اعتقالاً، بل وجدتُ الكثير منهم إذا أُصيب يتمثَّل قول سيدنا علي بن أبي طالب عندما أُصيب: (فزتُ بها وربِّ الكعبة)، إنهم أحبُّوا الموت كما نحبُّ الحياة، ولعلِّي أجد فيهم صورة عبد الله بن حُذافة السَّهْميِّ، ورِبْعيِّ بنِ عامرٍ، ممن وقف أمام الطُّغاة بكلِّ عزَّةٍ وإباءٍ وشموخٍ بإيمانه وصموده لا يتنازل عن الثوابت، رَغم أنَّ كثيراً من الشباب لم يتربوا في المساجد ولا في المعاهد الشرعية، ولعلَّ البعض كان مُتقاعساً عن الصلاة مُسرفاً على نفْسِه، لكن كما قيل: (الصُّلْحة بلَمْحة)، مثل سحرة فرعون الذين جعلهم الله من كبار الأولياء في لحظةٍ عندما سجدوا لله رب العالمين، وقالوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾، فكان جوابهم: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٠-٧٢].

لقد وجدنا من الشباب السوري مَن يقف في وجه الطُّغاة والفراعنة، وَقْفَةً أعظم من

وَقْفة سحَرة فرعون، كما لا تقلُّ عن وَقْفة جيل الصحابة والتابعين، وإلا فكيف يُهيِّئُ الله الجيش الذي سيقوده سيدنا عيسى عليه السلام، ويمضي به من دمشق ليقتل المسيح الدجال؟!

وإن دمشق مدينةٌ مباركةٌ بالرجال الذين ينصُرون دين الله، وفي الحديث: «يوم الملحمة الكبرى فُسْطاطُ المسلمين في أرضٍ يُقال لها: الغوطة، فيها مدينةٌ يُقال لها: دمشق، خير منازل المؤمنين يومئذٍ»(١).



تحية للشيخ سارية الرفاعي في إحدى مظاهرات حي الميدان الدمشقي - تموز ٢٠١٢

فلْيَهْنأْ شهداء سوريا الذين مهَّدوا لذاك النَّصر العظيم، يوم الملحمة الكبرى في دمشق وغوطتها في بلاد الشام وسوريا بأسرها.

(١) رواه بهذا اللفظ الحاكم في «المستدرك» (٨٤٩٦) وصححه، ووافقه الذهبي في «التلخيص».

أسأل الله العظيم أن يجعلَنا وأولادنا وذريتنا من أولئك الأبرار الذين سينصر الله بهم دينه.

كلُّنا شاهد ذاك الشاب الذي أرغَمه الطُّغاة أن يسجد على صورة بشار الأسد في الأرض بعد أن أخذوه من شعر رأسه، فبصق عليها.

ولقد حدَّثني مَن أثِقُ به عن شاب كان لا يصلي، فأمروه بالسجود على صورة بشار فأبى، فضربوه وعذَّبوه فرفض، فلما عاتبه الشباب بأنه مُكْرَهٌ واللهُ يقول: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [النحل: ١٠٦]، فقال: إنني لم أسجُدْ في حياتي لله، أفأبدأ سجودي بالسجود لصورة بشار... لا والله ولو قطعوني إرباً إرباً...

سيذكره التاريخ بالإجلال والإكبار بالدعاء له ولأولئك الأبرار.

كما حدَّثوني عن غلامٍ لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، ضربوه وهو ينادي: يا أبي ويا أمي، فعاتبوه وقال له إخوانه في السجن: لماذا لا تقول: يا الله، وتصرخ بيا أبي وأمي؟ قال: أنا رأيتُ كلما قلتُ أبي وأمي يسُبُّون ويشتمون أبواي، فإن ناديتُ (يا الله)، فإنهم يسُبُّون الله!

ومثل هؤلاء الأبطال كُثُرٌ، قال عنهم ربنا سبحانه وتعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

نعم، لقد أفرزت الثورة جيلاً مضى بعضُه إلى الله ليقول: يا رب، نحن سُفَراء لمن وراءنا، اللهمَّ أيِّدهم بتأييدٍ من عندكَ، ومكِّن لهم في الأرض كما مكَّنتَ مِن قبل لعبادكَ المؤمنين.

فكيف لا أقِفُ أمام أمثال هؤلاء بكلِّ احترامٍ وتقديرٍ، وأتمنَّى أن يحشُرني الله معهم يوم القيامة، فهؤلاء شرَفُنا، وهُم أمَلُنا وعِدَّتُنا، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يهتمُّ بالشباب ويَكِلُ إليهم عظائم الأمور.



إحدى المظاهرات المطالبة بالحرية وإسقاط النظام في حي المزة الدمشقي - تموز ٢٠١٢

وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يرى بأن الحضارات لا تُبنى بالمال، وإنما تُبنى بالرجال، فلما كان مع نفرٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في دارٍ قال: تمنَّوا، فقال أحدهم: أتمنَّى أن تكون هذه الدار مملوءةً بالذهب والفضة لأُنفِقَها في سبيل الله، وقال الآخر: أتمنَّى أن تكون مملوءةً زبرجداً وجوهراً فأنفقه في سبيل الله، وهكذا.. فلمَّا قالوا: تمنَّ أنتَ يا أمير المؤمنين، قال: أمَّا أنا؛ فأتمنَّى أن تكون هذه الدار مملوءةً بأمثال أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل[1].

بهذا وضع سيدنا عمر قانوناً لمن يُريد بناء الحضارات، بأنَّ بناءها يكون بالرِّجال أولاً

(١) روى هذه القصة البخاري في «التاريخ الأوسط» (١٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٥١٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٠٢) وغيرهم بأسانيد قوية.

لا بالمال، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يركِّزُ على عُنْصُرِ الشباب بالثقافة والحُكْم والقيادة.

لقد أدرك شباب سوريا بأنهم مُهَمَّشون لا شأنَ لهم أمام قياداتٍ أكلَ الدهرُ عليها وشرب، ولما جاء بشار الأسد أراد أن يركِّز على عنصر الشباب من منظور حزب البعث الذي يُسَبِّح بحمده ليل نهار، والذي يجعل من المال والرجال قُوَّةً داعمةً له ليُثَبِّتَ حُكْمَه، وإذ بالثورة التي عبَّرت وترجَمَتْ عن شعبٍ لا يرضى بالذُّلِّ والهَوان، وجعل ينادي: (الموت ولا المذلَّة)، فاستشهد الكثير من هؤلاء الشباب، وكثير منهم مثقفون من نخبة المجتمع.

فهؤلاء لن ننساهم ما بقينا؛ لأنَّهم قدَّموا حياتهم، وآثروا الشهادة؛ لتحيا أُمَّتُهم حياةَ العِزَّة والكرامة، كاستشهاد مصعب بن عمير الذي لم يُدرِكْ النَّصرَ والتَّمكين، وهو الشاب الذي جاء المدينةَ المنوَّرة -يثرب- قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وليس فيها إلا بعض البيوتات توحِّد الله تعالى، وتؤمن بالله واليوم الآخر، وإذ بالمدينة كلِّها رجالاً ونساءً شباباً وشيباً يهُبُّون لاستقبال النبي صلى الله عليه وسلم عند قدومه المدينة المنورة.

إن مصعب بن عمير لم يمُتْ، وبقِيَ ذِكْرُه، وسيبقى أبد الآبدين.

مبدأ النظام في التعامل (من لم يكن معنا؛ فهو ضدُّنا):

لا ينبغي لأحدٍ أيّاً كان دولةً أو منظَّمةً، جماعةً أو فرداً، أن ينتقدوا النظام، ولا يمكن أن يقبل من أحدٍ أيَّ نصحٍ أو ملاحظةٍ، وهذا ما عرفناه وشهِدناه، فلقد كانت تركيا وقطر قبل الثورة من أقرب الدول إلى النظام السوري في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، حتى على مستوى العلاقات الشخصيَّة مِن بناء قصورٍ لأمراء

قطريين في أجمل المناطق والتلال الدمشقية، وقامت مشاريع اقتصاديَّةٌ في سوريا من قِبَل تركيا وقطر، وبعد أن قامت الثورة قدَّم هؤلاء النُّصح لقيادة النظام في سوريا، فأصبحت تركيا وقطر من الدول الخائنة للشعوب، ثم وقفَت الدول العربية ممثَّلةً بالجامعة العربية موقفاً ينتقد عُنفَ النظام السوري، وطالبوه بإطلاق سراح المساجين، فاستبشر الناس بذلك، ولكن لا حياة لمن تنادي، وبالتالي أصبحت الجامعة العربية خائنةً للشعوب العربيَّة كلِّها (بزعم النظام)، كما تظاهر الاتحاد الأوروبي بالتهديد، فمحاه وليد المعلِّم من الخارطة.

كلُّ هذه المناشدات والنداءات التي صدرت تُوحي بأن هذا التَّعَنُّتَ من ورائه تطمينٌ له بأنَّ العالَمَ كلَّه سيكون نصيرَكَ؛ لأن شباباً كشباب سوريا سيكون على يدهم تحرير القدس، وهزيمة إسرائيل، وهذا ما يخشاه العالَمُ كلُّه، وكأن دول العالم تقول له: امضِ يا بشار في قتل شعبكَ، ونحن من ورائكَ، فستوزَّع الأدوار في مجلس الأمن، وسنسكُتُ عن إرهاب إيران مهما كان حجم تحالُف العالَمَ ضدَّ الإرهاب المتطرِّف، ولتحرق البلد وليبق الأسد.

(من لم يكن معنا فهو ضدنا)، هذا ما لاحظتُه مؤخَّراً، وجدتُ أنهم يريدون منَّا أن نؤيِّدهم على باطلهم، وأنَّ أدنى اعتراض فهو إعلانٌ للحرب على الدولة بزعمهم.

محاولة النظام استمالة بعض أفراد المجتمع:

حاول النظام استمالةَ بعض الشخصيات من مشايخَ وغيرهم ممَّن كانت لهم مكانةٌ في المجتمع، فأراد النظام استمالَتَهم بتسليمهم المناصب تارةً، أو بتودُّدِ كبار المسؤولين لهم تارةً أخرى، ليؤثِّرَ من خلال ذلك على بعض مواقفهم، لا سيَّما وهم يرون كبار المسؤولين يتعاطفون معهم ويخفِضون الجناح لهم، فيتوهَّم لهم صدقُهم وينخدعون بهم.

ونحن مِمَّن حاول النِّظامُ أن يستميلهم على هذا النحو، فلم يُفلِح، فلجأ إلى أسلوبٍ آخرَ، كاتِّصال مستشارٍ في القصر الجمهوري -وهو اللواء النقري-لزيارتي قبل الثورة، وإذ به يَعرِضُ رغبتَه في أن يُقدِّم اسمي للرئيس ويُرَشِّحني وزيراً للأوقاف، فقلتُ له: هذا منصبٌ سياسيٌّ، وأنا لا أُجِيد هذا الفنَّ، كيف وقد رفضتُ منصباً دينياً من قبل، فرفضي للمنصب السياسيِّ من باب أَولى.

خُطبةُ فجرِ الواحد من رمضان، وقد فجَّرَتْ بركاناً في الدولة:

استيقظ الناس في سَحَر أوَّل يومٍ من رمضان ١٤٣٠هـ الموافق: ٢٠١١م على مجزرةٍ قام بها الجيش العربي السوري في حماة، راح ضحيَّتَها في تلك العمليَّة مائة وأربعين شهيداً، ما أظنُّ أن مشاعري في ذلك السَّحَر تزيد على مشاعر أيِّ سوريٍّ في أيِّ محافظةٍ، بل على مشاعر أيِّ مُسلمٍ في أنحاء العالم.



مظاهرة ساحة العاصي في مدينة حماة التي أطلق عناصر النظام النار عليها واستشهد ١٦٠ شهيداً - حزيران ٢٠١١

فليس غريباً أن أذهب إلى المسجد لصلاة الفجر، وبعدها أقوم لأتكلَّم كلاماً لا أُصدِّق أنني تكلَّمتُه لولا أنَّ الكلمةَ مُسَجَّلةٌ على اليوتيوب، فلما سمِعْتُها صدَّقتُ بأني مَن تكلَّم تلك الكلمات التي تُعبِّر عن حُرْقة أكباد السوريين، بل المسلمين، حيث ظنوا أن مجزرة حافظ الأسد ورفعت الأسد ستعود ثانيةً إلى حماة.

فوقفتُ وقلتُ في تلك الكلمة: إن الدولة قدَّمت هديَّةً لشعبها بمُناسبة قدوم رمضان مجزرةً قام بها الجيش العربي السوري المجرم، (وما كنتُ أعلم أن هذا اليوم يُوافِق عيد الجيش)، وإذ بالمسؤول الأمنيِّ في القصر الجمهوري يتَّصل بي قائلاً: إن السيد الرئيس وضباط الجيش وجنوده عاتبون عليك، قلتُ: ولمَ؟ قال: لأنك تتَّهمهم بالإجرام في يوم عيدهم، قلتُ: إنني قصدتُ الذين دخلوا حماة وقتلوا شبابها وأبناءها، قال: أنت قلتَ: إن الجيش مُجرمٌ، قلتُ: لا عليكَ سأُصلِّح الخِطاب يوم الجمعة.



شهداء مجزرة أطفال الحرية في مدينة حماة - حزيران ٢٠١١

وفي خطبة الجمعة بعد يومين قلتُ: إنني صباح اليوم الأول من رمضان قلتُ كذا وكذا، وقد عتب عليَّ ضباط الجيش وجنوده؛ لأنني اتَّهمتُهم بالإجرام في يوم عيد الجيش، لكنني أقول: إن الجيش أعدَدْناه للدِّفاع عن أَمْنِ بلَدِنا والدِّفاعِ عن أبنائه ومُقدَّراته، فأُهنِّئه في يوم عيده، وأريد أن أخاطبهم بأن يجعلوا نصب أعينهم توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم لقادة جيوشه، وهي توجيهات مَن جاء بعده أيضاً من الخلفاء لقادة الجيوش: (إياكم أن تقتلوا طفلاً أو امرأةً أو شيخاً، إياكم أن تهدموا كنيسة)، هذه أخلاق الإسلام في الحروب مع الأعداء، فكيف مع أبناء الأمَّة الواحدة في محاولةِ ضبط الأمن؟!

لكن أخلاق الجيش العقائدي الذي يمنع الصلاة والصيام، ويسُبُّون الرَّبَّ والدِّين تتنافى مع قِيَم أمتنا، فمثلُ هذا الجيش لا يمكن أن يُؤتَمَنَ على الوطن ومُقَدَّراته، وهو يقصِفُ الآمنين من النساء والأطفال؛ لأنهم -كما ورد على لسان بشار الأسد- الحاضنةُ للمتمرِّدين من السوريين الذين يحمِلون السلاح، ولو بلغوا الملايين، فلقد أعطى القائد الأعلى للجيش توجيهاته بأن يُدمِّروا المساجد والكنائس، ويقتلوا النساء والأطفال؛ لأنهم أبناء مَن يُنادون بالحرية.

(فاقضِ ما أنت قاضٍ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا):

بعد أن يئِسَ النِّظام مِن استمالتنا لدعمه وتأييده بشتى أنواع الترغيب، بدأ بالترهيب، فأوحى إلينا بأن العصابات المسلَّحة عازمةٌ على قتلنا، وظنَّ أن هذا الترهيب يُثنِينا عن استنكارِنا لقتله وتدميره، وبدؤوا بتنفيذ ما لديهم عندما كانت أجهزة الأمن تُداهم البيوت، ودخلوا بيت ابن عمي، وكان لديه أربعة شبابٍ، فسأله عن اسمه، فقال: أنا عبده الرفاعي، قالوا له: هل بينك وبين الشيخ أسامة والشيخ سارية الرفاعي قرابةٌ، قال لهم: إنهما أبناء عمي، فأخذوهم واعتقلوهم جميعاً، وبعد ساعاتٍ أعادوهم جُثثاً، ورمَوْهم على باب بيتهم

على مَرْأى من أمهاتهم وأخواتهم!

كما قتلوا ابن أختي لَمَّا علِموا أنَّ أخواله الشيخ أسامة وسارية الرفاعي، ونحن لا نشكُّ بأنَّ أجَلَهم انتهى، وقد أراد المولى تعالى أن يكونوا شهداء، وهم كلٌّ من:

مازن الرفاعي، وولده معتز، وأبناء أخيه عبد الهادي: محمد وبلال، وابن أختي سامر، تقبَّلهم الله ورحِمَهم، وتقبَّل جميع الشهداء.



شهداء مجزرة نهر قويق في مدينة حلب - كانون الثاني ٢٠١٣

وإنني أقول: إن هؤلاء بشرٌ وليسوا قِطَطاً، ولو كانوا قِطَطاً وقُتِلوا بهذا الشكل لاستنكر الفعلَ كلُّ من لديه ذرَّةٌ من إنسانيَّةٍ أو رِفْقٍ بحيوان، فكيف بهم وبعشرات الآلاف قُتِلوا على مَرْأى من أمهاتهم وبناتهم؟!

وإن أبناء عمِّي هؤلاء -مع شباب العائلة- كان لنا معهم لقاءٌ شهريٌّ على قراءة القرآن، وبابٍ من أبواب رياض الصالحين، وشيءٍ من الأذكار والأوراد، ونعرفهم حقَّ المعرفة، أسأل الله أن يجمعهم مع النبيين والشهداء، وأن يتقبَّلهم في علِّيِّين.

ووالدتُهم تقول: والله إنهم لا يملِكون سلاحاً، وليسوا من كتائب مُسَلَّحةٍ، لكن النظام برُموزه يتغافلُ ويتجاهلُ بأنه لا عِلْمَ له بأناسٍ يُقتَلون على هذه الشاكلة، وإن المشايخ وكلَّ المؤيدين لا يفتحون أبوابهم ولا يسمعون من هؤلاء المظلومين الذين تداهِم بيوتَهم الأجهزةُ الأمنيَّةُ، فتقتل أو تعتقل الشباب لتبقى البيوت خاويةً إلا من العجزة والكبار بالسن، بعد أن تُسْلَبَ أموالُهم وحُلِيُّ نسائهم.

عَسْكَرة النظام للثورة والثوار:

لقد خرجت المظاهرات عند انطلاقها سِلْمِيَّةً تنادي بالحرية ونَبْذِ الفساد، داعِين للإصلاح والتغيير، وبقِيت سِلْمِيَّةً لأكثرَ من سنةٍ.



من المظاهرات الأولى في مدينة بانياس بريف طرطوس والتي كان المتظاهرون يحملون فيها الورود - نيسان ٢٠١١

بضعة أشهرٍ قُتِل خلالها أكثر من خمسة آلاف شابٍّ مُتظاهرٍ، مع أن المتظاهرين جميعاً لم

يحمِلوا سلاحاً، بل ولا حجَراً أو عصا، بل كانت مظاهراتهم سِلْمِيَّةً بامتيازٍ، فالنظام هو مَن أراد وسعى إلى عَسْكَرَة الثورة، وهو منذ بداية الثورة يقول: بأن عصاباتٍ مسلَّحةً وراء جميع تلك الأحداث.



مظاهرة سلمية في حي جوبر الدمشقي تموز ٢٠١١

وكنتُ أقول لآصف شوكت وهشام إختيار: أنا لا أعتقد بوجود عصاباتٍ مسلَّحةٍ سوى أجهزتكم الأمنيَّة، فيبتسمان ويقولان: (سامحكَ الله يا شيخ سارية)!

وإنَّ من أعظم الأدلَّة على أن النظام هو الذي سعى إلى عَسْكَرة الثورة:

١ - استفزازُ الشباب بقتل آلاف المتظاهرين، وادِّعاءُ النظام أن الذي يقتل المتظاهرين عصاباتٌ مسلَّحةٌ من المُنْدَسِّين بين المتظاهرين.

٢ - إخراج المعتقلين المتطرِّفين من أرباب الفكر التكفيريِّ، وقد عرض عليهم النظامُ

المالَ والسِّلاحَ.

٣- تمشيط الأحياء في دمشق وريفها بيتاً بيتاً، يقتلون الشباب، ويسرقون حُلِيَّ النساء، ويُخَرِّبون كل ما يتمكَّنون من تخريبه.

٤- دخول الميليشيات الشيعية بأسلحتها من لبنان والعراق وإيران ومرتزقتهم من أفغانستان وغيرها.

٥- زجُّ الآلاف من الشباب في السجون وتعذيبهم، وموت كثيرٍ منهم تحت التعذيب، فتُسَلَّم جُثَثُهم لذويهم، والبعض الآخر يخرُج من السجن لينقل الصورة إلى الناس حتى يرتدعوا ويكُفُّوا عن التظاهر.



مجموعة من ضباط وعناصر الجيش تعلن انشقاقها وتشكيل الجيش الحر - تموز ٢٠١١

لكن الشباب كانوا أقوى شكيمةً وأمضى عزيمةً من أن ترتعِدَ فرائصُهم، أو تضعُفَ هِمَمُهم، بل ازدادوا تصميماً على التعبير عن شجاعتهم ورغبتهم في التغيير والإصلاح.

إلا أنَّ العُنْف المتزايد من الأجهزة الأمنية قتلاً واعتقالاً ومداهمةً للبيوت ونهباً للمتلكات وهتكاً للأعراض، كلُّ هذا كان من النظام تحريضاً مباشراً للشباب ممَّا اضطرَّ بعضهم لبيع حُلِيِّ أمه أو أخته أو زوجته ليدافع عن عرضه وماله، ولو بسلاحٍ خفيفٍ.

النظام يعرِض التسليح على الجماعات الإسلامية:

ما أظنُّ أن أحداً يقرأ أو يسمع بأن النظام يعرض السلاح على شعبه ليقتل رموز النظام وضباطه يُصَدِّقُ الخبرَ، وأنا كذلك لا أُصَدِّق لولا أن هذا العرض توجَّه من النِّظام لي، على الشكل التالي:

ما رأيكم أن نُعطِيَكم السلاح والمال، وتُنْشِئوا فصيلاً باسم (فصيل زيد بن ثابتٍ) ينضمُّ إليه شبابكم؟

فقلتُ: والله لن أفرِّط بظُفْرِ شابٍّ واحدٍ، وكلُّهم بمثابة أبنائي، ولستُ بالساذج أو المغفَّل حتى أرضَى أن يحمل أبنائي السلاح لقتل إخوانهم المغرَّر بهم في الجيش أو الأمن.

لقد عقَدْنا العَزْم أن يكون جهادُنا في هذه المرحلة جهادَ الكلمة؛ لحديث: «أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عند سلطانٍ جائرٍ»[1]، وأن نجعل القرآن الكريم سلاحاً نُقاتِل به؛ كما قال ربنا: {وجاهِدْهم به جهاداً كبيراً} [الفرقان: ٥٢].

وساعةَ تزول الراية العُمِّيَّة، ونجد التوجُّه الصادق للجهاد الحقِّ، فسنكون في المقدِّمة إن شاء الله. والواجب عليَّ في هذه المرحلة أنْ أحذِّر رجال الأمن والجيش من قتل إخوانهم مِن أفراد الشعب، أو تعذيبهم في المعتقلات.

وهذا ما قمتُ به، وخُطَبي في جامع زيد مُسَجَّلةٌ -ومنها ما هو على اليوتيوب-

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١١)، وأبو داود (٤٣٤٤)، والترمذي (٢١٧٤) وغيرهم بإسنادٍ صحيحٍ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

شاهدةٌ على هذا الشأن.

وأما عرض التسليح من النظام على الجماعات الإسلامية الأخرى؛ فلقد جاء إليَّ أحد الشباب من كبار طلاب جماعة كفتارو، وقال: استدعاني اللواء جميل الحسن رئيس شعبة المخابرات الجوية، وقال: إن المظاهرات كثُرَتْ، وإن النظام لا يُمكن أن يسقُطَ مهما كثُرَتْ، ألا ترى أن حمل السلاح أصبح واجباً على الشباب؟؟

قالَ: فقلتُ له: ومَن المستهدَف بهذا السلاح؟ قال: قوَّاتُ الأمن والجيش.

قلتُ: ومِن أين السلاح؟ قال: نحن نعطيكم ما شئتم، واقتلوا مَن شئتم مِن ضباط الجيش والأمن وعناصرهم، ولو تمكَّنتم من الوصول إليَّ فاقتلوني، لكنَّ الخطَّ الأحمرَ هو السيد الرئيس.

كنتُ أسمع وأكاد أُشكِّكُ بهذا الأستاذ وبما يقوله لي لولا أنَّ عَرْضاً مثلَه كان قد عُرض عليَّ.



ضحايا مجزرة الكيماوي في الغوطة الشرقية- آب ٢٠١٣

قلتُ له: وماذا فعلتَ؟ قال: اعتذرتُ لمرض والدتي التي سنجري لها عمليّةً خطيرةً غداً، وقلتُ له: سأعود إليك بعد ذلك، وخرجتُ ولم أعُدْ.

ولا أستبعد أن مثل هذه العروض من النظام لمعظم الجماعات الإسلامية ما دام أن أحدها توجَّه لمعارِضٍ مثلي، ولمؤيِّدٍ من مؤيِّديه كجماعة كفتارو.

المهمُّ أن يزُجُّوا الشباب المسلم في معارك مضمونةِ النتائج بالنسبة للنِّظام الذي يتلقَّى الأوامر من العدو الخارجي بأمرٍ وتآمُرٍ، والنظامُ والحمقى يُنفِّذون لإبادة الشباب الثائر.



حي الأنصاري في مدينة حلب بعد تعرضه للقصف والتدمير من قبل قوات النظام - تشرين الأول ٢٠١٢



أب خسر جميع أفراد عائلته جرّاء قصف منزله في بلدة جرجناز بريف إدلب - نيسان ٢٠١٣

لا أبتكِرُ تحليلاً، ولا آتي بجديدٍ عندما أقول: إن الغرب يأمر ويتآمرُ، والأنظمة وحمقى المنظّمات -بما فيها الإسلاميَّة- عليها التنفيذ؛ لتُعطي هذه الأنظمة صكَّ غُفْرانٍ لإسرائيل عندما تقول الشعوب: إن إسرائيل خلال ستين عاماً لم تقتل ما قتله النظام خلال عامٍ واحدٍ، رَغم أننا نعتقد اعتقاداً جازماً أنَّ وراء هذه المجازر في بلادنا تخطيطُ إسرائيل، ومن خلفها الصهيونية العالمية.

إن الاستعمار الغربيَّ الذي احتلَّ بلادنا يوم احتلَّها من أكثر من خمسين عاماً جاء بعتاده وجنوده مستعمِراً، لكنه آثر أن يستريح وجيشَه في بلده، وأن يكتفيَ بأنظمة الدول العربية والإسلامية تقتُلُ شعوبَها، وتحطِّم حضارتها، وإن شئتَ فقل: إنها تكتفي بزرع الفِتَن، ونشرِ السّلاح والمال لتشكيل الميليشيات والفصائل المسلَّحة ليقتل بعضهم

بعضاً، شريطةَ أن يتحكَّم أولئك بالقرار، وبالتالي أصبحت الأنظمةُ والفصائلُ ألعوبةً في أيديهم؛ كما هو الحالُ في بلادنا، والأمر أصبح واضحاً جلياً لا يحتاج إلى دليلٍ، كما قال الشاعر:

وليس يصِحُّ في الأفهامِ شيءٌ   إذا احتـاج النهـارُ إلى دليلِ

داعش والنصرة صنيعة الغرب:

إن مثل هذا الاستنتاج لا يحتاج إلى دليلٍ، فإن القاصيَ والدانيَ أصبح يُدرك أن مجلس الأمن الذي تتحكَّم به دولٌ استعماريَّةٌ تمهِّدُ لضربِ أيِّ قوَّةٍ باختلاق المبرِّرات صادقة أم كاذبة؛ كالمبرِّرات التي وضعوها لغزو العراق، ومن قبلها توريط المتطرِّفين باختراق أمنِ الولايات المتحدة، والهجوم على مركز التجارة العالمي.

كلُّ هذا وأمثالُه تصنعه الدول العظمى؛ لتحقيق أهدافها الاستعماريَّة، وتشويهِ صُورةِ الإسلام على أنه إرهابيٌّ، وقد اتَّفقوا على حرب الإسلام والمسلمين، فوزَّعوا الأدوار بينهم ما بين قراراتٍ -وفي مقابلها الفيتو-، وتدميرٍ بطائراتٍ وصواريخَ لمدنٍ وبيوتٍ آمنةٍ، وعشراتُ الآلاف من الأرواح تُزهَقُ، وشركاؤهم في مجلس الأمن المتآمر يشجب ويستنكرُ، وأنظمتُنا وحُكامُنا وشعوبُنا ليس لديها إلا الصُّراخُ والبكاء واللُّجوء إليهم كمجرمين في مجلس الأمن؛ ليُخلِّصونا مما حلَّ بنا، (وأنت تعرف كيد الخصم والحكَم).

لقد دخلت داعش والنُّصرةُ وأخواتها، فعاثوا في سوريا فساداً، فقتلوا من دعاتها وشبابها الكثير الكثير، وأغلقوا المدارس الشرعية، ومنها مدارس تابعةٌ لمؤسَّسة زيدٍ، بحُجَّة أن عقيدتنا في نظرِهم فاسدةٌ، ونحن ندرِّسها في هذه المدارس، فأغلقوها بقوَّة السلاح، وها هُم الآن يشترون العقارات في تركيا بعد أن انتهى دورُهم في سوريا كمجاهدين، والجهادُ منهم براءٌ.



عناصر من تنظيم جبهة النصرة في ريف حلب - تشرين الثاني ٢٠١٣

حواري مع السفير الأمريكي عن داعش في مؤتمر واشنطن:

لقد كان الحوارُ بيني وبينه يوم اضطررتُ لحضور مؤتمرٍ في واشنطن حيث رفضتُ، لكن إصرار الأطباء بأن أتّخذه ذريعةً لدخول أمريكا جعلني أحضر، وهذا ما سأتحدَّث عنه لاحقاً، ولقد كان السفير بجواري في دعوة المؤتمرين على العشاء.

قلتُ له: لديَّ سؤالٌ لم يُجِبْني عنه أحدٌ: ما هو السِّرُّ في تخلِّي أربعين ألفاً من جنود العراق في الموصل عن سلاحهم وعتادهم وهروبهم، مقابل سبعمائة عنصرٍ من داعش دخلوها دون أيِّ مواجهةٍ لتصير أسلحة وعتاد الجيش العراقي بأيديهم، ناهيك عن أموال البنوك ومُقدَّرات أهل الموصل، مع أن الدول تعتبِر أن أسلحتها بمثابة شرَفها، والسِّلاحُ سلاحٌ أمريكيٌّ، وهو شرفكم، إلا إذا اعتبرتم أن داعش وعناصرها جنودٌ أمريكيون أو حلفاءُ لكم؟

وكيف تدخل داعش في سوريا إلى الرقة لتتخلى (الفرقة ١٧) عن أسلحتها بما فيها الطائرات لعناصر داعش؟

لكنني كنتُ أتكلَّم وأسأل، وكأنَّني أمام حائطٍ لا يتكلَّم ولا يُبصر ولا يسمع، وغيَّر الحديثَ ليسأل عن صحَّتي وعلاجي مُتَهَرِّباً من الجواب.

مثل هذا الذي حدث لداعش على مرأى ومَسْمَعٍ من العالم لَدليلٌ على أنَّ الأنظمة تُنفِّذ أوامر الدُّوَل العظمى -كما ذكرتُ- لقتل شبابِ أمَّتِنا عَبْرَ ميليشياتٍ تحملُ مسمَّياتٍ إسلاميَّةً، وعَبْرَ حُكَّامهم الذي كان من واجبهم رعاية هذه الطاقات، والاهتمام بها، والتجاوز عن أخطائها إن أخطأت، وتقويم أخطائهم تقويمَ الآباء لأبنائهم.

سفري خارج البلاد:

بعد مَنْعي من خُطبة الجمعة، أنا والشيخ أسامة، وكذلك شيخنا الشيخ محمد كريِّم راجح، وجَدْنا أنفسَنا حَبِيسي البيوت، تَوَقَّفْنا عن توجيه الأُمَّة، وعن خِدْمَتِها، ومئاتُ الآلافِ من اللاجئين خرجوا إلى الدول المجاورة، وأضعافُهم جاؤوا دمشق، فلا نستطيع أن نجمع الناس ليتبرَّعوا لهؤلاء الضعفاء، وتوقَّف النشاطُ، وكنا نساعد الناس من خلال مشروع حفظ النِّعْمةِ، ولا نستطيع التوسُّعَ بأكثر من ذلك، وانقطع التواصلُ بيننا وبين الدولة؛ لأنهم يئسوا من التجاوب معهم والتأييد لفظائعهم.

فأرسل المسؤول الأمنيُّ في القصر إلينا ينصَحُنا بالسفر خارج البلاد، بحُجَّة أن المعلومات الاستخباريَّة تفيد بأن العصابات المسلَّحة تعزِمُ على تَصْفِيَتِنا.

كنتُ أثناءها في العمرة، وأشار عليَّ إخواني وأحبابي أن أبقى خارج البلاد، لكن الإقامة للعمرة محدودةُ الأيام، فاتَّجهتُ إلى مصرَ، وأقمتُ في القاهرة، ولي فيها أحبابٌ كُثُرٌ، وجدتُ فيهم الأخ والصديق، وقد أنسَوْني غُرْبَتي، فشعرتُ بأنني بين أهلي

وأحبتي، لا سيَّما وأن مصر لها مكانةٌ في قلبي، منذ كنتُ طالباً في أزهرها من الستينات من القرن الماضي، ما جعلني أتوجَّه بهجرتي من بلدي الذي نشأتُ فيه إلى بلدي الذي نهلتُ من علمه على يد مشايخِه وأساتذته، وتعرَّفتُ على الكثير من شرائح مجتمعه منذ أكثر من أربعين عاماً.



جولات و زيارات قام بها أعضاء رابطة علماء الشام للجرحى و المصابين في المستشفيات الاردنية و التركية

أقمتُ في القاهرة عاماً أو يزيد، أُفكِّرُ وحدي وأسعى لمصالح الأمَّة وحدي، إلى أن جاءني أخٌ كريمٌ واسمه كرم، فقال: إن الضرورة لتأسيس مؤسَّسةٍ تقوم بأعمالكَ وأنشطتكَ قد حان وقتها الآن، ولا بُدَّ من مكتبٍ وترخيصٍ لجمعيَّةٍ لها مديرها ومحاسبها وموظفوها حسب الحاجة.

قلتُ: على بركة الله، وأَخَذْنا المكتب، وشرَعْنا بالعمل المؤسَّساتي للإغاثة والتعليم

وغير ذلك، ورخَّصْنا باسم (مؤسسة زيد بن ثابت في مصر)، وقامت المؤسسة بإنشاء خمس مدارس في منطقة السادس من أُكتوبر، المدينة التي تجمَّع فيها كثير من السوريين.

ضمَّت هذه المدارسُ ما يربو على ألفي طالبٍ وطالبةٍ؛ لأن آلاف الطلاب لم يجدوا مدارس تؤويهم، فكان تأسيس هذه المدارس مُفْتَرَجاً لهم، حيث إن المدرِّسين والإداريين من السوريين.

كما قامت المؤسسة بإرسال المعونات إلى مخيَّمات اللاجئين السوريين في الأردن، وقامت المؤسسة بحملة استبدال الخيام بالكرفانات، وأطلقت حملةً بعنوان: (سكن كريم)، عُرِضَتْ في الكثير من الفضائيات، فكانت النتيجة مئات الكرفانات التي سكنها النازحون من سوريا، ولله الحمد.



الشيخ سارية الرفاعي خلال زيارته التفقدية لمدارس الأطفال المهجرين السوريين في مدينة ٦ أكتوبر في مصر - تشرين الثاني ٢٠١٢



الشيخ سارية الرفاعي والشيخ جمال الدين سيروان والشيخ محمد راتب النابلسي أثناء زيارتهم لمخيم الزعتري في الأردن - كانون الثاني ٢٠١٣

هجرة السوريين بين المصائب والفوائد:

إن هجرة الإنسان عن وطنه بعيداً عن أهله وموطنِ نشأته مُصيبةٌ بحدٍّ ذاتها؛ كما قال تعالى: ﴿ولو أن كتبنا عليهم أن اقتلو أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ [النساء: ٦٦].

لكن ما يكرهه الإنسان في حياته ليس شراً محضاً؛ كما أشار المولى تعالى بقوله: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولقد انتشر السوريون المهاجِرون في هجرتهم الأولى في ثمانينات القرن الماضي، وفي هجرتهم الثانية بعد ثورة ٢٠١١م، والذين زاد عددهم على عشرة ملايين.



الشيخ سارية الرفاعي في ملتقى ضم ثلة من العلماء والوجهاء والشباب السوري الناشط في المدينة المنورة تشرين الأول ٢٠١٢

وكانت الهجرة الأولى في عهد حافظ الأسد قد اقتصَرَتْ على أصحاب الفِكْر الإسلاميِّ من شباب الإخوان المسلمين، والملتزِمين بدينهم مِن مختلف الاختصاصات العلمية والشرعية، فالأطباء السوريون في أمريكا يزيد عددهم على عشرة آلاف طبيبٍ، وكذلك في أوروبا، والمهندسون مثلهم، وأما علماء الشريعة؛ فقد أسَّسوا العديد من الجامعات والأقسام والتخصُّصات فيها وخاصَّةً في دول الخليج، وأبناءُ الخليج وشبابُه يشهدون بذلك، وكانت هجرتي الأولى عام ١٩٨١م إلى المدينة المنورة، بقِيتُ فيها حتى عام ١٩٩٣م.

وأما الهجرة الثانية بعد ثورة ٢٠١١م؛ فكانت عامَّةً من شرائح المجتمع السوري إسلاميين وعلمانيين، ملتزمين بدينهم ومتفلِّتين، ومن كلِّ الطوائف: مسلمين، ومسيحيين، وعلويين، ودروز، وعرب، وأكراد وغيرهم، يشهد بذلك مكوِّنات

الهيئات والمنظَّمات التي تضمُّ تلك الشرائح.



لقاء أصحاب الفضيلة علماء الشام الشيخ سارية الرفاعي والشيخ كريم راجح والشيخ لطفي الصباغ والشيخ أسامة الرفاعي والشيخ جمال السيروان في المدينة المنورة - آذار ٢٠١٣

فوائد هجرة السوريين:

١- إن الشباب الذين حُرِموا من البِعْثات الدراسية التي كانت محصورةً في المنتسِبين إلى حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم، قد وجدوا في معظم دول العالم التي هاجروا إليها فرصةً للدراسة في جامعاتها بمختلف الاختصاصات، وكانوا يتميَّزون بين مواطني تلك البلاد ومختلف الجنسيات الأخرى بتفوُّقِهم، والحصولِ على المنح الدراسية لذلك التميُّز والتَّفوُّق.

٢- استفادتُهم من ثقافة المجتمعات التي يعيشون بينها بعد هجرتهم، فإن لكلِّ مجتمعٍ ثقافتَه وعاداتِه وتقاليدَه، منها ما يُثري بيئتنا ومجتمعنا، ومنها الوجه الآخر من

التفلُّت من القيم والأخلاق الذي أثَّر تأثيراً سلبياً في أخلاق الشباب السوري المهاجر.

ولكن تماسكَ وارتباطَ الشباب بأسرهم جعل الرابطة قويَّةً، مهما تأثَّرت سلباً في بعض الأحيان، فإنه سرعان ما يُصحِّحُ مسارَه إن تأثَّر سلباً بالبيئات ممن حوله.

بلادُ المَهْجَرِ بلادُ قانونٍ، بخلاف سوريا:

لقد فوجئ السوريون بالقانون الذي يحكُم تركيا وأوروبا وكندا وسائر البلاد التي هاجروا إليها، في حين كانت سوريا بلا قانونٍ، والذي يحكُمها المحسوبيَّاتُ والرِّشا، بدءاً بالمخالفات المروريَّة، وانتهاءً بالقضاء ومخافر الشرطة، فصاحب الحقِّ عندهم مَن يدفع أكثر، أو مَن تكون له علاقة قربى أو صداقة مع مسؤولٍ في الأمن أو الحزب.

فوجئ السوريون بأنَّ الرِّشْوة والمحسوبيات التي كانت سائدةً في سوريا لا تعمل عملها، حيث نتكلَّم مع صاحب شأنٍ في الدولة في مشكلةٍ ما تعرَّضَ لها أحد المهاجرين، فلا نجد عنده أدنى تجاوُبٍ، وربما يُحيلنا إلى مُحامٍ ليحل المشكلة بمعرفته.

ومن السَّلْبيَّات التي عاشها المهاجرون في بلدانهم الحصولُ على الإقامات التي تضمن استقرارهم في بلد المهجر.

مشكلة اختلاف اللغة:

كانت اللغة عائقاً كبيراً في حياة المهاجرين، ففي تركيا مثلاً قَلَّما تجد بين الأتراك مَن يتكلَّم العربيَّة أو الإنكليزية، فهم يتعصَّبون للغتهم التركية، ما جعل الكثير من المقيمين لا يتجرَّؤون على القيام بأعمالٍ تجاريَّةٍ أو صناعيَّةٍ؛ لأن اللغة هي الطريق إلى التفاهم والتعامل، ومهما كان المترجم قوياً ومُبدِعاً في لغته، فإنه لا يصل إلى بُغْيتكَ في إفهام الآخرين ما تريد.

مشكلة اللغة عند الأولاد:

دخل الأولاد السوريون المدارس التركية، وتعلَّموا اللغة التركية، حتى أصبحتَ لا تفرِّق بين الولد التركيِّ، وبين ولدكَ وهو يتكلَّم اللغة التركية، وهنا المشكلة التي يعاني منها الكثير من الآباء والأمهات، وهي أن الأولاد ابتعدوا عن اللغة العربية، وهذه مشكلة الأولاد في كلِّ بلدٍ أجنبيٍّ، فكتابتُه وقراءتُه أصبحت بلغة البلد الذي يقيم فيه، ما جعلهم يفقدون لغتهم العربية بالقراءة والكتابة والمحادثة.

اهتمامُ الأسرة بتدريس أولادهم اللغة العربية:

هناك بعض الأسر الحريصة على أولادهم سجَّلَتْ أولادها في مراكز تُعلِّمُ اللغة العربية والقرآن الكريم، ما جعل الكثير من الأبناء يحفظون القرآن الكريم، وهذه المراكز كانت من أنشطة بعض الجمعيَّات والمؤسَّسات الدعويَّة؛ مثل (مؤسسة زيد بن ثابت) التي تشرُفُ على عشرات المراكز في استانبول وفي المدن التركية الأخرى، بالإضافة إلى الداخل السوري، حيث ينتشر اللاجئون الذين هُجِّروا من مدنهم وقراهم في الداخل؛ ليلجؤوا إلى الشمال السوري على الحدود التركية في عفرين والباب ومدنٍ أخرى، ومعهم علماؤهم ومشايخُهم.

فقدَّمت لهم (مؤسَّسة زيدٍ) الدَّعْمَ ليقوموا بتعليم أبنائهم اللغة العربية والقرآن الكريم وعلومه، وقد شمل هذا النشاط أبناء المهاجرين اللاجئين وأبناء تلك المناطق الذين حرموا من التعليم لفترة سنوات خلَتْ.

مشكلة الشباب في بلاد المهجر:

بعد فرار الشباب من بلدهم -فمنهم من انشقَّ عن الجيش، ومنهم من فرَّ خوفاً من

الاعتقال حتى خلت المدن السورية من عنصر الشباب- لجؤوا إلى تركيا ومنها إلى أوروبا، وبعض هؤلاء الشباب قد لاحظته العناية الإلهية، فأتمَّ دراسته، وحافظ على أخلاقه ودِينه وصِلَتِه بأهله، فكان يدرُسُ ويعمَلُ من أجل أن يُساعد أهله، فهم بأمَسِّ الحاجة إلى المساعدة بعد الضِّيق الشديد الذي أصاب أهلَنا في الداخل السوري نتيجة الغَلاء وهبوط العملة هبوطاً جعل ٨٠٪ من سكان سوريا تحت خط الفقر، فيحاول الشاب أن يعمل ليرسل إلى أهله ما يسُدُّ به حاجتهم ويحفظ كرامتهم.

لكنَّ شريحةً أخرى من الشباب الذين كان أهلُهم في سَعةٍ من العيش، أرسلوا إلى أولادهم المساعدات المادية، مما جعلهم يركَنون إلى ملذَّاتهم وشهواتهم، وينسلخون عن أخلاقهم، فتعاطوا شرب الدخان والمخدرات، وتسكَّعوا في الشوارع والطرقات لا رقيبَ عليهم ولا حسيب، وحسبُنا الله ونعم الوكيل.

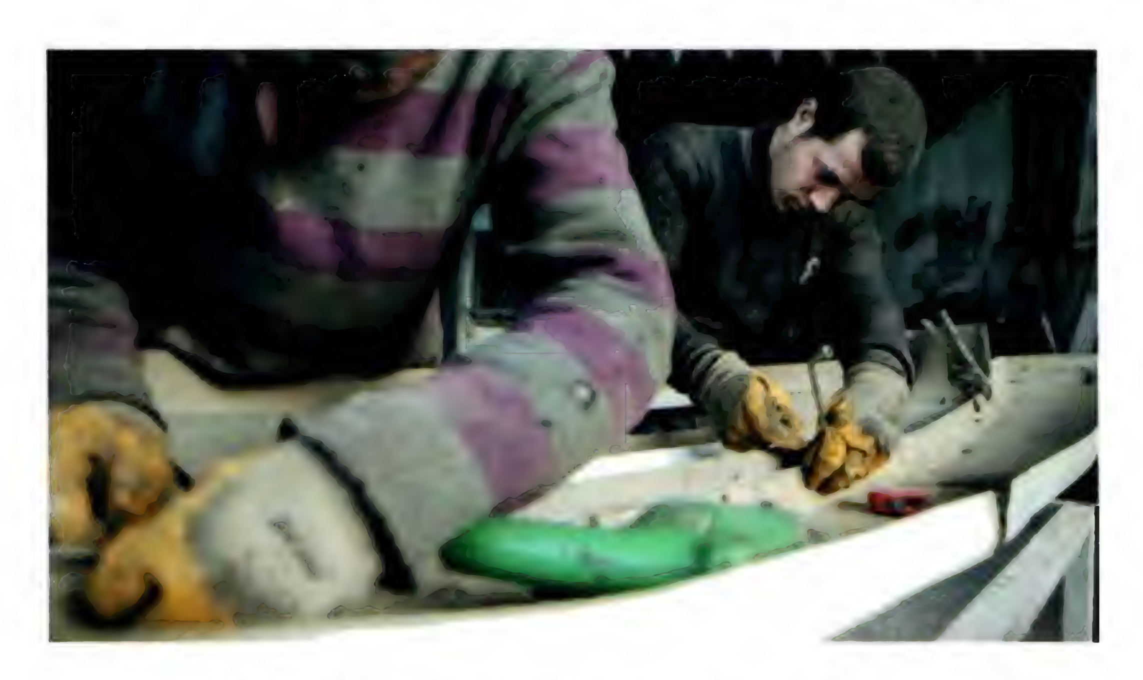
قلَّما تجد مَن يعمل باختصاصه:

لاحَظْنا أيضاً المعاناة الشديدة التي عاناها المهاجرون إلى بلدان إقامتهم، وخاصَّةً في بداية لجوئهم، فكان الواحد منهم يبحث عن عملٍ باختصاصه فلا يجد، حتى إننا كنا نرى مهندسين كباراً يعملون في بقَّالةٍ، وأساتذةً فُضلاءَ يعملون في مستودعاتٍ يحملون البضائع.

ولقد زارني أحد الأطباء، فسألتُه: في أيِّ مُستوصفٍ تعملُ؟ فقال: لم أجد، فعملتُ في مصنعٍ للألبسةِ، أريد أن أُطعِمَ أولادي!

لقد وجد الأتراك عند السوريين بُغْيَتهم، حيث يعمل العامل السوري عشر ساعاتٍ بنصف أجر التركي، ما جعله يعيش الكفافَ أو دون الكفافِ، وهذا فاجأ الكثير من السوريين الذين خرجوا من بلادهم ومعهم مبلغٌ من المال، وما لبثوا فترةً إلَّا وتمَّ صرفُه،

واضطرَّ الرجل العفيف العزيز للعمل هو وزوجته وولده؛ ليعيش الحياة الكريمة، ومن الصعوبة أن يمُدَّ يدَه، فآثر الرضا بما قسم الله له وهو في هذا الضِّيق والعَنَتِ الذي عمَّ أفراد المجتمع السوري بأسرِه أغنياء و فقراء على حدٍّ سواء.



عمال سوريون في إحدى الورشات الصناعية في مدينة إسطنبول التركية



عمال سوريون في إحدى ورشات الخياطة في مدينة إسطنبول التركية

مصادرتهم للأموال المنقولة وغير المنقولة:

لجأ النظام إلى أسلوبٍ آخر من الترهيب، فأصدروا قراراً بمُصادرة أملاكي المنقولة وغير المنقولة مع مجموعةٍ من السياسيين ورجال الأعمال.

وأنا لستُ سياسياً، ولستُ من رجال الأعمال، وربَّما لجؤوا إلى المصادرة، ظناً منهم بأن مشروع حفظ النعمة الذي أسَّسْتُه، وبلغَتْ ميزانيَّتُه ٦٠٠ مليون ليرة سورية، فكان أعظمَ صَرْحٍ خيريٍّ في سورية، ولله الحمدُ، فربما ظنُّوا بأنَّ لي نصيباً من هذه الميزانيَّة الكبيرة، فأصدروا قرار المصادرة، ولو أنهم اطَّلعوا قبل إصدار القرار على ما لديَّ من رصيدٍ في البنوك، لعلموا أنني لا أملِكُ فيها إلَّا رواتبي الشهريَّة، حيث إنني لم أستلم منها شيئاً، وربما استعادوها، كما أنني لا أملك شيئاً من الأراضي والعقارات، ولو أنهم رجعوا إلى سِجِلِّ العقارات لتبيَّن لهم ذلك ولله الحمد.

ولقد أوصيتُ أهلي وأولادي بأنَّ بيتي الذي أسكُنُه لا يرِثُه أحدٌ، وأنَّه من بعدي يكون تحت مُسَمَّى: (دار الشيخ عبدالكريم الرفاعي للبحوث والدراسات)، فهو وقفٌ مع ما فيه من كُتُبٍ لطلاب العلم والمعرفة، لكن النظام ظن بأنني سجَّلتُ عقاراتٍ باسم زوجتي وأولادي، فأصدروا قراراً بحَجْزِ ومُصادرة أملاكهم، ولما أراد أحدهم أن يبيع بيته المتواضع في موقِعِه وثمنِه ليقوم بعملٍ يعودُ عليه بمردودٍ لمعاشه، وجد إشارة الحجز عليه، فتأكَّد أن المصادرة لأملاك الوالد وما ولد.

مكتب فضيلة الشيخ سارية عبد الكريم الرفاعي

بيـــان

بخصوص قرار الحجز على أموال فضيلة الشيخ سارية الرفاعي

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وبعد :

فقد علمنا الإسلام أن الدنيا ومافيها لا تعدل عند الله جناح بعوضة

وأن زوال الدنيا أهون عند الله من قتل إمرئ مسلم

وأن الجهاد بالمال صنو الجهاد بالنفس

ومن المعلوم للجميع أن فضيلة الشيخ سارية الرفاعي هو واحد من أفراد هذا الشعب المكلوم ،عاش بينهم وأصابه ما أصابهم، وهاهو النظام اليوم ينتقم منه لمواقفه السابقة الداعمة لشعبه وأمته، ويقرر الحجز على أمواله وأموال أولاده البالغين .

وإن الشيخ يعد أمته وأبناء بلده بأنه سيبقى ثابتاً على الحق إن شاء الله تعالى، وفياً لدينه ووطنه، ولن يثنيه هذا القرار الأخرق عن متابعة مساندة الحق والمظلومين بكل إمكانياته .

لماذا تعدل التضحية بالمال أمام التضحية بالروح والولد، وماذا تعدل الدنيا كلها أمام قطرة دم تنزف من طفل واحد .

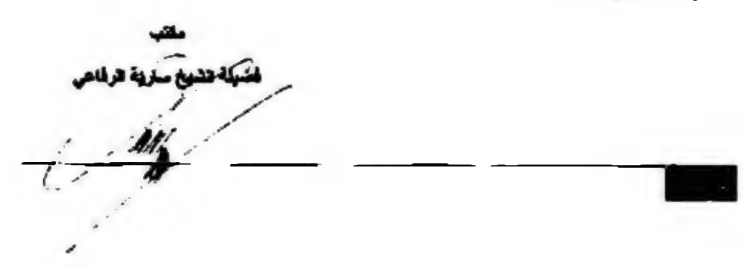
وإن لله ما أخذ وله ما أبقى وكل شيء عنده بمقدار، والحمد لله أولاً وآخراً .

حرر في :10 شوال 1433 هـ

الموافق: 28 آب 2012 م

مكتب

فضيلة الشيخ سارية الرفاعي



بيان من الشيخ سارية الرفاعي بخصوص قضية الحجز على الأموال المنقولة وغير المنقولة - آب ٢٠١٢

فقلتُ لأولادي: سامحوني إن كنتُ سبباً في التضييق عليكم، لكن الله لن يُخزِيَكم ما دمتم راضين عن الله فيما يُصيبنا جميعاً، فلقد ابتُلي الأنبياءُ وابتُلي العلماءُ، وربنا يقول:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

ولو نظَرْنا إلى المصائب التي حلَّت بإخواننا من الشعب السوري من تدميرٍ لبيوتهم وقتلٍ لأولادهم؛ لوجدنا أنفسنا في أعظم النِّعم.

أسأل الله أن يفرِّج عن أهلنا في سورية وعن المسلمين في كلِّ مكانٍ، آمين.

الحَجْزُ على أملاكي أثَّر على حياتي المعيشية:

كنتُ واحداً ممَّن عانى في تركيا بعد أن كنتُ في سوريا أعيش الحياة الطيِّبة حيث الرَّخاء والسَّعة، إذ لديَّ (مكتبة الغزاليِّ للطباعة والنشر)، وما إن خرجت من سوريا عام ٢٠١٢م إلَّا وقام النظام بالحَجْزِ على أملاكي وأملاك أولادي كما ذكرتُ، فحاولتُ بيعَ بيتي أو مكتبتي التي أُغْلِقَتْ، ومنذ إغلاقِها انقطعَ واردي، وكذلك أولادي الذين حاولوا بيع بيوتهم ليقوموا ببعض المشاريع التجارية، ولكنَّ إشارةَ الحَجْزِ حالَتْ بيننا وبين البيع.

لقد وصَلْنا إلى حالٍ من الضِّيق لا يعلمه إلا الله، فلا يَمْلِكُ الواحد منا أحيانًا مائة ليرةٍ، ووالله كنتُ أشعر وأنا بهذا الحال بنشوةٍ وسعادةٍ لا تعدِلُها سعادةٌ، وأصبح لدعائي وتضرُّعي إلى الله طعمٌ خاصٌّ، لا تشوبُه شائبةٌ.

أدركتُ حينها السِّرَّ في أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وقد عُرِضت عليه خزائن الأرض،

فاختار أن يكون نبياً عبداً قائلاً: «أجوعُ يوماً فأصبرُ، وأشبعُ يوماً فأشكرُ»[1]، لكنني كنتُ أتألَّمُ الألمَ الشديد عندما يأتيني فقيرٌ يطلب المساعدة، ولا أملك ما أعطيه، رَغم أن عندي من المؤسسات الدعوية والإغاثية والتعليمية التي كانت مع مشاريعها بملايين الدولارات، غير أنَّ أعمالها تنحصر بالمشاريع، وخاصَّةً في الداخل السوري، حيث كان لنا في الغوطة المحاصرة ٤٤ مدرسةً و(مشفى الشفاء)، و(مستوصف الحكيم).

صبَرْنا ونحن بهذا الضِّيق إلى أن قرَّرتُ أن أنتقل إلى الطرف الآسيوي، فآجارُ البيوتِ هناك أرخصُ من القسم الأوروبي، وإذ ببعض إخواني يَعْلَم بما عزمتُ عليه، فأخبر بعض رجال الأعمال، ففوجئوا بأن البيت الذي أسكُنُه مُستأجَرٌ وليس ملكي، فتنازع عددٌ منهم على شراء بيتٍ لي، فأبيتُ إباءً شديداً، وأصرَرْتُ على الاستئجارِ في الطَّرَف الآسيوي.

كما أنَّ إمام المسجد في المُجَمَّع الذي كنتُ أسكُنُه في منطقة باشاك شهير الشيخ محمود، علِمَ بعَزمي على الانتقالِ، فأرسل إليَّ بأن عمه والد زوجته عنده مُجَمَّعٌ سكنيٌّ في منطقة أسنلر، ويُريد مني أن أختار الشُّقَّة التي تُناسبني حتى يُقَدِّمَها لي هديَّةً، وربما كان عرضه رغبةً بجَلْبِ الزبائن لمُجَمَّعِه السَّكنيِّ، حيث يرى بأنَّ المئات من السوريين سكنوا في المُجَمَّع رَغْبةً بجوار الشيخ سارية، ولكنني أبَيْتُ عَرْضَه؛ لأنني لا أملك ثمنه، فقال: إنَّه هديَّةٌ واللهِ هدِيَّةٌ، فرفضتُ عَرْضَه، وقلتُ: شكراً لكَ، وجزاكَ الله عني خيراً.

جمعتُ أولادي وأزواجهم، واتَّفَقْنا على العمل جميعاً نساءً ورجالاً؛ لأننا اليوم في ظَرْفٍ استثنائيٍّ، ونحن لسنا بأفضل من سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة بنت محمد النبي، كانت تُدِير الرَّحى بيديها حتى أثَّرَتْ في كفَّيها، وتحمل قُرَبَ الماء حتى أثَّر ذلك في كتفيها رضي الله عنها.

(١) رواه بتمامه الترمذي (٢٣٤٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وقال: حديث حسن.

(نفس شامي) للمأكولات الشاميّة:

إنها الكبب بأنواعها التي تعهَّدَتْ زوجتي أن تقوم بهذه المهمة وقد تجاوز عمرها الخامسة والستين، فقامت بما يحتاجه محلُّ (نفَس شامي) من أنواع الطبخ، يُساعدها زوجاتُ أبنائِها وبناتُهم، حتى غدا محل (نفَس شامي) يقصِدُه القاصي والداني، ويتكلَّم عن النَّفَس العريق الذي يُمَيِّز طعامه بالمحتوى والنظافة وكثرة الذِكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يُميِّز النَّفَس الشامي الذي كنا نأكله مِن صُنْعِ أمهاتنا، والذي كان معجوناً ببسم الله.

ولقد سُئلتُ: لماذا سمَّيْتم إنتاجَكم بـ(نفَس شامي) عِوضاً عن (أكل أو مطبخ شامي)؟ فقلتُ: لأن طِيب الطعام والمذاق ليس بمُحْتواه ومقاديرِ إضافاته، بل بأنفاسه، قال: ماذا يعني النَّفَس؟ قلتُ: ما تَعْنِيه المشاعرُ والعواطف من الأم تجاه ولدها إذا أرادت أن تُطْعِمَه؛ لأن الخادمة مهما بذلت لإسعاد الولد فليست كعاطفة الأم.

لقد ذاع صِيتُ (نفَس شامي) مما اضطرَّنا أن نأخذ مكاناً واسعاً سُمِّي بـ(مطبخ نفَس شامي)، استلَمَتْ إدارتَه زوجةُ ابني مُشرِفَةً على النساء والعاملات فيه، فكان الكثير من المطاعم يأخذون منتجات (نفَس شامي)، وبعدها عِشْنا حياةً كريمةً بعد الحَجْزِ على أملاكِنا في الشام دون أن نحتاج أحداً، فلا نعتمِدُ إلا على الله ربِّنا، ولا نثِقُ إلا بخالِقِنا ورازقِنا، فلله الحمد والمنَّة.



مطبخ نفس شامي في إسطنبول - آذار ٢٠١٩

إعادة تأسيس (رابطة علماء الشام):

كان من نشاطنا خارج البلاد بعد خروجي والشيخ أسامة من سوريا إعادة تأسيس (رابطة علماء الشام) التي كان يرأسها في الخمسينيات من القرن الماضي: الشيخ أبو الخير الميداني، ثم بعد وفاته رأسها: الشيخ السيد مكي الكتاني، وكان لها أثرٌ اجتماعيٌّ كبيرٌ، وتأثيرٌ على القرار السياسي أحياناً، وكان أعضاؤها كبار علماء دمشق: كالشيخ أبي الخير الميداني، والسيد مكي الكتاني، والشيخ حسن حَبَنَّكَة، ووالدي الشيخ عبد الكريم الرفاعي، والشيخ صالح الفرفور، وغيرهم من علماء تلك الفترة، وقد توقَّفَتْ أنشطة الرابطة في الستينيات من القرن الماضي قُبَيْلَ وفاة رئيسها السيد مكي الكتاني.



فضيلة الشيخ أسامة الرفاعي في مكتب رابطة علماء الشام في إسطنبول

ولما كان النظام السوري مُهَيْمِناً على منظّمات المجتمع المدني وهيئاته وجمعياته، فلم تتمكّن الرابطة من إعادة تشكيلها خلال العقود السابقة؛ لأن الدولة تفرِضُ أعضاءً لا يرضى عنهم العلماء المُسْتَقِلُّون، ووجودُ أعضاءٍ في الرابطة من الموالين للدولة يُؤَثِّر سلباً على نشاطها وقراراتها، لذلك لم ترَ أيَّ نشاطٍ من العلماء في هذا الاتجاه.

فلما خرجنا بمعية شيخ القُرَّاء الشيخ محمد كريِّم راجح والشيخ أسامة، التقينا في إستانبول، وكان في اللقاء كلٌّ مِن الشيخ أسامة، والدكتور راتب النابلسي، والدكتور أبو الخير شكري، والشيخ تاج الدين تاجي لإعادة التشكيل، ووجدنا أن من الضروري اختيارَ علماء من المحافظات الأخرى؛ كالشيخ محمد علي الصابوني والدكتور عبد الله السلقيني من حلب، والشيخ عدنان السقا والشيخ ممدوح جنيد والدكتور عبد الكريم بكار من حمص، والشيخ محمد لطفي الصباغ والشيخ سرور زين العابدين والدكتور حسان الصفدي والشيخ جمال الدين السيروان والشيخ عبد الفتاح السيد، واتَّفق العلماء على اللِّقاء شهرياً في مصر، حيث كان مركزها في مصر قبل خروجي منها إلى تركيا، وبعد انتقالي إلى إستانبول وجدنا أن يكون مركزُها الجديد في إستانبول، وتمَّت اللقاءات الشهرية فيها.

اقتصَرَتْ أنشطتُها على المحاضرات، والدروس العِلْمِيَّة، والفتاوى الشرعية، والبيانات حول المستجدات على الساحة السورية، وبعض الأحداث في أنحاء العالم الإسلامي، وبعض المشاريع الدعويَّة والعِلْمِيَّة في الداخل السوري.

واتَّفق الجميع على أن يكون رئيس الرابطة شيخ القراء الشيخ محمد كريِّم راجح، لكن الشيخ بعد أشهرٍ وجد نفسه عاجزاً عن القيام بمهام الرابطة لكبر سِنِّه، فاعتذر عن العُضْوِيَّة، وانتخب العلماءُ الشيخَ أسامة الرفاعي لرئاسة الرابطة، والتي تطور نشاطها الإغاثي والصحي من خلال مستوصف في إستانبول يستقبل السوريين، يقوم

عليه فريق عملٍ طبيٌّ من السوريين؛ لأن اللغة التركية عائقٌ من العوائق التي يجدها السوريون في تركيا.



أصحاب الفضيلة الشيخ محمد كريّم راجح والشيخ أسامة الرفاعي والشيخ سارية الرفاعي في مقر رابطة علماء الشام في إسطنبول - نيسان ٢٠١٥

هيئة عِلْم ومؤتمر القاهرة:

مناهج المدارس السورية هي المناهج المقرَّرة في سوريا، لكن: (هيئة علم) التي تأسَّست في جُدَّة على يد أساتذةٍ أفاضل لتقوم بإعداد مناهج للمدارس السورية المنتشرة في الدول التي استقبلت اللاجئين السوريين، حيث أبقَوا على المناهج المقرَّرة في سوريا، مع تعديلٍ طَفيفٍ لما يتعلَّق بالتقديس لحافظ الأسد وحزب البعث الحاكم في سوريا، وقاموا مشكورين بالسَّعيِ لتأمين تكاليفِ طباعتها لتُوَزَّع مجاناً.

فكان أول لقاء جمعَ المُحْسِنين من التجار السوريين ومَن يتعاطفُ مع المنكوبين الخارجين من سوريا، حيث يوجد هناك ثُلَّةٌ من أهل الخير في الوطن العربي، جزاهم الله خير الجزاء.



الشيخ سارية الرفاعي في مؤسسة هيئة علم في مدينة إسطنبول - أيار ٢٠١٥

أقامت هيئة علم مُؤتمراً في القاهرة بتاريخ ٢٠/ ٤/ ٢٠١٣م دعَتْ إليه عدداً من العلماء والداعمين من السوريين وغيرهم، ليتحمَّلوا أعباءَ تكاليفِ طباعة المناهج لعشرات الآلاف من الطلاب السوريين الذين خرجوا من ديارهم وقد دُمِّرت مدارسهم، وحُرموا من التعليم.

فقام عددٌ من الخطباء والعلماء، وحثُّوا الحاضرين على التبرُّعِ، وقد ساهمَتْ (مؤسسة زيد) لما كان مَقَرُّها في القاهرة مع هيئة علم بالإعداد لهذا المؤتمر.



حملات الاغاثة التي قامت بها رابطة علماء الشام للمخيمات السورية شمال الاردن ٢٠١٢

وأذكر أنهم قدَّموني بكلمةٍ، وكنتُ قد استمعتُ إلى مَن تبرَّع وكم تبرَّع، وأنا ليس من عادتي أن أذكر أسماء المتبرِّعين، لا في مجال التعليم، ولا في مجال الإغاثة؛ حتى لا أُسبِّب إحراجاً لأحدٍ، فإن من المتبرِّعين مَن يحرِصُ على إخفاء اسمه لعدَّة اعتباراتٍ، لكنني الآن أذكر ما حصل مع ذكر الأسماء؛ لأن المؤتمر حضرَه المئاتُ، وعلِمَ به الجميع.

حيث قلتُ في كلمتي: لقد سمعتُ أن الدكتور عبد القادر سنكري -رجل الأعمال الحلبي السوري المعروف- قد تبرَّع بمليون دولار، ثم التَفَتُّ إليه وقلتُ: يا دكتور، ألا أمون عليك بمليونٍ آخر؟ فوضع أُصْبُعَيْهِ على عينيه، وقال: حاضر.

ثم ناديتُ لرجل الأعمال السوري وليد الزعبي، وقلتُ له: ألا تغارُ؟ قال: كيف؟ قلتُ: لعلَّكَ ظننتَ عندما دفَعْتَ كلفة المؤتمر قد انتهت مُهِمَّتُكَ! قال: بمَ تكلِّفُني؟ قلتُ: بالقَدْرِ الذي دفعه الدكتور عبد القادر، وهو مليونا دولار، قال: حاضر.

وأمثالهم ممَّن قدَّموا ويُقدِّمون لأمَّتهم كثيرٌ، وستظهر أسماؤهم في المستقبل ولو

رفضوا لا محالةَ، وكما قال الشاعر:

ومهما تكن عند امرئٍ من خَليقةٍ   وإن خالها تخفى على الناس تُعلمِ

ولكن المصيبة فيمن يدَّعي الإنفاق قائلاً: أنا أدفع لبعض الجِهات، وظن أن هذا سينطلي على الناس، فلا بد أن تنكشف الأمور، ويبدو للناس ما كان خافياً.

وخلال إقامتي في القاهرة، خرج كلٌّ من الشيخين من سوريا، فاتَّجه الشيخ كريِّم إلى قطر، واتجه الشيخ أسامة إلى تركيا، وزرتُه مرتين خلالها، فالتقينا على فكرة إعادة تأسيس رابطة علماء الشام، فقرَّرتُ أثناءها الإقامة في تركيا مع بقاء مكتب (مؤسسة زيد) التي قامت بأعمال الرابطة الوليدة لعلماء الشام.

بعد ذلك قرَّرنا نَقْلَ المؤسسة وأعمال الرابطة إلى إستانبول، لا سيَّما بعد الانقلاب على الرئيس مرسي والاضطراب والفوضى في مصر، وقد تحوَّلت مصر من حاضنةٍ حانيةٍ للمهاجرين السوريين على أراضيها، إلى مُضيِّقٍ على السوريين عامتهم وخاصتهم، حيث تحوَّل الشعب المصري الذي كان مُتعاطِفاً مع السوريين الوافِدين إلى بلدهم، فقد فتحوا محلَّاتٍ في الأسواق بمختلف المِهَن، فلم يكن الشعب المصري ليبدي أيَّ استياءٍ آنذاك، لكن الانقلاب على مرسي -الذي كان مع الثورة السورية ضدَّ النظام- حوَّل الشعب المصري إلى دِين قادة الانقلاب في مناهضته للثورة السورية.

وقامت الغوغائيَّة منهم، فحرقوا محلات هؤلاء السوريين، وأُغلِقَتْ مستوصفاتهم التي كانت تعالج مرضاهم الفقراء، واستُدعي الأطباء والعاملون إلى الأمن، وتوقَّف دخول السوريين إلى مصر على الحصول على فيزا لأوَّل مرَّةٍ منذ عشرات السنين، وبالتالي عاش السوريون حالةً من القلَقِ، حيث تشتَّت أفراد الأسرة الواحدة؛ فالأب لم يعُد يستطيع اللقاء مع ولده، والبنت لم تعُد تتمكَّن من العودة بعد أداء امتحاناتها إلى أمها

وأبيها في مصر، أو في بلدٍ مُجاورٍ لسوريا لجأ إليه السوريون المنكوبون، وكذلك في دول الخليج عانى السوريون فيما يتعلّق بالإقامات وزيارات الأبناء لأهليهم، وكأن السوريين أصبحوا جميعاً إرهابيين في تلك الدول المجاورة والعربية كلها، والمُتَنَفَّسُ الوحيد كانت تركيا التي بقيت تستقبل السوريين بدون فيزا حتى ولو كان الجواز للقادم إليها قد انتهت صلاحِيَّتُه.

سفري إلى تركيا:

غادَرْتُ مصر بعد التضييق الذي شمل السوريين أفراداً ومنظّماتٍ وهيئاتٍ، غادرتُها إلى تركيا لأجد فيها -كما وجد السوريون جميعاً- ترحيباً وتسهيلاً لمعاملات السوريين وإقاماتهم، فلقد صدر قرارٌ بتخفيف الرسوم عن السوريين، ثم صدر قرارٌ بإلغاء رسوم الإقامات.

وازداد نشاط الجمعيات الخيرية التركية لمساعدة اللاجئين من سوريا إليها، سواء إلى مخيَّماتها أو مدنها، حتى أن البلديات في المحافظات التركية كانوا يرسلون سياراتهم المحمَّلة بالمواد الإغاثية والأموال ليساعدوا السوريين، فتتنافس البلديات في تقديم المساعدات العينية والنقدية لهم، وسهَّلوا التراخيص للمنظَّمات السورية بالعمل لإغاثة إخوانهم السوريين في تركيا والداخل السوري، وبموجب الإقامة للسوري يُعطى إذناً بالعمل، وتُعفى الشركة أو المصنع أو المحلُّ الذي يعمل لديه سوريون من رسوم هؤلاء العُمَّال.

ولقد زُرنا مخيَّمات اللاجئين على الحدود السورية التركية، فوجدناها مخيَّماتٍ مُزوَّدةً بكلِّ وسائل الراحة؛ من كهرباء وماء ومرافق ومدارس ومساجد، دخلنا مدرسةً، فوجدناها مُهَيَّأَةً ومُزَوَّدةً بوسائل تعليمية وأثاث ونظافة أكثر مما كنا نجده في المدارس

الخاصة بسوريا ذات الأقساط المرتفعة.

جاءت التعليمات لكل المدارس التركية باستقبال السوريين والاهتمام بهم، فكنتُ أنصح آباء الأطفال الصغار أن يضعوا أبناءهم في المدارس التركية؛ لضَمان مستقبل دراستهم الثانوية والجامعية، مع ضرورة العناية بلغتهم العربية من خلال دورات تحفيظ القرآن الكريم، وتدريسهم النحو والأدب العربي، ولأن التفريط والتقصير مع الأولاد الذين يدرسون في دولٍ أجنبيَّةٍ تفريطٌ بانتمائهم لدينهم وأمنهم ولغتهم.

المدارس السورية:

وأما الطلاب في المراحل الانتقاليَّة؛ فقد فُتِحت -ولله الحمدُ- عشرات المدارس للسوريين على نفقة رجال الأعمال السوريين جزاهم الله خيراً؛ لأن اللغة كانت عائقاً، إذ ليس من السُّهولة أن يدخل الطالب إلى المدارس التركية ليتعلَّم المناهج باللغة التركية ولما يتعلَّمها بعدُ.

وقد قامت مؤسسة زيد بإنشاء (مركز زيد لتأهيل الطلاب السوريين) لدخول المدارس التركية بتعليمهم المصطلحات العِلْمِيَّة بالتركية، وتكثيف دروس اللغة التركية، كما قامت المؤسسة بفتح مدرسةٍ في إستانبول، وهي (مدرسة المعرفة).

كما أصدرت الحكومة التعليمات لكلِّ المستشفيات والمستوصفات باستقبال المرضى السوريين، حتى أن المرضى الذين يتعالجون في المستوصفات الخاصة يُمكن أن تتحمَّل الدولة عنهم كلَّ تكاليف العلاج، وأنا واحدٌ من الذين استفادوا من هذه الحالة بعد إصابتي بالجلطة الدماغية.



مدرسة المعرفة في الغوطة الشرقية - شباط ٢٠١٦



مدرسة المعرفة في إسطنبول بلدية الفاتح - شباط ٢٠١٦



مدرسة المعرفة في إسطنبول بلدية بندك - شباط ٢٠١٦



الشيخ سارية الرفاعي في حفل نهاية العام لمدرسة المعرفة بإسطنبول - آب ٢٠١٦



من النشاطات الدعوية لمؤسسة زيد بن ثابت الأهلية في الشمال السوري - كانون الأول ٢٠١٩

مؤسسة زيد وحصولها على الأيزو:

ذكرتُ بأن خروجي من سوريا إلى مصر أولاً اضطرَّني للحصول على ترخيصٍ من الدولة للنشاط التعليميِّ والإغاثيِّ للسوريين اللاجئين إلى مصر، واستمرَّ العمل فيها إلى أن سافرتُ إلى تركيا، مما جعلني أنقل المركز الرئيسي للمؤسسة إلى إستانبول، وتمكَّنَّا فيها من الحصول على ترخيصٍ ليكون عملنا طِبْقاً لقوانين الدولة، لكن المرض الذي أصابني جعلني أُفكِّر بضبط النشاط العِلْميِّ والإغاثيِّ ضبطاً يزيد على النظام الإداري والمالي للمؤسسة.



من النشاطات الدعوية لمؤسسة زيد بن ثابت الأهلية في عفرين - كانون الأول ٢٠١٩

فاتَّفقتُ مع إدارة المؤسسة بأن نسعى للحصول على شهادة الأيزو؛ لنكون نموذجاً لكلِّ المنظَّمات العاملة بالشأن السوري، فيطمئن المتبرِّع بأن ماله وُضِعَ في مكانه بشكلٍ دقيقٍ، يتوافق مع المعايير الدولية، وبإشراف الهيئات المانحة لشهادة الجودة (الأيزو)، فكانت (مؤسسة زيد بن ثابت الأهلية) هي أول مؤسسةٍ تحصل على هذه الشهادة من أكثر من مائة منظَّمةٍ تقوم بالعمل الإغاثي والتعليمي للسوريين خارج البلاد.

رَغم أني لستُ مضطرّاً لهذه الشهادة؛ لأن إدارة المؤسسة موظفين وعاملين يجعلون نصب أعينهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله يحبُّ من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه»[1]، لكن مَن لم يَعرِفِ المؤسسة إلا أنها واحدةٌ من عشرات المنظَّمات العامة، فإنه يحتاج إلى توثيقٍ، لا سيَّما وقد وجدتُ نفْسي مُشرِفاً على وداع الدنيا، فأحببتُ أن لا ينقطع العمل برحيلي، أسأل الله حسن الختام.

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٣٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٧) من حديث عائشة رضي الله عنها بإسنادٍ صحيحٍ.



من النشاطات الدعوية لمؤسسة زيد بن ثابت الأهلية في الشمال السوري



تخريج دفعة من الطلاب في مركز التدريب المهني المستمر في مشفى دار الشفاء بالغوطة الشرقية الذي أسسته مؤسسة زيت بن ثابت - أيار ٢٠١٦

وبالتالي، فإن (الأيزو) هي شهادة التوثيق بدقَّة العمل في المؤسسة تجاه المنظَّمات الدولية والمحلية، لذلك نالت المؤسسة -ولله الحمد- ثِقةَ مُعظمِ المنظَّمات والجمعيات التركية؛

ليكون بينها وبين المؤسسة عقودُ شراكةٍ في إيصال المواد العَيْنِيَّة إلى الداخل السوري، وإنشاء مدارس في المدن التركية للسوريين، وفي المناطق المحررة في الداخل السوري.



مركز الحكيم الطبي التابع لمؤسسة زيد بن ثابت في الغوطة الشرقية قبل إغلاقه مع تهجير أهالي الغوطة إلى الشمال السوري- شباط ٢٠١٦

كما أنشأت المؤسسة في الداخل السوري مركزاً دعوياً وتعليمياً وإغاثياً، فأقبل الطلاب على المركز يحفظون القرآن، وأقبلَت الأسر السورية في ريف إدلب يأخذون المساعدات.

كما وصلت المعونات إلى ريف اللاذقية والقرى المَنْسِيَّة في جبل الأكراد والتركمان -ولله الحمد-، ثم رأيتُ أن تقتصر مؤسسة زيد على الأنشطة التعليمية والدعوية والقرآنية، وأن تُجري عقودَ شراكةٍ مع مؤسَّساتٍ موثوقةٍ لتوزيع المواد الإغاثية.



من نشاطات مؤسسة زيد بن ثابت الأهلية في الشمال السوري - كانون الثاني ٢٠١٥



أحد متطوعي مؤسسة زيد بن ثابت في (حملة دفني) لتوزيع الثياب الشتوية على الأطفال في الشمال السوري- كانون الثاني ٢٠٢٠

منظَّماتٌ وهيئاتٌ تعليميَّةٌ وطبيَّةٌ وإغاثيَّةٌ:

لا يمكن أن أُنكِرَ جهود الشباب العاملين في المنظَّمات الأخرى داخل تركيا وخارجها، من منظماتٍ سوريةٍ، فالشباب السوريون في أوروبا يجمعون المساعدات ضمن حملاتٍ وقوافل لا تتوقَّف، كما أنشأت تلك المنظَّمات مدارس للسوريين بلغ عددها في تركيا ما يزيد على المائة وعشرين مدرسة، ولله الحمد.

(دليل الخير) اعترافاً بالجميل:

وقد أعدَّت مؤسسة زيد دليلاً سُمِّي بـ(دليل الخير) خدمةً لهذه المنظَّمات، وهو أوَّل موقعٍ إلكترونيٍّ يجمع تلك المنظَّمات العاملة في الشأن السوري، ويوجد في هذا الدليل أكبر قاعدة بياناتٍ لتلك المؤسسات لِما تقدِّمه من خدمات للشعب السوري في الداخل والخارج.



واجهة الموقع الإلكتروني لدليل الخير

وقد بدأ الموقع بإصدار تقارير حول عمل تلك المؤسسات ليعرف القاصي والداني

بأننا لسنا وحدَنا في الميدان، ومن الوفاء بحقِّ الناشطين في العمل الإغاثيِّ وغيره أن يتعرَّف الناسُ على أنشطتهم لينالوا الدَّعْمَ والتشجيع، ولئن تخلَّى العالَمُ عن هذا الشعب المنكوب؛ فإن إخوانهم وأبناءهم في كلِّ مكانٍ مع أهلهم الضُّعفاء بالدعم والمساعدة، أسأل الله أن يمدَّهم بعونه، وأن يكلأهم بعنايته ورعايته.

وصيَّتي لِمَن يعمل بالإغاثة من السوريين:

وأُحب أن أُوصي كلَّ من يعمل في الشأن العام مِن إغاثةٍ وغير ذلك أن يكون عملُه جماعياً مؤسَّساتياً؛ حِرْصاً على المال العام الذي نُسأل عنه يوم القيامة: هل حفظتَ الأمانة وأعطيتَها للمستحِقِّين؟ وسيتعرَّضُ في حال عدم الضبط لاتِّهام الناس، ورحم الله امرءاً جَبَّ المغيبة عن نفْسِه.

ما كنتُ أسمح لنفسي ولا لأحدٍ أعرفه وأثق به أن يأخذ أموال الناس ومبالغَ من أحدٍ ليتِمَّ توزيعها بشكلٍ شخصيٍّ حسب معرفته مهما كان موثوقاً ومعروفاً لدى الخاصة والعامة، فلا بدَّ أن يكون له ارتباطٌ بمنظَّمةٍ أو جمعيَّةٍ لها نظامها وصندوقها بضبط الوارد والصادر، وبهذا الضبط يُبرئُ ذِمَّتَه أمام الله وأمام الناس.

وبدوري أُحذِّر أيَّ مُتبرِّعٍ أن يُعطِيَ زكاة ماله أو صدقاته لأحدٍ يتولَّى توزيعها بنفسه، وهذا ما كنا نراه على بعض المشايخ، حيث يتلقى التبرُّعات بشخصه ويتولَّى توزيعها بنفسه، وبهذا يتعرَّض للاتهامات والافتراءات، وربما كان في الحقيقة أنقى من ماء السماء.

سفري إلى الداخل السوري (ريف حلب):

دخلتُ إلى سوريا، فزرتُ فيها المجلس العسكري، وهيئة القضاء والإفتاء، وزرتُ السجن، وتكلَّمتُ مع السجناء من عناصر الجيش الحرِّ؛ إذ لا يخلو أحدٌ من أخطاء وإساءات، وعاهدوني على أن لا يعودوا إلى ما كانوا عليه، فما كان من رئيس هيئة القضاء

إلا أن أعلن الإفراج عنهم إكراماً لنا، وعددهم ٣٥٠ سجيناً، جزاه الله عنا خير الجزاء.

وخلال جولتِنا التي شملت معظم ريف حلب الشمالي، سمعنا أن الطيران السوري قصف مكاناً في عزاز، فأسرع الإخوة لاختصار البرنامج، والعودة إلى الحدود التركية، وتمَّ اللِّقاء مع مجموعات المجلس المحلي والقضاء العسكري هناك على الحدود، وتبيَّن أن المجموعة التي كنا عازمين على اللقاء معها في عزاز قد قُصِفَتْ في ذاك المكان قبل وصولنا إليه بساعةٍ واحدةٍ، وأنا أقول لهم: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، فلا تقلقوا، وبالتالي نجَّاهم الله جميعاً، وكانوا ينتظرون لقائي في ذلك المنزل في عزاز، وأراد الله أن يكون اللقاء على الحدود التركية.

في هذه الرحلة الممتعة بلقاءاتها مع مُعظَم الهيئات الفاعلة في الداخل، يجد الزائر نفْسَه في بلده التي أصبحت حُرَّةً، والناس فيها أحرارٌ ينضبطون بقوانين توافَقوا عليها، بعد أن كنا نعيش لعشرات السنين، ونجد واسطةً بمالٍ أو جاهٍ تفرِّج عن محكومٍ بالإعدام، وقد كنتُ ممن يتوسَّط للإفراج عن المسجونين يوم كانوا يتودَّدون إليَّ، فتوسَّطتُ للمئات، فأفرجوا عنهم، حتى أن واحداً منهم زارني وقال بأعلى صوته: واللهِ إن الشيخ سارية توسَّطَ لِي مرتين، وقد حُكِمْتُ بالإعدام، ومع ذلك كان لوساطته أثَرٌ كما ترون.

لكنني أقول: إن بلداً كهذا -لا قانون فيه- يعيش فيه المواطن في خوفٍ وقلقٍ دائمٍ، فالقانون في بلدنا سورية هو قانون المحسوبيات، وقانون مَن يدفع أكثر يكون الحقُّ في جانبه، ولْيَمُتْ همّاً وغمّاً، ولْيُسْجَنْ مَن لا مال ولا جاه لديه.



زيارة الشيخ سارية الرفاعي للسجناء في سجن حلب المركزي ودعوته لهم بالفرج القريب - كانون الأول ٢٠١٢



وداع العقيد عبد الجبار عكيدي رئيس المجلس العسكري بحلب للشيخ سارية الرفاعي - كانون الأول ٢٠١٢

تأسيس (المجلس الإسلامي السوري):

كان من نتيجة التواصل بين الهيئات العِلْمِيَّة في الداخل والخارج التَّشاورُ حول إنشاء (المجلس الإسلامي السوري)؛ ليجمع كلَّ المكوِّنات الفاعلة في الداخل السوري وخارجه، واتَّفَقْنا على لقاءٍ تشاوُرِيٍّ للتحضير لهذا المجلس الجديد، وما هي مكوناته، واتَّفقوا على أن تكون مكوِّناته هي كل الهيئات الشرعية والقضائية في الداخل السوري والروابط العلمية خارج سوريا، كما أن (مؤسسة زيد بن ثابت الأهلية) هي أحد مُكوِّناته، وعلى أن تُرشِّح كلُّ هيئةٍ واحداً من أعضائها ليمثِّلَها داخل المجلس.

فقدَّمت رابطةُ علماء الشام مجموعةً من الأسماء لترشيحها، ولقد اعتذرتُ عن وضع اسمي في القائمة للترشيح، وذلك حتى لا يُقال: بأن الشيخ أسامة والشيخ سارية هَيْمَنا على رابطة علماء الشام، وسيُهَيْمِنانِ أيضاً على المجلس، وقد قيل، فاعتذرتُ عن ترشيح نفْسي، ووعدتُهم أن أكون خادماً لهاتين المؤسَّستين (الرابطة والمجلس) قَدْرَ طاقتي واستطاعتي.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد إمام المجاهدين وسيد المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

استجابة لأمر الله تبارك وتعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾

وعملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

« يد الله على الجماعة ».

فقد انعقد اللقاء التأسيسي للمجلس الإسلامي السوري في إسطنبول في يومي الجمعة والسبت ١٠/١١ - ٦ - ١٤٣٥هـ الموافق ١١/١٢ - ٤ - ٢٠١٤ م بحضور جمع كبير من علماء سورية ودعاتها أفراداً وممثلين للهيئات الشرعية والروابط الإسلامية ليشكّلوا مرجعية شرعية علمية للشعب السوري لتسديد مسيرته والنظر في قضاياه العامة.

وقد خلُص اللقاء إلى:

- تأسيس المجلس الإسلامي السوري.
- اختيار مجلس الأمناء.
- انتخاب فضيلة العلامة الشيخ أسامة عبد الكريم الرفاعي رئيساً للمجلس.

وقد تعاهد المشاركون على أن يكون هذا المجلس مرجعية شرعية على منهج الكتاب والسنة للشعب السوري، كما تدارسوا وضع الثورة السورية المباركة الصامدة وما يتعرض له الشعب السوري المصابر من سفك للدماء، وانتهاك للأعراض، وتدمير للبنيان، وتشريد من الديار في ظل تقاعس من المجتمع الدولي عن نصرة الشعب السوري المظلوم.

وأمام هذه التحديات الخطيرة التي تمر بها سورية فإن المجلس الإسلامي السوري يتقدم إلى الإخوة المجاهدين والمرابطين على أرض سورية الحبيبة بالتحية والتقدير على صبرهم وجهادهم في رد العدوان وسعيهم إلى تحقيق أهداف الثورة في الحرية والعدالة والكرامة، ويسأل الله تعالى لهم النصر والتمكين. ويعلن المجلس مؤازرته الكاملة لهم بكل الإمكانات المتاحة حتى إسقاط النظام الظالم، ويؤكد وقوفه إلى جانب كل السوريين الذين أصابهم الضر في محنتهم القاسية، وسيبقى المجلس بإذن الله تعالى على تواصل دائم مع كل كيانات الثورة السورية في الداخل والخارج بما يخدم أهداف ثورتنا المجيدة تحقيقاً لقوله تعالى(وتعاونوا على البر والتقوى) كما يتوجه المجلس الإسلامي السوري بالشكر والعرفان إلى كل من آزر الشعب السوري ووقف إلى جانبه في محنته شعوباً وحكومات، ويسأل الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء، ويجنب بلادهم كل مكروه.

ويتوجه أعضاء المجلس إلى كل العلماء والدعاة السوريين بكل أطيافهم بأن يكونوا عوناً وسنداً لهذا المجلس المبارك الذي نرجو من الله تعالى أن يقوم بواجباته المنوطة به.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

المجلس الإسلامي السوري

إسطنبول ١٣/٦/١٤٣٥هـ - ١٣/٤/٢٠١٤م

بيان تأسيس المجلس الإسلامي السوري - نيسان ٢٠١٤



المجلس الإسلامي السوري يعقد إحدى جلساته في مكتب المجلس في مدينة إسطنبول التركية - ٢٠١٧

واجتمعَتْ هذه الهيئات لانتخاب أُمَناء هذا المجلس بتاريخ ١١/ ٤/ ٢٠١٤م في إستانبول، وانتخبوا أعضاء المجلس برئاسة الشيخ أسامة الرفاعي، لكنَّ آليَّة الانتخاب والترشيح لم يُحالِفْها التوفيقُ، حيث كان عددٌ منهم يُمارسون دورهم السياسي، مما جعل كل مجموعة منهم يتكتَّلون حسب رؤيتهم السياسية، وكنا قد اتَّفَقْنا في رابطة علماء الشام أنَّ السياسة لها رجالها، ولسنا من رجال السياسة، فوجد الشيخ أسامة هنا نفْسَه في بيئةٍ بعيدةٍ عن بيئته وتوجُّهِه، لذلك حصلت إشكالاتٌ بينه وبين بعض الأعضاء، مما اضطرَّه أن يدعوَ لاجتماع الأمناء في إستانبول الذين قرَّروا في اجتماعهم فصلَ عددٍ من أولئك الأعضاء الذين لبعضهم أجندةٌ سياسيَّةٌ لا تتَّفقُ مع توجُّه أعضاء المجلس جميعاً.

ولم يكن هذا الخلاف في المجلس غريباً ولا عجيباً، فإن مثل هذه الخلافات والنزاعات

موجودةٌ في كلِّ الهيئات والمنظمات التي شُكِّلت خارج سوريا، وكان النظام قد منع مثل هذه التجمُّعات قبل الثورة، فلا يُستغرَب وقوع إشكالاتٍ وخلافاتٍ في أعمالٍ مؤسَّساتيةٍ لم يألَفوها.

تفاعل كبار العلماء مع العلماء والشباب:

كان الجديد المستفادُ من تأسيس (رابطة علماء الشام) و(المجلس الإسلامي السوري) التفاعل والتلاحم بين تجارب وخبرة الكبار، وبين نشاط العلماء والشباب وتشاورهم في القضايا المعاصرة، ورغبة العالم في عولمة الوطن العربي والدولة المدنية وغيرها من الأفكار.

كان هذا التطعيم بين هؤلاء وهؤلاء تحت مظلَّة رابطة علماء الشام أمراً جديداً وحدَثاً عظيماً، لم يكن من قبل في سورية، حيث كانت كلُّ جماعةٍ منغلقةً على نفسها، لها برنامجها ومنهجيَّتها بطريقة عملها ومناهجها، لكننا الآن وقد أصبحت الجماعات كلُّها ممثلةً برموزها في الرابطة والمجلس، وبالهيئات العامة التي تجتمع مع أمناء الرابطة والمجلس كل ستة أشهر، يتخلَّل اللقاءات ورش عملٍ لتفعيل القرارات والتوصيات، وطرح مقترحاتٍ جديدةٍ لاسيَّما ونحن نرى العلماء الشباب وقد احتلُّوا مراكز علميَّةً في الجامعات والمؤسسات التعليمية والدعوية، فلا مجال لاستئثار العلماء الكبار في السِّنِّ؛ إذ لا بُدَّ من الدماء الجديدة.

لذلك أثبَتْنا في مضمون النظام الداخلي للرابطة ما يوصل العلماء الشباب إلى عضويَّة الأمانة العامة، ومجلس إدارة الرابطة من خلال الانتخابات.

ولقد كنتُ -ولا أزال أميلُ- إلى مشاركة الشباب الدُّعاة في عظائم الأمور، لذلك لمّا ابتلاني الله تعالى، وأُصبتُ بالمرض الذي أقعدني، وجدتُ أن أعمالي في مؤسسة زيد

وغيرها لم تتأثَّرْ، بل ازدادت أضعاف ما كانت عليه في الجانب الدعوي والتعليمي والإغاثي والجوانب الأخرى ولله الحمد، لقد كنا نرى المركزية في مُعظَم الأعمال، فالشيخ أو الرمز هو كلُّ شيءٍ، فإذا اضطرَّ للغياب بسبب المرض أو السفر أو الموت، توقَّفت تلك الأعمال و الأنشطة.

لذلك فإن النظام الداخلي لكلٍّ من الرابطة والمجلس الإسلامي، يُلزم كلَّ عضوٍ -حتى في الهيئة العامة- أن يُدْلِيَ بدَلْوِه، ويشارك في أعمال كبار العلماء، حتى يكون منهم عند غيابهم.

ولو استقرَأْنا سيرة كبار العلماء الذين رحلوا إلى الله بعد حياةٍ حافلةٍ بالعلم والتعليم؛ لوجدنا بعد الاستقراء أن الشيخ الذي له من تلامذته مَن كان يشاركه الحياة الدعوية والعلمية، لم ينقطع عمَلُه وعِلْمُه معاً: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

ولم يكن هذا غريباً في سلَفِنا الصالح، فلقد كان يوسف ابن الماجشون -وهو من صغار التابعين- يقول: كان يقول لنا الزهري -وهو من كبار التابعين-: لا تستحقروا أنفسكم لحداثة أسنانِكم، فإن عمر رضي الله عنه كان يستشير الشباب لحِدَّة عقولهم.

لقاءاتٌ مع المعارضة السورية خارج سورية:

بعد خروج المنشقِّين السياسيين والعسكريين من سوريا، شكَّلوا مجالس عدَّة؛ كالمجلس الوطنيِّ، وتنسيقيَّاتٍ وائتلافاتٍ بين بعض المكوِّنات السياسية، ولقد التقيتُ مع كثيرٍ منهم في دبي وإستانبول، لا للتعاون في أعمالهم ومؤتمراتهم السياسية، فهذا ليس من اختصاصي الذي ينحصِرُ بالتوجيه والإرشاد والتوفيق بين المتخاصِمين منهم، فنحن بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى وَحدة الصفِّ، وجَمْعِ الكلمةِ، علماء وسياسيين وعلى كل المستويات

وكل الشرائح والفئات.

التقيتُ في دبي مع مجموعةٍ من المجلس الوطني المعارض بعد تأسيسه في منزل الأستاذ وليد الزعبي، وبعد أن تحدَّثوا طويلاً وأنا ساكت، قالوا: لم نسمع من الشيخ سارية أيَّ كلمةٍ، فقلتُ: لقد توقَّعتُ أنني سألتقي الآن مع أناسٍ يحمِلون هَمَّ الأُمَّة المنكوبة، وشعبنا المشرَّد الجريح، وإذ بي أفاجأ بأشخاصٍ يتكلَّم بعضهم على بعضٍ، ويُشكِّكُ بعضهم في بعضٍ، وكلُّهم في مجلسٍ واحدٍ مُعارضٍ، وكان على رأسهم الأستاذ برهان غليون، فقلتُ: أيها الإخوة: أُقدِّرُ مساعِيَكم وأنشِطتَكم، ولكن أُشكِّكُ في نجاحِكم؛ لأنَّ ربَّنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، إنَّ فشلَكم في تعاونكم وثقة بعضكم ببعضٍ سيؤدِّي لا محالة إلى فشلكم في خدمتكم لوطنكم وأمتكم.



الشيخ سارية الرفاعي في مؤتمر العلماء والعاملين في صفوف الثورة في إسطنبول - تموز ٢٠١٣

كما التقيتُ مع مجموعةٍ أخرى من المعارضين السياسيين في منزل الأستاذ غسان عبود في دبي، وأذكرُ من بين الحاضرين الأستاذ ميشيل كيلو، والأستاذ برهان غليون، والأستاذ أسامة القاضي، وأذكرُ أنني قلتُ في ذلك اللقاء: مشكلتُنا انعدامُ الثِّقة فيما بيننا، فأنتَ مسيحيٌّ وأنا مسلمٌ، وأنتَ علمانيٌّ وأنا إسلاميٌّ، وكلٌّ واحدٍ يشكِّك بوطنيَّة الآخر، فقال الأستاذ ميشيل: يا أستاذ، أرجوك لا تقل: مسيحيٌّ، أنا مواطنٌ سوريٌّ، ودعُونا من كلِّ الانتماءات، وذكر أمراً غريباً؛ بأنه التقى بعددٍ من قادة جبهة النصرة، واعتمَدوه في بعض الأعمال ممثِّلاً عنهم.



الدكتور جواد ابو حطب رئيس الحكومة السورية المؤقتة في زيارة للشيخ في منزله

وكان هذا اللقاء من أجل تشكيل لجنة صندوقٍ وطنيٍّ لدعم ما تراه اللجنة مناسباً لإنقاذ الشعب السوري مما هو فيه، غيرَ أن الخلاف كان قائماً بين رجال الأعمال السوريين، واتِّهام بعضهم للبعض الآخر بالتقاعس عن الدعم، وآخر بالتظاهر بالدَّعم، وفي الواقع لا نرى شيئاً، وهكذا، فوجدتُ أن مثل هذا الجوِّ لا يتناسبُ مع توجُّهاتي وأوقاتي، فاعتذرتُ ولم تتحقَّقْ فكرة الصُّندوقِ بعد ذلك.

لقاء الدكتور عارف دليلة:

التقيتُ أيضاً مع الدكتور عارف دليلة الأستاذ في الجامعة السورية بدمشق، وهو من المعارضين من الطائفة العلوية، فقلتُ: نحن لا نشكِّكُ بوطنيَّة أحدٍ، وبالتالي ينبغي أن يتعاون الجميع على إنقاذ سوريا، فلا غنى لنا عن المسيحي ولا العلوي ولا الدرزي، لكن لديَّ سؤالٌ: وهو أن الحِراك في الداخل ينطلق من المساجد، والشعاراتُ تشهد بذلك، ومُعظَمُ شهداء المظاهرات من الشباب المسلم، ورَغْم هذا أقول: لا بدَّ من تعاون جميع الشرائح على مختلف الانتماءات؛ لأنَّ العلمانيين مثلاً هُم جِسْرُنا إلى الدول الغربية التي لا نُحسِن الخطاب معها، فأقول بكلِّ صراحةٍ وشفافيةٍ: لقد تركْنا لكم التفاهم مع الغرب الذي يثِقُ بكم، فلم نجِدْ من نتائج تواصُلِكم معهم إلا مزيداً من الدَّعم لنظام بشار الأسد، ومزيداً من الخداع للشعب السوري بأنه نصيرُه وهو في الحقيقة خاذِلُه.



المعارض الدكتور عارف دليلة في لقاء مع الشيخ

لقاء الدكتور فيصل قاسم:

كما التقيتُ مع الدكتور فيصل قاسم، وقلتُ له: إن الذي يُعجِبُني فيكَ أنَّكَ تميلُ مع الحقِّ في اتجاهك المعاكس، لا يهمُّكَ علمانيٌّ ولا إسلاميٌّ ولا مسيحيٌّ ولا مسلمٌ في أيِّ اتِّجاهٍ كنتَ فيه، لا أقصد اتجاهك المعاكس للنظام السوري، لكنه ذكر إعلاميين عُرِفوا بنزاهتهم، ثم انحرفوا حتى ناصروا الباطل، فسقَطوا من عيون جمهورهم، فقلتُ: والله إنني لأدعو الله لكَ أن يُثبِّتَكَ على الحقِّ ومُناصرة الحقِّ؛ لأن التهديدات لِمَن ينصر الحق، والإغراءات لمن يدعو للباطل كثيرةٌ.

نصيحتي للمعارضة:

تكلَّمتُ سابقاً عن لقاءاتي مع العديد من رجالات المعارضة؛ مثل برهان غليون، وجورج صبرا، وعارف دليلة، وميشيل كيلو وغيرهم.

وأوضحتُ لهم جميعاً: أن القاسم المشترك بيننا في ظلِّ هذه الثورة إنما هو ما يُنشده عامة السوريين من الحرية والكرامة، لكن شيئاً واحداً يؤثِّر في نفسي، ألا وهو انعدامُ الثِّقة بين مختلف الطوائف والأطياف السورية.

ومن الواجب علينا أن نلتقي جميعاً على تحقيق ما ثار من أجله الشعب السوري، فراح ضحيَّة هذه الثورة شهداء، وترمَّلت نساء، وتيتَّم عشرات الآلاف من الأطفال، ودُمِّرت ملايين البيوت، بل دُمِّرت سورية، ونحن نختلف على من يرأس المجلس أو الائتلاف، ورؤوس المجموعات يُطالبون بالعدد الأكبر من الكراسي لفرض رأيهم.

وفي الوقت نفْسِه، نجد التَّبَعيَّةَ من البعض للدولة الفُلانية العربية أو الأجنبية، والدولةُ الأقوى تفرِضُ أجِنْدَتَها وأصحاب الولاء لها، وبالتالي نجد التنافس والاتهامات، وشعبُنا

يُذبح ويُسحق، والذي أراه أنَّ عدوَّنا هو الذي أوصلنا إلى ما وصلنا إليه من خلال وعد البعض دون الآخر، لا مِن أجل رفع المعاناة عن شعبِنا، بل من أجل تحقيق مصالحه عبر الموالين له.



الشيخ أسامة الرفاعي والشيخ سارية الرفاعي والمحامي علي قورت في ملتقى الإخاء الأول في مدينة إسطنبول - أيار ٢٠١٧

والذي أراه كذلك أن ألدَّ أعدائِنا هُم هؤلاء الذين يُنازِعون ويُخاصمون من أجل الكراسي، ومن أجل مصالحهم، وما أروعَ المعارَض الذي تمكَّن من جَلْب المال من جهةٍ ما، وقال: أنا واحدٌ منكم وفيكم، دون أن يكون لي ميزةٌ عليكم، وأمرُنا شورى بيننا! ما أروعَ التواضعَ ممن كان له مكانةٌ لدى الدول الأخرى، ومع ذلك لا يريد زيادة في الجاه والمنصب!

وإنني بدوري أنصحُه وأقول: أنتَ الذي ستصل من خلال تواضُعِكَ وتحبُّبِكَ لزملائكَ في المجلس أو الائتلاف أو الهيئات الأخرى لتكون لك المكانة في سورية الحديثة، وليس ذاك الذي يُفرَض من قِبل الدول القوية أو الغنية.

أحبُّ أن أقول لإخواني في المعارضة أيّاً كان انتماؤهم وآراؤهم وأفكارهم وإقامتهم، سواء كانت في فرنسا أو تركيا أو الخليج، أحبُّ أن أقول لهم: لا تنسَوا تخَلّي العالَمَ كلِّه عن شعبنا المسحوق، لقد مضى أكثر من تسع سنوات، وشعبنا يُقتل ويُشرَّد ويُذبح على مرأى من دول العالم كلها، ولم نرَ لصَيْحات النساء معتصماً ذا مروءةٍ يتكلَّم كلمة الحق، أو ينتصر لهذا الشعب المظلوم.

وأحبُّ أن أقول لكلِّ مُخلصٍ من المعارضة يُعطي ولاءه للحق لا لأحدٍ: إن العلماء والمثقَّفين وجميع شرائح المجتمع معكَ، وإن المخلِصَ لأمته لا يخفى على أحد.

كما أُحبُّ أن أقول لهم على اختلاف انتماءاتهم وأفكارهم وأديانهم: أنتم إخواني في الوطن الواحد، حيث عِشْنا على ترابه، وأكَلْنا من خيراته، أقول لهم: والله إني لا أطمَعُ إلى منصبٍ ولا مركزٍ، تماماً كما كنتُ في السابق حال صحتي وقوَّتي، وها أنا في مرضي أتطلَّع إلى حُسْنِ خاتمتي، فلْيَسْمَعوا وصيَّتي.



دفن شهداء الجوع في مخيم اليرموك جنوب دمشق - كانون الثاني ٢٠١٤

وصيَّتي لكم وأنتم تُدافعون عن شعبكم المظلوم: أن لا تتحوَّلوا إلى ظالِمين ومتآمِرين على هذا الشعب الجريح، فكما ثُرْتُم على الظُّلم الذي كان من حزب البعث وآل الأسد، فثُوروا الآن على أنفُسِكم التي تضعُفُ أحياناً أمام الإغراءات، ثُوروا على مجموعاتكم إن وجدتم خلَلاً في المنهج، وكونوا أحراراً في تفكيركم وارتباطاتكم مع أحزابكم ومعارضيكم وولاءاتكم.

إخواني الكرام: حذارِ أن يستخدمَكم عدوُّ شعبِكم الذي يُظهر الغَيرة عليه، وهو يرقب القتل والتدمير خلال أكثر من تسع سنوات دون أن يُحرِّك ساكناً، حذارِ أن يجعلَكم من جنوده، وأن يستدرجَكم لقَتْلِ شعبِكم، كما استخدم حزب البعث العربي الاشتراكي الذي ضمَّ بين أعضائه أبناء جلدتنا، فساهموا -وللأسف- في ترسيخ دعائم الظلم والفساد، وجعلوا من الأسد الأب إلهاً، ومن ولده ابناً للرَّبِّ، فإيَّاكم أن تتكرَّر المأساة على أيديكم.

إن دول العالَم الظالمة لا تريد لبلادنا الديمقراطية التي ينعمون بها، بل يريدون الديكتاتورية التي يُخرِسون بها كلَّ لسانٍ لتكون كلمتهم هي الفاعلة، وأرجو أن لا يفهم أحدٌ أن لا نتواصل مع الغرب المتآمرِ علينا أو الشرق القاتل، بل أقول: ينبغي أن نتواصل مع الغرب والشرق؛ لأن العالم كلَّه أصبح بمثابة منظومةٍ واحدةٍ لا نستطيع أن ننسلِخَ منها للارتباط الوثيق عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، لكن هذا التواصل: إما أن يكون لتحقيق استراتيجيَّة بلادنا، أو يكون التواصل من أجل استراتيجيَّة جماعته أو حزبه أو طائفته، وبالتالي يكون خائناً لأُمَّته، خائناً للحرية والكرامة التي اغتصبها أناسٌ تسَلَّقوا على ثورة الأحرار لتُصبَّ عليه اللَّعَنات في الحاضر والمستقبل وأبد الآبدين.

أحوالُ الناس بعد هجرتهم من سورية:

خرج من سورية ما يربو على أربعة أو خمسة ملايين سوري خوفاً من القَصْف والاعتقال والقتل، وإن خروج الإنسان من وطنه مِحْنةٌ ومُصيبةٌ من أعظم المصائب،

لذلك قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦]، حيثُ جعل القرآنُ الكريم قتلَ الإنسان نفسَه أو إخراجه من وطنه بمرتبةٍ واحدةٍ.

لقد اجتمعتُ مع أشخاصٍ مِن كرام الناس في مصر، خرج أحدهم من بلده ومعه مليون ليرة مثلاً أو أكثر، لكنه خلال أشهرٍ صرفها؛ لأن أجور السَّكَن مرتفعةٌ والمعيشة غالية، زارني وأنا أعرفه من الكرام، فجعل يتكلَّم عن أجرة الطبيب وثمن الدواء، فكنتُ أسمع وأنا في غاية الاستغراب.

أقول: مثل هذا الرجل يتكلَّم عن ثمن الدواء وغلاء المعيشة؟!

فقلتُ في نفسي: إن (مؤسسة زيد) لمثل هؤلاء، كما هي للفقراء والمساكين، وقد أصبح معظم الذين خرجوا من ديارهم فقراء، فقدَّمتُ له شيئاً من المال، فدمعت عيناه ودمعت عينايَ أيضاً، وذكرتُ ما رُوي في الأثر: «ارحموا عزيزَ قومٍ ذلَّ، وغنيَّ قومٍ افتقرَ».

هذا حالُ من خرج ومعه مبلغٌ من المال حتى لا يحتاج أحداً، فكيف أولئك الذين لجؤوا إلى الدول المجاورة ليسكنوا المخيمات التي لا تدفع عنهم حَراً ولا برداً، ومعهم أطفال صغار وكبار وعجائز، فقدوا أموالهم تحت ركام بيوتهم نتيجة القصف؟!

مأساةٌ قلَّ نظيرها أصابت الأغنياء والفقراء على حدٍّ سواء:

إن مواساة هؤلاء وهؤلاء إنَّما يكون بالإيمان بالله تعالى وبقضائه وقدَره، واستحضار حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو تاركٌ مكةَ المكرمة وطنَه يريد الهجرة إلى المدينة المنورة، وقلبه مُعلَّقٌ ببلده الذي وُلد ونشأ فيه، يتركه قائلاً: «واللهِ إنكِ لمن أحبُّ البلاد

إليَّ، ولولا أن أهلكِ أخرجوني منكِ ما خرجتُ»(1).

كنتُ أُذَكِّر السوريين عندما ألتقي بهم، وأجد الحُزن يعتصِرُ قلوبهم، فأقول لهم: لولا هجرةُ النبي صلى الله عليه وسلم من بلده ما نال النصرَ العظيمَ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعيش التفاؤل بمستقبلٍ كريمٍ، فها هو سراقةُ يلحق به لينال الجائزة لمن يأتي بمحمد صلى الله عليه وسلم حياً أو ميتاً، وظهرت له معجزاتُ هذا النبي صلى الله عليه وسلم عندما ناداه قائلاً: «يا سُراقة، آمِنْ ولكَ تاجُ كسرى وسواراه».

أيعِدُه بالتاج والسِّوارين وهو الشريدُ الطريدُ من بلده! وقد تحقَّق الذي وعد به لما جاءت الغنائم في عهد خلافة سيدنا عمر بن الخطاب، فلما دخل المسجد ووجد بين الغنائم التاج والسوارين نادى بأعلى صوته: تعالَ يا سُراقة، تعالَ وخُذْ ما وعدكَ به رسول الله.

كنتُ أُذكِّر السوريين في بلاد الهجرة: بأن لا نستسلم للحاجة والفقر، فينبغي أن يقوم القادر على العمل والنشاط في خدمة أهله في الداخل والخارج، ومع ذلك نجد الكثير من الشباب المتسكِّعين في الطُّرُقات، وهناك من الدورات المجانية في تركيا لتعليم اللغة التركية، أو دورات لتعلُّم مهنةٍ ما، أو عِلْمٍ ما، ومع ذلك ترى ضياع الوقت والملل قد تطرَّق إليهم.

وفي الوقت نفْسِه أرى شباباً يعيشون آلام أُمَّتهم، ومستقبل هذا الجيل الذي سيعود إلى سوريا عاجلاً أم آجلاً، فقاموا بأنشطةٍ وأسَّسوا منظَّماتٍ؛ مثل (فريق أمان، وفريق الكرامة، وفريق هِمَّة)، وهكذا تنادَوا للقيام بأعمالٍ تطوُّعيةٍ تعود على إخوانهم السوريين الذين يعيشون في المهجر بالخير والنفع، وكثيرٌ منهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم، فيأتي

(1) رواه أحمد في «مسنده» (18717)، والترمذي (3926) وقال: حديث حسن صحيح.

أمثال هؤلاء الشباب ليكونوا في خدمة المهاجرين الجدد، ليقدِّموا لهم دليل الخدمات، فيجد المهاجر نفْسَه بين أهله وأولاده.



الشيخ سارية الرفاعي مع المتطوعين الشباب في فريق أمان المجتمعي - كانون الأول ٢٠١٥



فريق همة في نشاط له مع الأطفال السوريين في ولاية أنطاكيا - شباط ٢٠١٦

يزورني أمثال هؤلاء الشباب، فأُشَجِّعُهم في مسيرتهم وأنشطتهم وأقولُ لهم: إنني ومؤسسة زيدٍ في خدمتكم.

التعاون بين الشباب والشابات:

كنا نرى نساءً وشاباتٍ لهن نشاطٌ كبيرٌ عبر التواصل الاجتماعي فيما يخصُّ أهلهن في سوريا، فهناك الناشطات في مجال التعليم، وجمع التبرعات، ومختلف الخدمات.

كنتُ أقول للشباب الذين يزورون المخيَّمات: خذوا معكم أخواتكم وأمهاتكم حتى تستأنس نساء المخيمات بهنَّ، وكذلك أطفال اللاجئين، فإن تعامل الشابات معهم أفضلُ من الشباب، فكلٌّ له دورُه ومهامُّه، فلقد تعرَّفْنا على طاقاتٍ وكفاءاتٍ في كثيرٍ من التخصُّصات، وإبداء الأفكار والمشاريع التي تُثْري عمل المنظَّمات والهيئات.

يُقال: إن لكلِّ وقتٍ رجالَه، وهذا العصر عصر التكنولوجيا، قد لا أُجيد أنا وأمثالي التعامل معها، بل تجدني أُمِّيّاً في هذا العالَم الجديد، وربما تجدُني أطلبُ من حفيدي أن يُعطِيَني المعلومة، فيزهو فرحاً أنه أصبح أستاذاً لجَدِّه.

لذلك أقول دائماً: أعطوا الشباب الآن مكانتَهم؛ تأسِّياً برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول وكبار الصحابة في حضرته: أفْرَضُكم زيد، وأعلَمُكم بالحلال والحرام معاذٌ، وأقرؤكم أُبَيٌّ؛ كما سلَّم راية الجيش المتَّجهِ إلى الشام لأسامة بن زيد، وكلُّ هؤلاء شبابٌ في رَيْعان العمر، فلماذا نتأبّى عن تسليمهم عظائمَ الأعمال وهُم رُوَّادُ الثورات العربية في الربيع العربي؟!

ولقد قيل: إن الشباب شُعْلةٌ من الجنون، وأقول: إن حكمة الشيوخ التي تُفضي أحياناً إلى التخاذل والذُّلِّ والهَوان بحاجةٍ لأن تُمزَجَ بقليلٍ من جنون الشباب، المتمثِّل بمغامرتهم وحركتهم التي يشكو منها الكثير من الحكماء والعلماء وكبار السن.

فالحُكَماء لا يستغني عنهم المجتمع لخبرتهم وتجاربهم، كما أن الشباب لهم دورهم الكبير في إثراء المجتمع، وكلٌّ يعمل على شاكِلَتِه.

دَور النساء في الثورة:

لقد ثبت أن للنساء دوراً على كلِّ صعيدٍ، لا يقوم الرجال به، كما أن للشباب دوراً لا يقوم به الكبار، وإذا استعرَضْنا بداية الثورة السورية، وجدنا المرأة حاضرةً في المظاهرات، لا سيَّما اللواتي اعتُقِلَ أولادهنَّ أو أزواجهنَّ، وقد قلتُ سابقاً لضباط الأمن: إنكم بما تقومون به من قتلٍ وعُنفٍ واعتقالٍ تُحرِّضون على المزيد من المظاهرات، إذ لا يمكن للأب أن يسكُتَ على قتل ولده، ولا الأخ على اعتقال أخيه، ولا المرأة كذلك.

وهذا ما رأيناه في المرأة السورية، كانت تقوم بدَوْرِ إفلاتِ الشباب من يد الأمن وهم يعتقلونهم، فتأتي المرأة الكبيرة وتأخذ بيده وتقول له: إنه ولدي -تعني كولدها- وتأتي الشابة وتبكي وترفع صوتها وتقول: إنه أخي، وتشدُّه من يده حتى يتفلَّت من أيديهم.

وكانت المرأة تركب سيارتها وتمشي وراء المظاهرات، حتى إذا جاء الأمن وتفرَّق المتظاهِرون تفتح أبواب السيارة وتقول: اركبوا معي، حتى لا يتعرَّض الأمن لهم بالقتل أو الاعتقال.

وكانت النساء يفتَحْنَ بيوتهنَّ للشباب الهاربِين من الأمن للقبض عليهم.

إنها الشجاعة والإرادة القويَّة التي قد لا توجد عند الكثير من الرجال، لكنني كثيراً ما كنتُ أُصرِّحُ برأيي في عدم تعرُّض المرأة والفتاة للخَطَر، وأُحذِّرهنَّ من المشاركة في المظاهرات خوفاً من الاعتقال، واعتقالُها يعني الخوفَ على عِرْضِها، ولطالما سمعنا عن اغتصاب النساء في المعتقلات، كما حدثني أحدهم عن امرأةٍ خرجت من المعتقل، فبكَتْ وزوجها يقول لها: لماذا البكاء وقد فرَّج الله عنَّا؟ فتقول: والله يا أبا فلانٍ، لم أعُدْ أصلُحُ لكَ،

والله إن موتي الآن خيرٌ من حياتي، وقد تناوب عليَّ أكثر من عشرةٍ من الأمن داخل المعتقل.

وأحياناً يكون زوجها معها، فيفترسها وحوش الأمن أمام زوجها أو أبيها!



نساء سوريات يشاركن بالمظاهرات في حي ركن الدين الدمشقي - تموز ٢٠١٣

ولما هاجر السوريون إلى البلاد المجاورة لسوريا، لم يتوقَّف نشاطُهنَّ على صفحات التواصل الاجتماعي، وعلى صعيد جَمْع التبرعات، وتدريس الأطفال، والتأهيل النفسي لهم بعد الذي أصاب الأطفال من مشاهد تشيبُ لها الولدان، فمنهم من فقد أباه أو أمه تحت التراب، وقد أُصيب البيت بالبراميل أو الصواريخ، فتراه دائماً في ذُهولٍ، وقد جعلنا في مؤسسة زيد (قسم الإعداد النفسي) لهؤلاء.

تطوَّع كثيرٌ من النساء في (قسم الإعداد النفسي) الذي يقوم عليه حفيدي المتخصِّص بعِلْم النفس: بدر الدين الأحمر بأسلوبه المتميِّز، حيث يقوم بإعداد مدرِّبين ومدرِّباتٍ لهذا القِسْم في المدارس السورية في تركيا، ومن قبلها كان في المدارس السورية في مصر.

وأعود فأقول: إن النساء السوريات لهنَّ دورٌ عظيمٌ، وفضلٌ كبيرٌ في تشجيع الرجال

على الوقوف بشجاعةٍ وإباءٍ دون خوفٍ ولا وجلٍ، في أن يطالبوا بالحرية والكرامة ورفع الظلم والفساد.

فما كنتُ أتوقَّع من زوجتي -وهي تسمعني على المنبر أُهاجم الأجهزة الأمنيَّة- أن تشجِّعَني على المضيِّ بهذا المنهج دون أن تخاف من هجومٍ على البيت أو اعتقالٍ أو قتلٍ، وتقول: المقدَّرُ كائنٌ، لا تخشَ، فإن الله معكَ والملائكة تحرُسُكَ.

فلا هَلَعَ ولا جَزَعَ ولا قَلَقَ ولا خوفَ لدى النساء السوريات، اللواتي يعِشْنَ آلام الأُمَّة وآمالها كالرجال تماماً، بارك الله بهنَّ من أمَّهاتٍ صانعاتٍ للأبطال، وأخواتٍ كريماتٍ، وفتياتٍ نشأْن على ظلم النظام، فشارَكْنَ الرجال والثوار.



مركز زيد بن ثابت لدعم المرأة في استانبول

لقد أرسلت إليَّ إحدى هؤلاء النساء الفاضلات من الغوطة الشرقية رسالةً وهي تودِّعُ ولدَها الشهيد، وتقول له: يا ولدي أزفُّكَ الآن، وإن هذه الليلة أحلى عندي من ليلة عُرسِكَ، لقد ودَّعتُ أخاكَ منذ أشهرٍ، وها أنا اليوم أودِّعُكَ، لنلتقيَ غداً على حوض

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنها أمُّ إبراهيم التي صوَّرت لي صورة الأطفال الذين يذهبون إلى المدرسة، يأتون إليها لتُعطيهم خبزاً دون إدام، وكأنها الأم للمجاهدين والأطفال، تتعاون مع جاراتها ليطبخْن لأولئك المرابطين، والله إنَّهنَّ يُمثِّلن دور الصحابيات، دور زوجة صِلَة بن أَشْيَم التي قُتل زوجها وأولادها الأربعة، وعندما جاءت النسوة للتعزية، قالت: إن جئْتُنَّ تُعَزِّينني، فارجِعْن من حيث أتيتُنَّ، وإن جئْتُنَّ تهنِّئْنني، فأهلاً ومرحباً بكنَّ!

إننا نتَّصل بهؤلاء النِّسوة الكريمات ونحن في تركيا، وهنَّ بلا ماء ولا كهرباء ولا وقود، وإذ بهنَّ يضحَكْنَ ويقُلْنَ: هل كان في زمن الأجداد والجدات كهرباء أو غاز؟ فلنتصوَّر أنفُسَنا في ذاك الزمن الذي كان الحطَب وقوداً للطبخ والدِّفء، والشمع للإضاءة، لقد عاشوا حياةً ملؤها الرضى والحب، فنرى أنفسنا -ونحن في رغَد العيش في تركيا- أقلَّ منهم سعادةً وسروراً.

هذا شأن النساء السوريات الراضيات الصابرات اللاتي يقُلْنَ لأولادهنَّ: والله يا أولادي، كنا نسمع من جداتنا عن حياتهنَّ البسيطة التي لا تعقيد فيها، فكنتُ كلما سمعتُ منهنَّ عن حياتهنَّ أتمنَّى لو كنتُ في زمنهن الذي لم يكن فيه ما نجده الآن من رفاهيةٍ ودَعَةٍ، فأقول: الحمد لله، الآن أشعر أنني في ذاك الزمن، فلنكن يا أولادي راضين كلَّ الرضى عن الله، إذ ليست السعادة بطِيب الطعام ولَذَّة الشراب وفخامة الأثاث، وإنما السعادة برضى القلب، وإيمانه بالقضاء والقدر، والأمل بالفرج القريب.

طبائع البلاد التي هاجر إليها السوريون:

اختلفت ثقافة البلاد التي دخلها السوريون المستضعَفون، فمِن هذه البلاد مَن ظن أن هؤلاء اللاجئين سيكونون سبباً في نقصان أرزاقهم، وأن السوريين سيزاحمونهم على

لُقْمةِ عيشِهم، وتجاوبَ حُكَّام تلك البلاد مع تفكير شعوبها القاصر، فكانت القوانين الصارمة في حقِّهم، فلا إذن لهم بالعمل، ويُعاقَبُ كلُّ مَن يعمل في شركةٍ أو مصنعٍ أو محلٍّ تجاريٍّ، وإذا أراد الشاب الذي يعمل في هذه البلاد أن يستقدم أمَّه وأباه أو عائلته لم يتمكَّن إلا إذا دفع مبالغَ هو وأهله بأمَسِّ الحاجة إليها.

انقطعت صِلة الأب بأبنائه، والأم بأولادها، والأخ بأخيه، وتشتَّت شَمْل الأسرة، كلٌّ في بلدٍ من البلاد، ولعل البعض آثر الذهاب إلى بلدٍ أوروبيٍّ عبر ركوب البحر مُجازفةً، وقد غرق آلاف السوريين أثناء رحلتهم، ولقد جازف هؤلاء رَغْبةً في حياةٍ كريمةٍ افتقدوها في الوطن العربي، حيث علِم أن تلك البلاد الأوروبية يمنحونه الإقامة والجنسية بعد سنواتٍ، ويُؤمِّنون له مباشرةً اللجوء السياسي الذي يحصل بموجبه على السكن والراتب مقابل تعرُّضِه للفتنة في دينه وأخلاقه.

لكن الخير الذي افتقدناه في معظم الوطن العربي وجدناه في تركيا التي رحَّبت بالسوريين، وجعلتهم المهاجرين، وجعلوا أنفسهم الأنصار، وقدَّموا لهم كلَّ التسهيلات، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الموضوع.

وجدنا بهذه المحنة التي أصابت السوريين مَن نجح في الامتحان، ومنهم مَن سقَط على مستوى دولٍ وجماعاتٍ وأفرادٍ.

ما كنتُ أظنُّ أن يتخلَّى العرب عن عُروبتهم المتمثِّلة في أخلاق العرب من المروءة والشهامة وإغاثة الملهوف، فضلاً عن أخلاق الإسلام في نُصْرة المظلوم، وإيواء الخائف المشرَّد، وربُّنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦].

إنْ كان هذا في حقِّ المشرك الخائف المستجير أن يجد الأمن عند المسلم، فكيف

بإخوانكم -يا عرب- الذين لجؤوا إليكم، واستجاروا بكم ليجدوا عندكم الأمن والأمان، فلم يجدوا عندكم إلا الذلَّ والهوان؟! حيثُ يحاول الشاب أن يعمل لديكم؛ لأنه لا يريد الصدقات، فلا يُسمح له بالعمل، ولا يُكرَم على أنه ضَيفٌ، وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِمْ ضيفَه»[1].

كنتُ أسمع من بعض السوريين المنكوبين عندما رأى هذه المعاملة السيئة من أنظمة الحُكْم في الوطن العربي ومن شعوبها أحياناً، كنتُ أسمعهم يقولون: اللهم أرِهِمْ ما أرَيْتَنا، واجعل في بلادهم ما جَعَلْتَ في بلادنا.

فأقول: أُقسم عليكم بالله أن لا تقولوا هذا الكلام، وأرجو الله أن يحفظ بلاد المسلمين من مَكْر الماكرين وجَوْر الظالمين.

ولعلَّ بعض الأنظمة العربية تُعاملُ السوريين هذه المعاملة خوفاً من أن يندسَّ بين الضعفاء الشبيحةُ والمؤيِّدون للنظام.

لكننا علِمْنا أن بعض البلاد العربية رحَّبَتْ بالشبيحة الذين جلَبوا الأموال لاستثمارها في هذه البلاد، فكان الترحيب بالمال وصاحب المال، وجهِلوا بأن هذا المال وأصحابه سيكونون وبالاً عليهم وعلى بلادهم، وجهِلوا بأنَّ نُصْرة المظلوم وإيواء الخائفين المضطهدين هو البركة لبلادهم وشعوبهم، لكن وللأسف أصبحت النظرة للمادَّة، وخلت القلوب من الرحمة، ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم يقول: «الراحمون يرحَمُهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحَمْكم من في السماء»[2]، وقوله: «مَن لا يَرحم لا يُرحم»[3].

ونحن لا نُنكر أن بعض الدول العربية -وفي مقدِّمتها بعض دول الخليج- قدَّمت

(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه الترمذي (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال: حديث حسن صحيح.
(٣) رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ملايين الدولارات للمنكوبين والضُّعفاء واللاجئين، لكنَّ هذه المساعدات كانت عن طريق هيئة الأمم التي أعطَتْها لمن نكَبهم وشرَّدهم، وهو النظام السوري، ليمنحها بواسطة الهلال الأحمر السوري للقرى المؤيِّدة له التي لم يمسَّها تدمير النظام وقصفه.

البديل عن البلاد العربية في هجرة السوريين:

قلنا سابقاً: بأن السوريين المهاجرين عندما وجدوا في البلاد العربية سُوءَ المعاملة لجؤوا إلى المغامرة بالسفر عبر البحار، فغرِق منهم المئات؛ ليدخلوا البلاد الأوربية التي وفَّرت لهم الأمن والرِّعاية، ولكن على حساب دينهم وأخلاق أولادهم لدى أغلب المهاجرين.

تركيا أفضلُ بديلٍ:

كان من أفضل البدائل لهجرة السوريين تركيا التي أعطت التسهيلات لدخول أيِّ سوريٍ، فوجد السوريون لدى الحكومة التركية والشعب التركي بمُنظَّماته وهيئاته وشيوخه كلَّ إكرامٍ وإحسانٍ، فالحكومة سهَّلت لدخول السوريين حدودها بدون فيزا، حتى ولو كان جواز سفره منتهيَ الصلاحية، مع إعفائه من رسوم الإقامة.

ووجدنا المدارس التركية تستقبل أبناء السوريين دون قَيْدٍ أو شرطٍ، وكذلك الجامعات بمُختلف الاختصاصات، والمستوصفات والمشافي أيضاً تستقبل السوريين بمجرَّد إبراز الهوية السورية، ويُعامَل السوري في المشافي العامة والخاصة مُعاملةَ مَن لديه تأمينٌ صحيٌّ، ويُعفى كلُّ صاحب عملٍ أو مصنعٍ من رسوم السوريين الذين يعملون لديه.

ويمكن للمنظَّمات والجمعيات السورية المرخَّصةِ في تركيا أن تمنح مُوَظَّفيها إذنَ عمَلٍ يُخَوِّلُهم بعد خمس سنواتٍ من مَنْحِهم الجنسية التركية، لكن -وللأسف- صدر عن بعض السوريين الكثير من الإساءات في البيوت التي يستأجِرونها، فإذا تركوها

واستأجروا بيوتاً أخرى انتقَلوا دون أن يُسَدِّدوا ما عليهم من فواتير المياه والكهرباء، وربما خرَّبوا بعض مُستلزَمات البيوت الثابتة، مما جعل الأتراك يتَّخذون موقفاً من تأجيرهم البيوت.



مركز زيد بن ثابت الدعوي في قونيه في تركيا

فكان توجيه السادة العلماء بالتزام الأخلاق الإسلامية، خاصَّةً ونحن ضيوفٌ في بلدٍ لم يُقَصِّر مع أهلنا وأبنائنا، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

ولقد سمحت الحكومة التركية للعلماء السوريين بإقامة دروسٍ ومُحاضراتٍ في مساجد تركيا، حتى أن الناشطين في تحفيظ القرآن الكريم قاموا بأنشطةٍ قرآنيةٍ للسائرين بالحفظ من السوريين، فلمَّا علم رئيس هيئة الشؤون الدينية طلب منهم أن يُشرِكوا مع السوريين الأتراك بهذه الأنشطة، كما تنافست البلديات في كلِّ أنحاء تركيا على العناية

بالسوريين والإنفاق عليهم، حيث قدَّموا لهم المعونات العَيْنِيَّة والنَّقْدِيَّة.



من برنامج لأني أحبكم على قناة دار الإيمان - تموز ٢٠١٧

ثم إني زرتُ المخيَّمات التركية، فوجدتها مُجهَّزةً بكلِّ المرافق من ماء وكهرباء ومدارس ومساجد، ودخلتُ مدرسةً في مخيم كلّس، فوجدتُها تفوقُ المدارس الخاصَّة في سورية ذات الأقساط العالية، لكن الغريب والعجيب أن نسمع أيَّام الانتخابات من بعض الأحزاب المعارضة: بأننا إذا فزنا بالانتخابات، فسنُخرج السوريين من تركيا، وشتَّان بين مَن امتلأ قلبه بالرحمة، ومن كان قلبه في قسوته كالحجارة أو هو أشدُّ قسوةً، وهذا شأن من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فإنهم يتصوَّرون أن السوريين زاحموهم بأرزاقهم، ولذلك نرى السوريين يرفعون أكُفَّهم إلى الله بالدعاء: أن ينصر أردوغان الذي آوانا بعد أن طردنا الآخرون، وأحسنَ إلينا بعد أن أساءَ إلينا الآخرون، يَدْعون الله له بالحفظ لهذه البلاد، وبالبركة في أرزاقهم وأمنهم.



الشيخ سارية الرفاعي في زيارة إلى أحد المراكز الطبية المعنية بالسوريين في مدينة إسطنبول التركية – نيسان ٢٠١٦

ونحن نُقدِّر فقر وضعف بعض البلدان المجاورة، إذ لا تستطيع أن تستوعب مئات الآلاف من المهاجرين السوريين، مهما بذلوا من الجُهْد في إكرامهم على أنهم ضيوفٌ؛ لأن صاحب البيت الذي يتمكَّن أن يستضيف بِضْعةَ أفرادٍ من الضيوف لا يَقْدِر أن يستضيف مائة أو أكثر، لكن العتب على هذه الدول في أن يأتيها مَن فرَّ بحياته من القصف والتدمير، وقد فقد ولداً أو شهيداً، ثم لا تفتح له أبوابها مع أنه لجأ لا ليكون عالةً أو ضيفاً أو مُتَسَوِّلاً، بل ليجد الأمن على نفْسه وماله وعياله، ورَغم ذلك يجد المضايقات، فلا يستطيع أن يستقبل أُمَّه أو ولده أو أخاه، ولا يستطيع الخروج من هذا البلد، وإن خرج فلا يُسمَح له بالعودة، وسائر الوطن العربي على هذه الشاكلة من الإذلال والإهانة، والأمثلة على هذا كثيرة.

الحملة في تركيا ضد السوريين:

لقد استغلَّت المعارضة في تركيا تذمُّرَ شريحةٍ من الشعب التركي من وجود السوريين

الذين منحتهم الحكومة التركية كثيراً من التسهيلات في علاجهم وتجاراتهم ومحلاتهم، وغض الطَّرْف عن المخالفات التي تصدر عنهم، مما جعل المعارضة تستغِلُّ هذا الوضع في الإعلام والدِّعايات الانتخابية التي أدَّت إلى خسارة حزب العدالة والتنمية أكبر المدن التركية مثل أنقرة وإستانبول، كما خسر الحزب كثيراً من أعضائه بانشقاقهم عن الحزب، فلجأت الحكومة إلى القيام بحملةٍ ضد السوريين المخالفين للقوانين ممَّن يحمل بطاقة (الكملك) من مدنٍ تركية متعددة ويعملون في إستانبول، وبعضهم لا يحمل هذه البطاقة أصلاً، فشملت الحملة كل هؤلاء وأمثالهم ممن يعمل في المحلات دون إذن عملٍ، فقام الأمن بترحيلهم إلى الداخل السوري خارج تركيا مما أثار الذُّعْر والخوف لدى السوريين، حيث بقي النساء والأطفال بلا مُعيلٍ، والتزمت المنظَّمات والهيئات السورية الصَّمتَ، وبعضها طالب الجهات الرسمية بأسلوب ليِّنٍ من غير حزمٍ أو ضغطٍ، مما أثار حفيظة الناس على وسائل التواصل وهُم يرون ويسمعون بكاء النساء والأطفال وإغلاق المحلات.



الحملة التي أطلقتها السلطات التركية لترحيل الذين لا يحملون كملك إسطنبول - آب ٢٠١٩

البيان الذي أطلقتُه:

لقد تعوَّدتُ أن لا أسكت وأن لا أحسب حساباً لقريبٍ أو بعيدٍ -مهما أحسن إليَّ- إذا صدر منه إساءةٌ أو ظُلمٌ لأحدٍ من الناس، وكيف أسكتُ وقد قُدِّرَ لي أن أكون من الفئة التي عناها قول ربنا سبحانه بقوله: {ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر} [آل عمران: ١٠٤].

فما كنتُ لأقوم بهذا الواجب في بلدي سوريا وأتخلى عنه وأنا في الخارج، فقلتُ في كلمتي المسجَّلة على اليوتيوب:

إخوتي وأحبابي وأبنائي:

أحدِّثكم رَغم ضعفي وعجزي، أحدِّثكم غَيْرةً مني على أهلي السوريين اللاجئين المهاجرين، وغَيْرةً على أهلي وأحبابي الأتراك الذين أُطلِقُ عليهم وصف الأنصار، هؤلاء الذين أنسَوا المهاجرين مُصابَهم وغُربتَهم يوم وفدوا إليهم.

تركيا التي استقبلتنا أحسن استقبالٍ بأعدادٍ لم تُطِقْ مثيلها كثيرٌ من دول العالم مجتمعةً.

فجأةً صدرت القرارات الجائرة بالترحيل خلال ٢٠ يوماً إلى بلد صدور ما يسمى بـ(الكملك)، أو الترحيل إلى الداخل السوري حيث القصفُ والتدميرُ، أو إلى مناطق النظام لينتظرهم الإعدام أو السجن والتعذيب.

أرى الآن في هذه الأزمة رجالاً يبكون وتبكي معهم نساؤهم وأطفالهم لترحيل مَن يُعيلهم، واضطرَّ الكثير منهم لبيع محتويات بيوتهم بأبخس الأسعار، يعيشون برُعْبٍ دائمٍ خوفاً من مداهمة محلاتهم وبيوتهم، وترحيلهم لمخالفة القوانين.

حدَّثتني امرأةٌ قدمت منذ أشهرٍ بعد حصار الغوطة لأكثر من خمس سنوات تحت

القصف والتعذيب والتجويع، وعندها أربعة أولاد شباب استُشهد ثلاثة منهم، وبقي واحدٌ معها يعمل هنا في استانبول، لكن بطاقة الكملك استصدرَها من منطقةٍ نائيةٍ ليس فيها عملٌ يُتيح له إعانة أمّه وأولاد إخوته الشهداء وزوجه وأولاده، فطُلِبَ مني أن أشفع لولدها ليبقى هنا في استانبول لتوفُّر العمل فيها.

فقلتُ لها: يا أختي، أنا منذ خمس سنوات حبيس بيتي للمرض الذي أصابني، وصدِّقوني أنا مثلُكم تماماً أُعاني من تجديد الإقامة في كل عامٍ، ومع ذلك لم أتكلَّم ولن أتكلَّم مع أحدٍ؛ لأنني واحدٌ من هؤلاء الذين يُعانون معاناتي وأكثر.



لقاء الشيخ سارية الرفاعي مع الشيخ محمد قرماز رئيس الشؤون الدينية التركية في مدينة إسطنبول

وأنا الآن أُذكِّر المسؤولين الأتراك بأن مُعاناة السوريين لم تنتهِ بعدُ، وأن جيرانكم السوريين استقبلوا كثيراً من المهاجرين الأتراك والأكراد والتركمان والشراكس والأرمن

والمغاربة وغيرهم للظلم الذي حلَّ فيهم، ولهم أحياء في دمشق بأسماء بلدانهم صار منهم وزراء ورؤساء وزارةٍ ورؤساء أركان.

أخاطبهم وأخاطب المعارضة في تركيا قائلاً: لماذا ضِقْتم ذرعاً بإخوانكم الذين لجؤوا إلى دياركم، لا ليمُدُّوا أيديهم، بل ليساهموا في التنمية عندكم، وبإمكانكم أن تسألوا عن إحصائيات الاستثمار السوري في بلدكم الحبيب وعن التحصيل العلميِّ لدى الشباب السوري في مدارسكم وجامعاتكم، شأنهم شأن الصحابي المهاجر عبد الرحمن بن عوف عندما عرض عليه سعد بن معاذٍ نصف مالِه، وأن يختار مزرعةً من مزرعتيه، فأبى وقال: يا أخي، بارك الله في أهلك ومالك، دُلَّني على السوق.

أنشطة العلماء خارج سوريا في مختلف البلاد العربية وبلاد العالَم:

بعد خروجي والشيخ أسامة والشيخ كريِّم راجح، اختار كلُّ واحدٍ -كما قلتُ سابقاً- بلداً ليقيم فيه، فذهب شيخنا الشيخ كريِّم إلى قطر، وهناك كان يخطب أحياناً في أكبر مساجدها، ويظهر على شاشة الجزيرة فيها، ويعطي دروساً لطلاب العلم في بيته، ويقرأ عليه حفّاظ القرآن ختمات للقرآن الكريم، وكان يرأس اجتماعات رابطة علماء الشام في قطر قبل اعتذاره عن رئاسة الرابطة لانعقاد اجتماعاتها بعد ذلك في تركيا؛ لصعوبة السفر الطويل عليه، إلا أن زيارات أعضاء الرابطة لشيخ القراء كريِّم لم تنقطع في قطر للتشاور معه في شؤون السوريين في الداخل والخارج.

وأما الشيخ أسامة الرفاعي الذي خرج من سوريا أواخر عام ٢٠١٢م إلى تركيا، فكانت له لقاءاتٌ مع علماء تركيا وطلاب العلم فيها، كما أقام دروساً في بعض مساجد إستانبول، وبعد اعتذار شيخ القراء عن رئاسة رابطة علماء الشام، اختار أعضاء الرابطة الشيخ أسامة رئيساً للرابطة، وبالتالي استمرَّت اجتماعات أعضاء الرابطة في إستانبول

لسهولة حضور الجميع إليها دون طلب فيزا للوصول إليها وإقامة اجتماعاتها ولقاءاتها في مدنها دون مُساءلةٍ.

وأما بقيَّة أعضاء الرابطة؛ فلقد كان لكل عضوٍ عمله ونشاطه العلمي والدعوي، كالدكتور راتب النابلسي وإقامته في الأردن، حيث لم تنقطع محاضراته ودروسه، بالإضافة إلى استفادة أكثر من مليون شخص من موقعه الالكتروني، وصفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي.



فضيلة الشيخ أسامة الرفاعي يعلن عن تأسيس المجلس الإسلامي السوري - نيسان ٢٠١٤

وأما عضو الرابطة الشيخ ممدوح جنيد المقيم في المدينة المنورة؛ فقد عُرف بلقاءاته مع علماء سوريا المقيمين في المدينة المنورة والتَّشاوُر معهم؛ ليُقدِّم ما يرونه من آراء للرابطة،

وكذلك كلٌّ من الشيخ جمال الدين السيروان، والشيخ عبد الفتاح السيد، والشيخ عدنان السقا، والشيخ محمد علي الصابوني، يقومون بدروسٍ ومحاضراتٍ في جُدَّة، ولقاءاتٍ مع العلماء وطلاب العلم السوريين ليكونوا نقطة الارتباط بين رابطة علماء الشام والعلماء السوريين الأعضاء في الهيئة العامة المقيمين في مكة وجُدَّة.



الشيخ ممدوح جنيد يقدم برنامج أمل وانتصار من المدينة المنورة - تموز ٢٠١٥

وكذلك كلٌّ من الشيخ محمد لطفي الصباغ -قبل وفاته رحمه الله تعالى-، والدكتور عبد الكريم بكار في متابعة ما يقوم به أعضاء الرابطة من التواصل مع العلماء السوريين والتشاور معهم فيما يتعلّق بالثورة السورية، وطرحها بعد ذلك في اجتماع الرابطة في إستانبول.



الشيخ الدكتور محمد لطفي الصباغ مكرماً من الشيخ عبد المقصود خوجه مؤسس منتدى الاثنينية الأدبي والثقافي



فضيلة الشيخ عدنان السقا عضو رابطة علماء الشام

وللدكتور عبد الكريم بكار مساهماتٌ جليلةٌ في العديد من المنظَّمات الفاعلة في

الشأن السوري، وإقامة الدورات والمحاضرات في شؤون الاجتماع والتربية والتوجيه الأسري، وتصنيفه مؤلفات وسلاسل علمية في هذه المواضيع وغيرها.



الشيخ الدكتور عبد الكريم بكّار خلال محاضرة لطلاب الماجستير في أكاديمية باشاك شهير بإسطنبول - شباط ٢٠١٩

وفي قطر حيث يقيم فضيلة الشيخ سرور زين العابدين عضو رابطة علماء الشام، والذي عُرِف بنشاطه العلمي والدعوي والإغاثي، من خلال علاقاته الحميمة مع الجمعيات الخيرية القطرية ورجال الأعمال فيها، وهو الشيخ الذي تُنسَب إليه ما يُعرف بالسروريّة السلفيّة، وقد توفي رحمه الله تعالى.

ولقد سألتُه مرَّةً: ما رأيكم بالأشاعرة؟ فقال: إنني قرأتُ لشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إن الأشاعرة من أهل السنة والجماعة.

وهذا هو الإنصاف في حقِّ السَّواد الأعظم من أهل العلم الذين نأخذ عنهم

ديننا وفقهنا، ولكن (الغلاة) من السلفيين الذين يتَّهمون الأشاعرة بالبدعة، ويُخرجونهم من دائرة أهل السنة والجماعة لا يقبلون بذلك، وإذا عُرف الأشعريُّ عندهم باستقامته والتزامه منهج الكتاب والسنة ومات أشعرياً، يقولون: إننا نعتقد بأنه تاب قبل أن يموت، بما فيهم ابن تيمية -رحمه الله- في مقولته تلك عن الأشاعرة.



الشيخ سرور زين العابدين في مكتبته في منزله بمدينة الدوحة في قطر

وفي مدينة غازي عنتاب أقام فضيلة الدكتور عبد الله سلقيني -من علماء حلب، وعضو رابطة علماء الشام- ليكون قريباً من الشمال السوري، فيسهل تواصله مع علماء حلب وطلاب العلم فيها ساعة بساعة، وقد عُرف بنشاطه العلمي والدعوي والإغاثي.



فضيلة الشيخ عبد الله السلقيني

وكذلك فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني، فهو رَغْم مرضه لا يألو جهداً باللقاءات والاجتماعات والسفر ليُبيِّن للناس طبيعة الثورة السورية وأسبابها، وكيف قوبلت بالاتهامات والافتراءات.



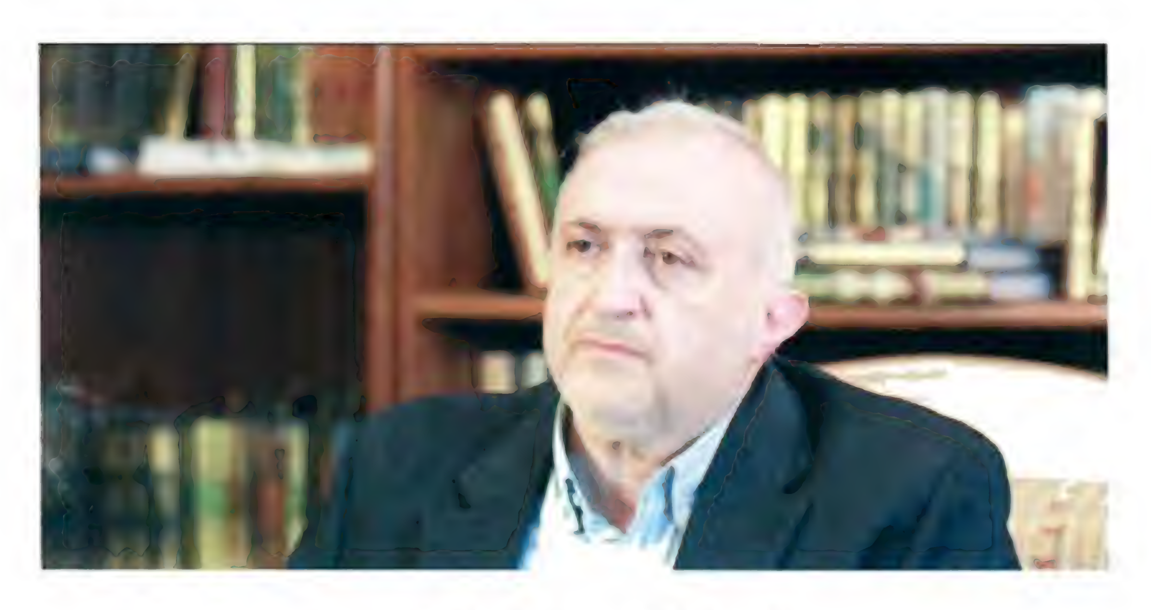
فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني

وأما الشيخ أبو الخير شكري من علماء دمشق؛ فهو أمين سرِّ الرابطة، أقام في إستانبول، وله نشاطه الكبير في العديد من المنظَّمات التي ترعى مصالح الشعب السوري.



فضيلة الشيخ أبو الخير شكري في مجلس عزاء الشيخ المجاهد رياض الخرقي - أيار ٢٠١٥

وكذلك فضيلة الدكتور حسان الصفدي المقيم في عمان الأردن، وله نشاطه الكبير في رابطة علماء الشام، وفي العديد من الهيئات الإسلامية الدعوية والإغاثية.



الشيخ الدكتور حسان الصفدي

وهكذا ترى أنَّ أعضاء رابطة علماء الشام أقاموا في بلادٍ متعدِّدةٍ ليعُمَّ نفعُهم وخيرهم وتواصلهم مع علماء العالم الإسلامي، ومع الشعب السوري الذي تفرَّق واتَّسع انتشاره في أنحاء الوطن العربي.



فضيلة الشيخ جمال الدين السيروان



فضيلة الشيخ راتب النابلسي

ونحن هنا لا نُقلِّل من شأن السادة العلماء الذين يعملون في روابط أخرى، إذْ كان تنوُّع الروابط من قبيل تنوُّع الإثراء والتعاون، لا النزاع والتخاصم.

لقاءاتٌ مع العلماء في السعودية ومصر:

بعد خروجي من سورية توجَّهتُ إلى العمرة، وبعدها جاءتني العديد من الدعوات لزيارة الرياض واللقاء مع الجالية السورية هناك، فذهبتُ، وكانت اللقاءات الكبيرة مع السوريين مسموحاً بها.

لقد وجدتُ أن التواصل مع السوريين في كلِّ مكانٍ ضروريٌّ، حتى لا يَنسى السوري -وهو يعيش بأمنٍ وأمانٍ وراحةٍ ورغد عيشٍ- أهله وإخوانه الذين هُجِّروا من بلادهم، وقد دُمِّرت بيوتهم واستشهد أحبُّ أحبابهم؛ ولئلا ينساهم بالدعم والمساعدة والتواصل ليعلموا أن إخوانهم لم ينسوهم.

لقاء أئمة الحرم:

التقيتُ بمعيَّة شيخنا الشيخ كريِّم راجح في المدينة المنورة مع أئمة الحرم وعلماء المدينة المنورة، فكانوا يسمعون من الشيخ عن أخبار الشام وكأنهم لأوَّل مرَّةٍ يسمعونها.

فرأيتُ أن من الواجب التعريفَ بالوضع في سورية واللقاء مع العلماء والوجهاء من رجالات البلاد العربية وغيرها؛ لأن الواقع يشير إلى أننا بعيدون عن السياسة والقادة ورجال السياسة الذين تصدَّى للاجتماع معهم رجال المعارضة السورية من خلال المجالس والهيئات السياسية كالائتلاف وغيره.

لقاء الشيخ إبراهيم أبو عبا:

وفي الرياض علِم السادة العلماء بوجودي، وقد أخبرهم أخي الدكتور عبد الله العباسي بذلك، فدعاني الشيخ إبراهيم أبو عبا رئيس هيئة التوجيه والإرشاد في الحرس الملكي، ودعا لفيفاً من السادة العلماء السعوديين، وكان في اللقاء رئيس هيئة التوجيه والإرشاد في القوات المسلَّحة، وكان الجميع متلهِّفاً لسماع أخبار سورية بكل حرقةٍ وألمٍ؛ لما يسمعون في الإعلام عن قتل المتظاهرين وتعذيب وقتل المعتقلين، وما يسمعونه عن تأييد بعض العلماء، وقد ركَّزوا على الدكتور البوطي وعلى آخرين، فتكلَّمتُ بكلِّ إنصافٍ عن الدكتور -رحمه الله- وعن بَقِيَّة العلماء وعن قناعتهم بتأييد النظام، فتناقشنا في هذا الموضوع طويلاً.

ثم تكلَّمتُ عن الخطر الأكبر المُوَجَّه من إيران ومرتزقتها على الشام وأهله، وقلتُ: إن الشعب السوري كما تعرفون شعبٌ أبيٌّ عفيفٌ لا يحتاج المال، بل يحتاج المساندة منكم؛ لأنه في النهاية يُدافع عنكم من خطر إيران التي دخلت قوَّاتها سورية، يقتلون أبناءنا ونساءنا وشبابنا، ثم قلتُ: واللهِ إني لأخشى عليكم، أخشى على البلد الأمين، أخشى على مكة المكرمة والمدينة المنورة، ودِرْعُكُم إنما هو الشباب الذين يُقتَلون الآن تحت سمعِكم وسمعِ العالَمَ كلِّه.



فضيلة الشيخ إبراهيم أبو عبا رئيس هيئة التوجيه والإرشاد في الحرس الملكي

ثم تكلَّمتُ عن صبر هؤلاء الشباب، وعن تحوُّلِ كثيرٍ منهم إلى الالتزام بعد التَّفَلُّت، كلُّ ذلك بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل هذه الثورة المباركة.

لقاء الشيخ عبدالله بن بيّه في جُدة:

دعاني في جُدة فضيلة الشيخ عبدالله بن بيَّه، ولم يُسبَق لي أن التقيتُ معه من قبل، وكنتُ أسعى لمثل هذا اللقاء مع فضيلة الشيخ الذي ذاع صِيته واشتهر بشخصيته العلمية والسياسية والاجتماعية النادرة، والذي احتلَّ خمس وزارات في موريتانيا، وفي نهاية المطاف كان وزيراً للجاليات الإسلامية، وممثِّلاً عنها في أمريكا وأوروبا، كنت أتمنَّى لقاءً -ولو عامّاً- بهذا الشيخ الجليل، غيرَ أن صدق محبتي وإخلاص نيتي باللقاء جعل الشيخ يدعوني دعوةً خاصةً على العشاء في بيته في جُدة، وفي الوقت الذي يناسبني.

فذهبتُ، وإذ بعدد من أساتذة الجامعات دعاهم الشيخ ليسمعوا مني شيئاً عن القَضِيَّة السورية التي شغلَتْ قلوب كلِّ من له قلب، تتحرَّك مشاعره لقتل وسفك دماء لم يصل إلى فظائعه التتار والمغول، ولتشريد شعب ما عرف التاريخ المعاصر مثيله.

إن الشيخ -حفظه الله- ما أراد أن يتعرَّف على ما أصاب هذا الشعب من خلال الإعلام، بل أراد أن يتحقَّق وأن يتعرَّف على الحقيقة ممن عاش الأزمة يوماً بيوم وساعةً بساعة، رَغم صِلَتِه الوثيقة بالدكتور سعيد -رحمه الله-، وصلته بأحمد حسون مفتي سوريا، ومع ذلك يريد أن يسمع من شخصٍ ليس جزءاً من النظام، وليس له مصلحةٌ عنده، فكان مُتَشَوِّفاً لسماع كلِّ كلمةٍ أقولها عن طبيعة الصراع القائم، وقصة تأييد بعض المشايخ لهذا النظام القاتل، وعن الدافع إلى ذلك.

كان لقاءً مع الشيخ لا أنساه بوجود ثُلَّةٍ من أهل العلم والفضل، قدَّم لي مجموعةً من كتبه القيمة، جزاه الله عني خير الجزاء.



فضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن بيَّه

وأخيراً أقولُ: إن من واجب العلماء السوريين أن يلتقوا مع علماء السعودية وغيرها

من بلاد الوطن العربي والعالم الإسلامي، وأعتقد أنَّ في السعودية علماء أجلاء ودعاة نجباء تكلَّموا كلاماً عظيماً في حقِّ الشعب السوري المنكوب، ومنهم من سعى لجمع التبرُّعات لهذا الشعب الذي يُذبَح كلَّ يومٍ، جزاهم الله عنا خير الجزاء.

لقاء الدكتور زغلول النجار:

غادرتُ السعودية إلى مصر، وهناك دعاني الدكتور زغلول النجار علَّامةُ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ودعا بعض السياسيين ليسمعوا منِّي عن مأساتنا السورية، ثم قال: تكلَّم يا شيخ سارية، فتكلَّمتُ، فرأيتهم مُغَيَّبين عما يحدث في سورية، لكنني -والحقُّ يُقال- وجدتُ عند هذا الداعية الكبير من الغَيْرة على دماء السوريين وهو يتكلَّم مع السياسيين المصريين ما لم أجِدْه عند كثيرٍ من العلماء والدعاة، حيث كان يرفع صوته حتى يكاد يصل إلى الشارع وهو يتكلَّم بحرقةٍ عما أصاب الشعب السوري.



فضيلة الشيخ الدكتور زغلول النجار

لقاء مفتي مصر علي جمعة:

كما زرتُ في مصر الشيخ علي جمعة -مفتي الديار المصرية-، فبدأتُ أتكلَّم معه والبسمةُ لا تُفارق وجهه، وكأنه لا يريد أن يسمع، في حين ظننتُ أنه سيُصغي إليَّ، أو يُظهر لي أنه تأثَّر بشكلٍ أو بآخر، وبعد أن خرجتُ من عنده رأيتُ جميع مَن كان معي في غاية الاستغراب من موقفه، فقلتُ لهم: مسكينٌ هذا الرجل، ومسكينٌ كلُّ صاحب منصبٍ أسكره منصبه عن هموم الأمة ومصائبها، وذكرتُ الحديث الذي رواه جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوحى الله إلى ملكٍ من الملائكة أنِ اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها، قال: إن فيها عبدكَ فلاناً لم يَعْصِكَ طرفة عين، قال: اقلبها عليه وعليهم، فإن وجهه لم يتمعَّرْ في ساعةٍ قط»(1).

إن عدم الاكتراث بما يُصيب الأُمَّة من عامة الناس مصيبةٌ، فكيف إذا كان من علماء الأُمَّة ودعاتها، فهي المصيبة العظمى.

لقد سمعنا من الدكتور مازن المبارك -حفظه الله- عن والده الشيخ عبد القادر المبارك: أن زوجة الشيخ بدر الدين الحسني مُحدِّث الديار الشامية جاءت إليه وقالت: أرجوكم لا تذكُروا شيئاً عن مصائب المسلمين في أنحاء العالم أمام الشيخ؛ لأنه إن سمِع شيئاً -حتى ولو كانت المصيبة في الصين-، فإنه لا ينام الليل، ويُصبح مريضاً لما يحمل من هَمٍّ شديدٍ، رحِمَه الله.

---

(1) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٦٦١) من حديث جابر رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٠): فيه عبيد بن إسحاق العطار عن عمار بن سيف، وكلاهما ضعيف، ووثقه عمارَ بن يوسف ابنُ المبارك وجماعة، ورضي أبو حاتم عبيدَ بن إسحاق.

ظهوري على الفضائيات:

إن أوَّلَ ظهورٍ لي على الفضائيات كان بعد خروجي من سورية، وكنتُ من قبلها أسمح لقناة الرسالة وقناة الدعوة أن يُسجِّلوا دروسي ومحاضراتي في المساجد دون أن أظهر عبر برنامجٍ أو حوارٍ.

برنامج (الشريعة والحياة) على قناة الجزيرة:

كان مُعِدُّ البرنامج الأستاذ معتز الخطيب الذي رأى أن يكون الموضوع هو (الثورة السورية ودور العلماء)، وكان جمهور الناس ينتظرون مني في هذه الحلقة أن أُعلِنَ الجهاد، وأدعوَ إلى النَّفِير، حيث سألني المحاور الأستاذ عثمان عن فرضيَّة الجهاد في هذه المرحلة، فأجبتُ بأن الواجب هو التركيز على الدِّفاع عن النَّفْس والعِرْض والمال؛ لأني كنتُ أعارض فكرة حمل السلاح؛ لِما يملك النظام من قوةٍ عسكريةٍ هائلةٍ لا تُقارَن بالسلاح الذي سيملكه الثوار، ولو حمله سكان سوريا جميعاً! ولأني لستُ مقتنعاً بتجييش الشباب وحملهم على القتال في سوريا، ولا قناعة لي بقُدوم شباب المسلمين من أنحاء العالم؛ لما يحمل البعض منهم من أفكارٍ مُتطرِّفةٍ تكفيريَّةٍ تُفرِّق ولا تَجْمَعُ، وتُهدِّد المجتمع السوري الذي عُرِف باعتداله في اعتقاده، والتزامه بدينه بعيداً عن التزمُّت والتَّفَلُّت والشَّطْح والنَّطْح.

وبعد نهاية البرنامج هاج الشباب وماجوا على وسائل التواصل، وكأنني خيَّبتُ آمالهم بعدم دعوة المسلمين إلى الجهاد، فما كان مني إلا أن التقيتُ بالشيخ محمد كريِّم راجح، وكان لا يزال في قطر، وكان يتابع الحلقة، فسألتُه: كيف وجدتَها؟ فقال: جيدة جداً، قلت: لكن الشباب في غاية الانزعاج، قال: إن الشباب وكلَّ الناس تبَعٌ لنا، ولسنا تبعاً لأحدٍ.

وفي المساء طلب مُعِدُّ البرنامج ومُقَدِّمُه أن نوضِّح في الجزيرة مباشر كلَّ ما كان غامضاً عن إعلان الجهاد، وأن الذي يدعو إليه إنما هو رئيس الدولة أو الخليفة أو أهل الحل والعقد، وأن الدِّفاع عن النَّفْس جائزٌ وليس بواجبٍ، بدليل أن سيدنا عثمان بن عفان لم يُدافِعْ عن نفْسِه، وقُتِل وهو يقرأ القرآن الكريم، لكن الحديث الصحيح في جواز الدفاع عن النَّفْس هو الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيتَ إن جاءني رجلٌ يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تُعْطِه مالكَ»، قال: أفرأيتَ إن قاتلني؟ قال: «فقاتِلْه»، قال: أرأيت إن قتَلني؟ قال: «فأنتَ شهيدٌ»، قال: أرأيت إن قتلتُه؟ قال: «فهو في النار»(١).



الشيخ سارية الرفاعي في برنامج الشريعة والحياة على قناة الجزيرة الفضائية - تموز ٢٠١٢

---

(١) رواه مسلم (١٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

برنامج (الطريق إلى دمشق) على قناة أورينت:

سألني المحاور الأستاذ أيمن عن مستقبل سورية في الحكم والقضاء والسياسة، وهل تصرُّ على أن يكون الإسلام ديناً للدولة؟

فقلتُ: إني أحترم صناديق الاقتراع، وإن ضمِنَّا نزاهة الاقتراع، فإن الشعب السوري مُتَدَيِّنٌ بفِطْرَتِه، ولا يرضى إلا بذلك، وبالنسبة لي، فأنا لستُ من أهل الاختصاص في السياسة.

برنامجٌ خاصٌّ بعنوان (الإسلام والسياسة) على قناة أورينت:

تكلَّمتُ فيه عن مسار الصِّراع مع الطائفة الشِّيعيَّة، وعن علاقة الحاكم بالمحكوم، وعن الوحدة وعوامل القوَّة والنصر، وغيرها من المواضيع المندرجة تحت عنوان البرنامج.



الشيخ سارية الرفاعي ضيف برنامج الإسلام والسياسة حلقة بعنوان الدولة الإسلامية والمدنية على قناة أورينت الفضائية - أيار ٢٠١٣

وبعد إقامتي في تركيا كان لي العديد من اللقاءات على الفضائيات التركية إلى أن أُصِبْتُ بمرضي الذي أقعدني، فاعتذرتُ عن كلِّ لقاءٍ بعد ذلك، وإني أتمنى من كلِّ أخٍ علِمَ بمرضي أن يدعو لي ولمرضى المسلمين بالشِّفاء، وأن لا يقطعني عن الدعوة إلى الله وخدمة المسلمين.

موقف النساء الداعيات أثناء الثورة:

المرأة الداعية لها تأثيرٌ كبيرٌ في المجتمع، وإن سوريا -وخاصَّةً دمشق- تزخر بهؤلاء الداعيات والنساء الفاضلات اللاتي أثَّرْنَ في المجتمع تأثيراً بالغاً؛ لأنهن الأمهات والأخوات والزوجات، فإن اتَّسمَتْ بالحكمة أثَّرَتْ في زوجها ليكون خادماً لدعوتها، وإن كانت أماً أحسَنَتْ تربية أولادها ليكونوا حفظةً للقرآن الكريم، ومثالاً للأخلاق والسُّلوك الحسن، لذلك وجدنا دمشق المزرعة المنتجة للداعيات المتَّجِهات إلى أيِّ بلدٍ من بلاد العالم؛ لتجعله بلداً كخليَّة النحل بتلاوة القرآن وحفظه والعمل بما فيه.

لقد وجد النظام تأثيرَهن الكبير، فأراد أن يكون نشاطُهنَّ تحت نظره ورقابته، ففتح لهن المساجد ليكون عملهن جلياً واضحاً تحت إشراف الدولة بعد أن كان نشاطهن ينحصر في البيوت، فكن يتعرَّضْنَ للملاحقة والمساءلة في فروع الأمن، والكلُّ يعلم أنهن لا يتدخَّلْنَ في السياسة، ولكن النِّظام بخُبْثِه أراد أن يُجَيِّر هذا التأثير إلى الولاء للأسد، فجعل وزير الأوقاف مُعاونةً له منهن، وجعل المشرفات على حفظ القرآن في معاهد الأسد منهنَّ أيضاً، وأجرى لقاءً شهرياً لكلِّ الداعيات والمشرفات في جامع العثمان الكبير، ويحضر الوزير نفْسُه ليعطيهن دروساً في الولاء للنظام الحاكم.

ولما بدأت الثورة، كان لموقف الدكتور سعيد رمضان البوطي وتأييده للنظام التأثير الأكبر عليهن، فكنَّ يتظاهَرْنَ بالتأييد المُطْلَق، والبعض منهن التزَمْنَ الصَّمتَ، و يا ليت الجميع كُنَّ على هذه الشاكلة.



لقاء رأس النظام السوري مع الداعيات القبيسيات - كانون الأول ٢٠١٩

كنتُ أتألَّم كثيراً عندما أسمع عن زياراتٍ خاصَّةٍ بهن لبشار الأسد، وتهافُتِ البعض لتتصوَّر معه، وهنَّ يرون النظام الذي يدمِّر البيوت على رؤوس أصحابها! حتى سمعتُ عن واحدةٍ منهن سُجِن ولدها وتمَّت تصفيتُه في السجن تدعو على أولئك وتقول: اللهم احشُرْهنَّ معه يوم القيامة.

وأقول: لا سمح الله ولا قدَّر، مع علمي بأن السبب في تأييدِهنَّ للنظام هو فَسْحُ المجال لهن بالعمل في المساجد بعد التضييق والملاحقة، ولكن هذا لا يُبرِّر الولاء للنظام، فإن ربنا يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

مرَضي الذي أقعدني:

بعد عامٍ من إقامتي في تركيا، أُصِبْتُ بجَلْطةٍ بالدماغ أدَّتْ إلى شللٍ في طرفي الأيسر أضعَفَتْ أدائي على كل الأصعدة.

نظرتُ في المرآة وقلتُ: أنتَ يا شيخ سارية الذي كنتَ تقف على المنبر، وتتحدَّى أعتى الطُّغاة الظالمين في العالم، أنتَ يا شيخ سارية الذي كنتَ تدخل بقوَّةٍ على رجال الأمن الكبار، تتكلَّم معهم بأقسى العبارات، والآن ضعُف لسانُكَ عن النُّطق، وأعضاؤُك عن الحركة، أنتَ يا شيخ سارية الذي كنتَ في الشام تصولُ وتجولُ في أعمال الخير والدعوة إلى الله في تربية الشباب، لا تستطيع الآن أن تتحرَّكَ إلا بالحَمْل، أكاد لا أُصدِّق الذي أصابني، لولا أنني أحاول القيام وحدي فلا أستطيع، أقولُ في نفسي: ما الذي أصابني؟! لم يُحاول أحدٌ من الشبيحة قتلي أو اغتيالي، ولم يقع صاروخٌ أو برميلٌ على بيتي لأُصاب بشَظِيَّةٍ -لا سمح الله-.



الشيخ سارية الرفاعي عافاه الله في احتفال لكفالة اليتيم وحفل اختتام دورة القرآن الكريم في مدينة إسطنبول التركية - تشرين الأول ٢٠١٤

قالوا: إنها خَثْرَةٌ في الدم سَدَّت الشرايين...

قلتُ: كيف؟! قالوا: تأتي فجأةً وبدون إنذاراتٍ.

قلتُ: سمعتُ بأنها لا تصيب إلا الكبار بالسن، ونسيتُ أنني قاربتُ السبعين، غير أنني لفرط نشاطي -ولله الحمد- أظن نفْسي لا زلتُ شاباً.

وكأنَّ ربي سبحانه أراد أن يُريني بأنَّ صحَّتكَ وقوَّتكَ ونشاطكَ وتأثيركَ ليس هو العامل الوحيد في إنتاجكَ ونتائج عملكَ، هناك توفيق الله وراء ذلك، وهناك دعوات الصالحين... هناك وهناك... وجرِّبِ الآن، وانظر إلى أعمال مؤسَّستكَ بعد مرضكَ داخل سوريا وخارجها، فنظرتُ فوجدتُ أن النشاط -ولله الحمد- تضاعف في مجال التعليم والدعوة في الداخل والخارج.

قلتُ: سبحان الله، إنَّ ربي يريد أن يُعطِيَني درساً، وهو: أن لا أدَّعي شيئاً قمتُ به من خلال نشاطي وعلاقاتي، ورجعتُ بذاكرتي، فوجدتُ هذا في دعوة والدي الشيخ عبدالكريم، وكيف أن الدَّعوة على يد طلابه بعد موته تضاعفت بمئات المرات، وربما ذكرتُ هذا أمام المجاهد الشيخ خالد مشعل، فقال لي: والله هذا ما رأيناه بعد استشهاد مؤسِّس حركة حماس الشيخ أحمد ياسين الذي كان موته -رحمه الله- اشتعالاً لثورته، وانتشاراً لدعوته.

رجعتُ بذاكرتي، فوجدتُ هذا بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، وربما دانَتْ له الجزيرة العربيَّة أو أكثرها، ولا يزيد الأمر على ذلك، وبعد أقلَّ من ربع قرنٍ، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُحطِّمُ الإسلامُ أعظمَ إمبراطوريتين في معركتَي اليرموك والقادسية، وتُفتَح في عهده العراق ومصر وليبيا والشام وفلسطين وبلاد فارس وخراسان وشرق الأناضول وجنوب أرمينيا وأفغانستان؛ لأنَّ المسلمين كانوا على الحقِّ، وينصُرون الحقَّ بإمكاناتٍ بسيطةٍ متواضعةٍ مُلتزِمين شرعَ الله، وواثقين بنصره، فنصرهم الله.

أعود إلى حديثي عن مرضي، والمشكلةُ مشكلةُ القلم عندما يسترسل بالحديث، فإنه

لا يتوقَّفُ إلا بانقطاع المِداد، كما انقطع مِداد الدم عن الدماغ، فتوقَّف عن إعطاء الأوامر لأعضاء الجسد، فتعطَّلت عن الحركة.

والمهمُّ هو ما توصَّلتُ إليه، وهو ما أعتقده تمامَ الاعتقاد: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ} [الأنفال: ١٧]، إذ ليس في الكون كلِّه إلا الفاعلُ الواحدُ، وكلُّ شيءٍ في هذا الكون مفعولٌ به، فعلامَ الادِّعاء وأنا الضعيف الذي تسكنُ حركتي في لحظةٍ واحدةٍ؟! وعلامَ التكبُّر ولربما في لمحة بصرٍ أفقد عضوًا من أعضائي؟!

ثم فكَّرتُ في حال الدول العظمى الكبيرة إذا حلَّت بها كارثةٌ أو دمارٌ شاملٌ كتسونامي مثلاً، ماذا تنفع طائراتهم ووسائل الإنقاذ لديهم؟! وماذا يكون منهم إلا التَّريُّثُ حتى ينتهي الإعصار، فيبدأ عملهم بجَمْع الجُثَث وإحصاء الخسائر؟!

هذا هو الإنسانُ الفَرْدُ، أو إنسانُ الكُرة الأرضية، فلو أراد الله أن يقلِب عاليها سافلها لفعلَ؛ ولكنه الرحيم الودود، سبحانه وتعالى.



اللقاء مع الدكتور أحمد الخزرجي أمير الخزرج في العالم ومسؤول الآثار النبوية الشريفة في دولة الإمارات العربية المتحدة

ولا يفوتني قبل أن أنتهي من الحديث عن مرَضي: أن أشكُرَ وأدعوَ لكلٍّ من دعا لي في ظهر الغيب ممَّن عرفتُ ومَن لم أعرِفْ، وزيارة كبار العلماء السوريين والأتراك في المشفى وفي البيت، وأخصُّ بالذِّكْر أخي وحبيبي الشيخ أسامة الذي أولاني بحُبِّه واهتمامه النشاط والهمَّة من جديدٍ.

ولا أنسى أخي الدكتور أحمد الخَزْرَجي أمير الخَزْرَج في العالَم الذي ورِث آثار النُّبُوَّة عن والده وأجداده لتكون في حِرْزِه، وهو خيرُ مؤتمَنٍ، ومِن هذه الآثار خَصْلةٌ من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضفيرته التي حلقها يوم الحديبية، وأعطاها عليه الصلاة والسلام لزوجته أم سلمة الخزرجية أم المؤمنين، وتوارثها الخزرجيُّون إلى أن وصلَتْ إلى الدكتور أحمد، ولما أخبره الشيخ بسام بارود بمرضي أتى بشعرةٍ من هذه الضَّفِيرة، وزارني في إستانبول، وغسلَها بماءٍ وسقاني إياه، وكان من قبل قد أهداني عِطْراً مُمَسَّكاً بشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان لزيارته عظيم الأثر في نفْسي، ولدى كلٍّ من حضر هذا اللقاء المبارك، فأدعو الله له ولأولاده وأحبابه بالبركة، جزاه الله عني خير الجزاء.

رغبةُ الأطباء بالعلاج في أمريكا:

تواصل معي إخواني الأطباء في أمريكا، وهم أشهر الأطباء في اختصاصاتهم في أماكن إقاماتهم بالولايات المتحدة، ولعلَّ الأمريكيين لا يثِقون إلا بهم، هؤلاء الذين حُرِمَتْ بلادنا منهم، حيثُ خرجوا بسبب الاضطهاد والتضييق عليهم، وربما وصلت أعدادهم إلى عشرات الآلاف.

اتَّصلوا بي وهُم مُصِرِّين على أن أسافر للعلاج عندهم، فقلتُ: واللهِ إنني لا أحب السفر إلى أمريكا، وإن العلاج في تركيا جيد جداً، لكنهم ألَحُّوا كثيراً على السفر، وفي مقدِّمتهم أخي الدكتور أحمد عباس، فأرسل طلب الفيزا إلى السفارة الأمريكية بتركيا،

وبعد الاستخارة والاستشارة ذهَبْنا إلى السفارة، فاعتذروا عن منحي الفيزا لعدم تحقُّق الشروط -ولستُ أدري ما هي شروطهم-، وقد كنتُ أمام القنصل على الكرسيِّ المتحرِّكِ، ومع ذلك أكَّد على الاعتذار، فقلتُ في نفسي: الحمدُ لله الذي حقَّق ما في نفسي مِن عدم رغبتي بذلك.

سفري إلى أمريكا:

وبعد شهرٍ قرَّرتْ وزارة الخارجية عقد مؤتمرٍ في واشنطن من أجل سوريا، يحضرُه مجموعةٌ من أساتذة الجامعات، يقوم على إعداد المؤتمر معهد السلام الأمريكي، وترعاه وزارة الخارجية الأمريكية، وأرسلوا إليَّ دعوةً لحضور المؤتمر، لكنَّني اعتذرتُ؛ لأنه لا قناعة لي بالمؤتمرات، ولكن القائمين عليه في معهد السلام أصرُّوا على حضوري، وإذ بالسفارة تتَّصل بمؤسَّسة زيد، وطلبوا زيارة من موفدة السفارة الأمريكية للشيخ سارية.

وبالفعل، جاءت وزارتني، وطلبتْ بإلحاحٍ حضور المؤتمر، فقلتُ لها: لا قناعة لي بالمؤتمرات التي تقام في أمريكا أو في أوروبا، وخاصَّةً فيما يتعلَّق بالقضيَّة السوريَّة؛ لأنَّنا لا نرى شيئاً على أرض الواقع، وأن أمريكا فقدت مصداقيَّتها لدى الشعب السوري وشعوب العالم؛ حيث قال أوباما من الشهر الأول للثورة السورية: إن بشار الأسد فقد شرعيَّته، ولا يزال يتعامل معه على أنه رئيس الدولة، بل ويُصَرِّح بأننا لا نريد إسقاط النظام.

ومع هذا، فقد أصرَّت عليَّ موفدة السفارة الأمريكية إصراراً كبيراً وقالت: لا أخرجُ من عندك حتى تُعطِيَني جواز السفر لأضع عليه الفيزا، فقلتُ: الحقيقة كما ترين، أنا مريضٌ وعلى الكرسيِّ المتحرِّكِ، قالت: إننا سنوفِّر لكَ كلَّ سُبُل الراحة، قلتُ: لا بدَّ لي من مُرافِقٍ لحاجاتي الشخصية، وهي زوجتي، قالت: إن المرافق لأيِّ مَدْعُوٍّ غير واردٍ، ولكن يمكن أن نطلب من وزارة الخارجية أن تجعل لزوجتك طلباً ودعوةً خاصَّةً، قلت: الجوابُ بعد يومين.

فاستخرتُ واستشَرْتُ، فوجدتُ الرأي في أن أذهب للعلاج، وأن المؤتمر ما هو إلا ساعات أحضرها وأعتذر، والمهم أنني ذهبتُ إلى السفارة لأجد لديهم الترحيب بدءاً من بوّابتها إلى أن وصلتُ إلى القُنْصُل، وجاؤوا بمترجمٍ، وبعد ربع ساعة انتهى اللقاء وأعطوني الفيزا مع غاية الترحيب والاحترام.

مؤتمر واشنطن:

وصلتُ إلى واشنطن مساءً، فانتقلتُ إلى الفندق، وفي الصباح جاءت حافلةٌ ركب فيها أعضاءُ المؤتمر، وجاءت سيارةٌ خاصَّةٌ تنقُلني مع الكرسيِّ المتحرِّكِ، ووكَّلُوا أخاً كريماً ليقودني وهو الأستاذ شادي ظاظا، وربما كان المشهد غريباً بالنسبة لمن لا يعرفني، لماذا يأتي مثل هذا المُقعَد العاجز؟! ومن هو؟!

لكن السيدة المحامية هند قبوات وقفت وقالت بأعلى صوتها: نرحِّب بالشيخ سارية، والله يا شيخ سارية كِدْنا أن نلغي المؤتمر لما اعتذرتَ، فالحمدُ لله الذي رأيناك بيننا، كان في اللقاء شرائح مختلفةٌ من الإسلاميين والمسيحيين والعلويين والعلمانيين يُمثِّلون المجتمع السوري، بعضهم جاء من الداخل، وآخرون جاؤوا من دولٍ خارج سوريا، والكل معارضٌ للنظام حسب كلامهم ومداخلاتهم.

ولما بدأ الحوار، طُلِبَ مني الكلام فقلتُ: جئتُ ولا قناعةَ لي بالمؤتمرات كلِّها، غيرَ أنَّ علينا أن نتكلَّم كلمة الحق ولو في حق البلد المضيفة لمؤتمرنا هذا التي أدانت بشِدَّةٍ قتل الشعب السوري بالكيماوي، حتى إذا ما تمَّت مُصادرةُ هذا السلاح الكيماويِّ تمَّ السُّكوتُ على الجرائم والقتل والتدمير، وكأنَّ المجرم في أحكام أمريكا القضائية يُكتفى أن يُؤخذ منه آلة القتل، ويُترَكَ طليقاً حراً في إجرامه وقتله! بل ولا حرج لديها أن يَقتُل بالصواريخ والبراميل المتفجِّرة، وبكلِّ وسائل القتل، عدا الكيماوي!

الأقلِّيَّات لهم كامل الحقوق مع الأكثرية في سوريا:

ثم طرحوا قضيَّة الأقلِّيَّات في سوريا، لكنني اعترضتُ قائلاً: أرجو أن تطووا هذا البحث؛ لأنكم عندما تطرَحون قضيَّة الأقلِّيَّات في بلادنا، فكأنَّ الأكثريَّة مُتَّهَمةٌ بالإساءة لهؤلاء الأقلِّيَّات، وأنا أعتذر عن حضوري باقي جلسات المؤتمر، إننا في سوريا نعطي دروساً للعالم في التسامح مع الأقليات والتعايش معهم، لهم ما للأكثريَّة، وعليهم ما على الأكثريَّة، فلماذا يُطرَح هذا الموضوع في معظم المؤتمرات التي تُقام هنا وفي أوروبا والعالم الغربي؟!

وأنا أتحدَّى أن يُثبِت أيُّ يهوديٍّ أو مسيحيٍّ أو أي طائفةٍ أن الأكثريَّة في سوريا أساءت للأقليات، ليس الآن فحسب، بل عبر قرونٍ.

وقلتُ: إن الشعب السوري ينقاد لعُلمائه ويتأثَّرُ بتوجيهاتهم، والأقليَّات لا تتجاوز نسبتهم جميعاً ٢٠٪ من عدد السكان، ومع ذلك كان العلماء يتكلَّمون عن ضرورة الالتزام بتعاليم ديننا الحنيف فيما يَخُصُّ تعاملنا مع المسيحيين أو اليهود أو غيرهم، حيث قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

المُحدِّث الأكبر يشفع لابن النصرانيَّة في حُكْم الإعدام:

واستشهدتُ بالشيخ بدر الدين الحسني -شيخ مشايخ سوريا- الذي كان مرَّةً يسير في الطريق، إذ تأتي إليه امرأةٌ نصرانيَّةٌ، وتقع على قدمه تُقَبِّلها وتقول: يا سيدي، أرجوكَ أن تكون شفيعاً لنا عند الوالي العثماني الذي حكم على ولدي بالإعدام لفراره من الجيش، فما كان من الشيخ إلا أن غيَّر طريقه، واتَّجه إلى الوالي، ووصل الخبر إلى الوالي أن الشيخ في طريقه إليكَ، فخرج إلى الطريق ليرحِّب بالشيخ، فقبَّل رأسه وقال: مُرْني يا سيدي، قال: إن هذه المرأة المسيحية طلبت أن أشفع لولدها الذي سيُنَفَّذُ فيه حُكْمُ الإعدام غداً.

فقال: يا سيدي لا أستطيع إلغاء حُكْم الإعدام، ولكن أستطيع تأجيله ريثما تأتيني الأوامر من إستانبول.

ويأتي بعد شهرٍ كتاب السلطان ليقول للوالي: إن كان الشيخ بدر الدين يَشْفَع لولد النصرانية، فنحن إكراماً للشيخ نعفو عنه وعن كلِّ مَن حُكِم بالإعدام.

تكلَّمتُ هذا مرَّةً أمام بشار الأسد لأعطيَه من خلالها رسائل واضحةً من خلال القصة، ولستُ أدري: وصلَتْ رسائلي أم لا؟

فقلتُ في المؤتمر: أرجو طيَّ موضوع الأقلِّيَّات لما ذكرتُ، فقام السيد أنطون جورج عوض الكاتب المعروف وقال: أنا أُؤيِّد الشيخ سارية في إلغاء هذا البحث؛ لأن طرحه يُشَكِّل إثارةً للأكثرية، كما أن طرح هذا الموضوع يُسيء إلينا، فنحن ما وجدنا من المسلمين إلا كلَّ حبٍّ واحترامٍ وتقديرٍ، وقال: إن لي رسالةً في هذا الموضوع أوزِّعُها عليكم.

ومضى المؤتمر في طَرْح القضيَّة السوريَّة لِيُدْلِيَ كلُّ مَن حضر برأيه، ويُعبِّرَ عن سبب معارضته للنظام، ولو كان من الطائفة العلوية التي أُصيبت بما أُصيب به الشعبُ السوريُّ كلُّه من القَمْع والظُّلْم.

وبعد نهاية الجلسة وأثناء الاستراحة سلَّمتْ عليَّ السيدة التي كانت تُدير الحوار، قلتُ لها: ما اسمكِ؟ فقالت: أنا عفراء الجلبي، والدي الدكتور خالص، وخالي الأستاذ جودت سعيد، فقلتُ لها: إذن ليس عجيباً أن تكون إدارتُكِ للجلسة بهذا الضَّبْط والحَزْم والحِكْمة والأداء الجيد.

وتبيَّن لي أن والدها هو من أعرفه بـ(كنجو) لا بـ(الجلبي)، وهو صديقٌ عزيزٌ عليَّ منذ عهد الشباب، وله كتاب: (الطب محراب الإيمان)، لكنني منذ ما يقرب من خمسين عاماً لم أره، والذي حزَّ في نفسي وآلم قلبي أن أرى ابنة أخي المثقَّفة المتكلِّمة، قد أثَّرت فيها بيئة الغرب بعد أن كانت تعيش في بيئة الإيمان والثقافة الإسلامية مع والدها، وكما قالت:

إن خالها الأستاذ جودت سعيد، لا سيَّما وقد علمتُ فيما بعد أن السيدة عفراء رائدةٌ في الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل، حتى بالإمامة والخطابة، وهي التي خطبت العيد في مركز النور الثقافي في كندا متساءلةً: لماذا يتميَّز الرجل بذلك وتحرم المرأة؟!

لا بل سمعتُ أكثر من هذا، اعتراضاً على الشريعة فيما تميَّز به الرجل وما تميَّزت به المرأة، وهما عند الله سواءٌ لا فضل لرجلٍ على أنثى، ولا لأنثى على رجل إلا بالتقوى.

وأنا بدوري أدعو الله للأخت عفراء أن يُجنِّبها مسالكَ الشيطان، كما أدعوها أن تطلب من أبيها وخالها إيضاحَ ما التبسَ عليها في هذا الأمر.

برنامج وزارة الخارجية لأعضاء المؤتمر:

وكانت وزارة الخارجية قد أعدَّت برنامج زيارتنا للبيت الأبيض والكونغرس ووزارة الخارجية، وكان الحديث فيها عن القضية السورية، والتركيز على تخلِّي أمريكا عن الشعب السوري.

وقد كنتُ صريحاً جداً في تلك الزيارات مع الناطق باسم تلك الجهات، فمن ذلك حفل العشاء الذي أعدَّته وزارة الخارجية لأعضاء المؤتمر، والذي ألقى الكلمةَ الترحيبية السفيرُ الأمريكيُّ الجديد لسوريا روبنستين، وقد رحَّب بأعضاء المؤتمر، وخصَّني بالذِّكْر قائلاً: نشكر الشيخ الذي حضر رغم مرضه، وتكلَّم طويلاً عن حياتي العِلْمِيَّة والدَّعوية والاجتماعيَّة بما فيها الخاصة، حيث قال: يملِك مكتبةَ الغزالي، وهي دار النشر المعروفة.

ثم جلس إلى جانبي، فقلتُ له: إن الولايات المتحدة الأمريكية هي أكبر دولةٍ في العالم، كنا نظنُّ بأنها ستكون بمثابة الأمِّ الحَنون لشعوب العالم، فوجدناها أكبر متآمِرةٍ على الشعوب، وهذا هو الشعب السوري قاربت مِحْنَتُه السَّنة الرابعة، ولا نرى أنكم ستجدون حلًّا، فسكتَ.

قلتُ له: هل يصل كلامي للإدارة الأمريكية، قال: نعم، وما حضَرْتُ معكم إلا لذلك.

وفي البيت الأبيض قلتُ للمتحدِّث: إن روسيا كانت صادقةً مع نظام الأسد منذ بداية الثورة، وحتى اليوم تمدُّه بالسلاح وبالفيتو في مجلس الأمن إذا أراد أن يتَّخذ قراراً ضد النظام، لكننا وجدنا أمريكا أكثر من يمكُر بالشعب السوري لما قال أوباما منذ بداية الثورة: إن بشار الأسد فقد شرعيَّته، ولا يزال يتعامل معه على أنه رئيس الدولة، بل يُصرِّح بأنه لا يريد إسقاط نظام الأسد.

وفي وزارة الخارجية وجدنا وراء طاولة الحوار ثمانيةً من الأشخاص يكتبون كلَّ كلمةٍ تجري في الحوار، وكان بين أعضاء المؤتمر محامٍ علويٌّ يقيم خارج سورية، قال لمعاون وزير الخارجية: إننا عاتبون عليكم في دعمكم للمحاكم الشرعية التي تحكم بالإعدام والقتل، وأولئك الكتبة يكتبون وهو يتكلَّم، فقلتُ له: ماذا تريد من قولكَ: المحاكم الشرعية؟ هل تقصد محاكم تنظيم الدولة (داعش)؟ قال: لا، بل كل المحاكم الشرعية المنتشرة في المناطق المحررة.

قلتُ: وهل تعرفها؟! قال: نعم، أنا محامٍ.

فقلتُ: وهل كلُّ محامٍ يعرف هذه المحاكم الشرعية؟!

قال: يمكن أن نتناقش خارج القاعة.

قلتُ: وأدعك تتكلَّم ما شئتَ وهؤلاء يكتبون، ثم تريد مني أن أناقشك بيني وبينك؟!

فقال معاون وزير الخارجية: نريد أن نسمع من الشيخ.

فقلتُ: أنا أعرَفُ الناس بالمحاكم الشرعية، وبالقضاة القائمين عليها، كلُّهم تخرَّجوا من كلية الشريعة أو الحقوق من جامعة دمشق، ونعرفهم تمام المعرفة بأخلاقهم والحُكْم

بالعدل في قضائهم، إنهم يعرفون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مؤمنٍ بغير حقٍّ»(١).

ثِقْ تماماً أنَّ المحاكم الشرعيَّة المنتشرة في أنحاء سوريا ومناطقها المحررة يقوم عليها أفضل الناس حُكْماً وعَدْلاً وإنصافاً، وهذا الذي قَرَّر ولله الحمد.

المركز اليهودي في مدينة ديترويت:

كان من ضمن برنامج الزيارات: زيارة المركز اليهودي (Holocaust Center) في ديترويت في ولاية ميشجن، فاعتذرتُ عن هذه الزيارة، وكنتُ قبلها مُعتذِراً عن زيارة شيكاغو حسب البرنامج المقرر، فقال لي أخٌ من الأطباء: إنهم عاتِبون عليك لعدم مشاركتهم في برنامج الزيارات، فنرجو أن تكون معهم في هذه الزيارة، لا سيَّما ونحن نعرف الزائرين، لا يتكلَّم أحدٌ منهم بكلمةٍ تدينُ إسرائيل.

قلتُ: إذن أذهبُ بهذه النيَّة، وهي أن أتكلَّم إذا سكتوا.

ولما دخلنا المركز ثُمَّ القاعة التي يجري فيها الحوار، تكلَّمت مديرة المركز وقالت: من الواجب على دول منطقة الشرق الأوسط أن تُجْرِيَ حواراً مع إسرائيل على مستوى المنظمات والدول.

فانتظرتُ أرباب الكلام ممَّن حضر أن يتكلَّم، فلم يتكلَّم أحدٌ، إلا أن البعض -وللأسف- تكلَّم بالثَّناء على الجيش الإسرائيلي الذي أنقذ جريحَيْنِ وأسعفَهما (والعمليَّة كلُّها للدِّعاية)، فما كان مني إلا أن طلبتُ الكلام، وقلتُ:

إنكِ تتكلَّمين عن ضرورة الحوار مع الجارة إسرائيل، أيُّ حوارٍ هذا مع مَن اغتصَبَ

(١) رواه ابن ماجه (٢٦١٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٢١): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

أرضنا وشرَّد أهلَنا وقتل نساءَنا وأطفالَنا؟! إسرائيل التي قتلت الآلاف، ودمَّرت بيوتهم ومساجدهم في غزة.

ثم تكلَّمتُ عن تاريخ اليهود الذين جاؤوا مضطهدين من إسبانيا إلى سورية، ليجدوا من أهلها كلَّ احترامٍ وتقديرٍ، بل وجدوا فيها أهلهم الذين شاركوهم بالمال والتجارة.

وتكلَّمتُ عن التاريخ الإسلامي، وكيف وقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو يدَّعي على اليهودي أنه سرق درعه، فوقفا أمام القاضي شُرَيح، فلما سمع ادِّعاء سيدنا علي بأن اليهودي قد سرق درعه، قال القاضي: ما لم تكن البيِّناتُ على صِحَّة ادِّعائكَ واضحةً، فأنا أحكم بالدِّرع لليهودي، فما كان من اليهودي الذي حكم القاضي له بالدِّرْع إلا أن رفع صوته قائلاً: والله يا أمير المؤمنين، إنَّ الدِّرْعَ دِرْعُكَ، وقعَتْ منكَ يوم كذا في معركة كذا، فما كان من سيدنا علي رضي الله عنه إلا أن قال: هي لكَ!

هذا هو الإسلام في معاملته لليهود، وهكذا بلادنا وشعوبنا المسلمة تتعامل مع اليهود وكل الطوائف بأنَّ لهم ما لنا، وعليهم ما علينا.

قلتُ هذا لمديرة المركزِ، وبجانبها أكثر من عشرة من اليهود، فما كان من مديرة المركز إلَّا أن عقَّبت على كلامي قائلةً: نحن نشكر الشيخ على هذا الكلام المؤثِّر، وأنا أقول: بأنني يهوديَّةٌ أمريكيَّةٌ، وأدين أعمال إسرائيل اللاإنسانية، فنظر إليها مَن كان في القاعة من اليهود نظرةَ استغرابٍ؛ لانتقادها إسرائيل حيث لا يتجرَّأ أحدٌ على ذلك.

خلاصة لقائي في المؤتمر:

وصلتُ بعد نهاية المؤتمر إلى قناعةٍ مَفادُها: أن من يُدعى إلى المؤتمرات التي تقيمها أيةُ دولةٍ مُضيفةٍ عربيَّةٍ أو غربيةٍ، يسعى الضُّيوفُ إلى كسبِ وُدِّها، وحسن الصِّلَة معها، والسُّكوت عن جرائمها وأخطائها، وكأنهم يسعون لرضى هذه الدولة عن هؤلاء

المدعوين، فينافقون ويتكلَّمون بما يُرضيهم، وصِرتُ أتَّهِمُ نفسي لما أوجِّهه لهم وأنا في بيتهم الأبيض، حيث انتقدتُ السياسة الأمريكيَّة تجاه موقفِها من الثورة السورية.

فقال المتحدِّث: إن كنتم مكان أوباما ماذا تفعلون؟ فقال بعضهم: نُسلِّحُ المعارضة، وقال الآخر: لا، بل نمنع المعارضة والنظام من السلاح، وهكذا اختلفوا في الرأي، فقال: إن كنتم على اختلافٍ، كيف تريدون منا أن نحُلَّ قضيَّتكم بهذه السُّهولة؟!

فقلتُ له: إن كنتم تنتظرون اتِّفاق الشعب السوري على رأيٍ واحدٍ؛ فهذا تبريرٌ لإبادة الشعب السوري، وهل أنتم في الحزب الواحد تتَّفقون على رأيٍ واحدٍ، فضلاً عن الأحزاب المتعدِّدة؟!

قال: إذن كيف؟ قلتُ: لستُ أدري، المهم أن تكونوا جادِّين في حلِّ الأزمة السورية، ونحن ننتظر حتى تتكوَّن عندكم القناعة في حَقْن دماء السوريين، وحَلِّ مشكلتهم بعد مضي ما يقرب من أربع سنوات وأمريكا والعالم ينظر ويبارك القتل والتدمير.

واجب المدعوين إلى المؤتمرات:

المدعوون إلى المؤتمرات في الدول العربية والغربية مُؤتمَنون على قضايا أمَّتِهم، فلا تجوز المجامَلة أو الموافقة للدولة المضيفة على حساب الحقِّ، أو على حساب أمَّتِهم التي أبرزَتْ وجهاً من الوجوه ليُمَثِّلها في المؤتمرات.

وقد ورد في الحديث: «آية المنافق ثلاثٌ: إذا حدَّث كَذَبَ، وإذا وعد أخلَفَ، وإذا اؤتُمِن خان»[1]، فالكلمة أمانةٌ ستُحاسب عليها، فإياك أن تَكْذِبَ على نفْسِك وعلى أمَّتِكَ، وربنا سبحانه وتعالى يقول:

---

(١) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠].

واعلم أخي المشارك: أنَّ كلمتَكَ مُدوَّنةٌ في صحيفتِكَ: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨]، وقد ورد عن نبيِّنا صلى الله عليه وسلم قوله: «إن العبد ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلَّم بالكلمة مِن سخَط الله تعالى لا يُلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم»(١).

ولا أُخفِيكم خبراً في أن الخارجية الأمريكية عندما علِمَتْ بقدومي إلى مؤتمر واشنطن وأنا على الكرسيِّ المتحرِّكِ، رصَدَتْ لي تأميناً صِحِّياً بمبلغ مائة ألف دولار، وكنتُ -واللهُ يشهدُ- على ما أنا عليه من النَّقْد وإبداء استيائي من المواقف المشينة في حقِّ سورية؛ لأنَّ صحَّتي وحياتي بيد الله، وما كنتُ لأرضى أن يمسَّ أحدٌ من الأطباء هذا المبلغ من التأمين، وقد يسَّر الله تعالى لي في علاجي أطباء طيبين، لما علموا بقدومي قالوا: والله لن نتقاضى دولاراً واحداً على معالجة الشيخ، بما فيهم الأطباء المصريون في ميشغن وولاية فلوريدا في مراكز المعالجة الفيزيائية: الدكتور أحمد زكي، والدكتور عماد، جزاهم الله عني خيراً.

وأخيراً أقول لإخواني المدعوِّين إلى المؤتمرات:

لا يشكُّ أحدٌ في وطنيَّتكم وإخلاصكم لقضيَّتكم، ولكن النَّفْس تضعُف أحياناً حتى لدى العلماء والدعاة، حيث سمعتُ كلاماً من بعض الدعاة يُخرِج من الملَّة لمجاملة أعضاء المؤتمر، فأقول للجميع وطنيين وعلمانيين وإسلاميين: إياكم، فإن النفْس أمارةٌ بالسوء، واعلموا أن الله يعلمُ خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأن شعبكم والأجيال القادمة والتاريخ سيلعن النظام المجرم، وسيلعن كلَّ من استفاد بأيِّ نوعٍ من أنواع

(١) رواه البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكسب على حساب دماء الشهداء والجرحى والمصابين، وأن أنواع الكسب لا تنحصِر في تأييد النظام، بل أحياناً تكون في معارضته، فتنفتح له أبوابٌ للجاه والمناصب والمال من خلال ولاءاته لأفرادٍ أو دولٍ تستميل المعارضة إليها لمصالح لدى الآخرين.

أقول لكلِّ مشاركٍ: إياك أن تبيع دينكَ أو وطنيَّتكَ من أجل جاهٍ أو مالٍ، واحذر كلَّ الحذَرِ من المنزلَقات عند اللقاءات.

أقول لهم: اذكروا سيدنا عبدالله بن رواحة لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبرَ؛ ليأخذ من اليهود نصف نتاج الزراعة -حسب المعاهدة التي جرت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يُجْلِيَهم من خيبر بعد هزيمتهم-، فلمَّا ذهبَ عبد الله بن رواحة لِيُقَوِّمَ التمر، جمعَ له اليهود من حُلِيِّ نسائهم ليُقَدِّموها رِشْوةً له عساه يُخَفِّف التقدير، فقال لهم: يا معشر يهود، جئتكم من عند أحب الخلق إليَّ، ولَأنتم عندي أبغض الخلق إليَّ، ومع ذلك لا يحمِلني بُغْضِي لكم أن أَحِيفَ عليكم -يعني: أظلمكم-، فأمَّا الذي عرضتم عليَّ فهو رِشوةٌ، فإنها سُحْتٌ، وإنَّا لن نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

برنامج العلاج:

بعد أن انتهى برنامج وزارة الخارجية للزيارات المقرَّرة، طلبتُ تمديد زيارتي شهراً للمعالجة، وبدأت المعالجة واجتمع الأطباء في دوترويت، وقد علم البعض بالتأمين الصِّحِّيِّ لي من قبل الخارجية، فرفض الجميع أن يستفيدوا من هذا التأمين، وقالوا: لا نسمح لأحدٍ أن يتدخَّل بعلاج الشيخ، إنهم الأطباء السوريون الذين افتقَدْناهم في سوريا، وإن الأمريكيين لا يثِقون إلا بهم، فتجد عياداتهم مزدحمةً بهم دائماً.

وفي مدينة فلنتْ -حيثُ أكبر مركزٍ للمعالجة الفيزيائية- يملِكُ هذا المركز الدكتور أحمد زكي وزوجته، وكلاهما من مصر، وقد اهتمُّوا بي اهتماماً كبيراً، وكان كلٌّ منهما يقرأ

ختماً للإجازة على أخويَّ في الله: الدكتور هاشم رباح، والشيخ طه سكر.

فقلتُ لهما: بالإمكان أن تستفيدوا من التأمين، قالا: لا والله أبداً، نحن الآن في قمَّة السعادة وأنت تأتينا إلى المركز.

ولما ذهبتُ إلى فلوريدا، كان فيها أستاذ مصري أيضاً يُدرِّس في الجامعة هناك، واختصاصه بالمعالجة الفيزيائية، فكان كلما أراد أن يُحرِّك عضواً أصابه الشلل قال: بسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك من قبله في مركز الدكتور أحمد زكي، وكانت زوجته تضعُني على الجهاز لأُحرِّك يدي حركةً أتوقَّف دون سرعةٍ، تقول لي: توقَّفْ بقَدْر ما تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

فقلتُ لهما: سبحان الله، هل أنا في مركز معالجةٍ، أم في مركز دعوةٍ إلى الله؟

إنها الجالية المسلمة التي التقت على الإسلام وتلاوة القرآن، وحيث لم أجد فرقاً بين لقائي مع إخواني السوريين الدمشقيين، أو مع إخواني من مصر، أو من أيِّ بلدٍ عربيٍّ أو إسلاميٍّ، يجمعهم جميعاً الحبُّ في الله تعالى، والتشاور فيما يحفظ أبناءَهم من التأثُّر بالبيئة الأمريكية.

لقائي مع الجالية السورية في أمريكا:

لقد كان لجولاتي في الولايات الأمريكية جدولٌ وبرنامجٌ بلَّغوه للجالية السورية المقيمة في كلِّ من واشنطن ومشيغن وشيكاغو وفلوريدا وكاليفورنيا، وكان المنظِّم لهذه اللِّقاءات منظمة سان رايس الأمريكية، ويقوم عليها فئةٌ طيِّبةٌ من الأطباء السوريين وغيرِهم، فكانت اللقاءات في كلِّ تلك المدن مع الجالية السورية أشبه بالأعراس المختلطة، لكنها تخلو من الغناء والمخالفات الشرعية، يجتمع الرجال والنساء في صالةٍ واحدةٍ، وأنا أجلس على الكرسي المتحرِّك على المنصَّة، وأقولُ لهم: هل رأيتم عاجزاً مثلي يحضُر مؤتمراً أو يجول في أنحاء أمريكا؟ لكنني مع ضَعْفي وعجزي أشعر -وأنا

ألتقي بأهلي وأبناء بلدي- أنني رجعتُ سليماً مُعافى، وأعدُّ لقائي هو المعالجةَ الحقيقيَّةَ لي، لأني أشعر بالحبِّ يسري في قلبي وقلوبهم، وأصبحنا جميعاً جسداً واحداً وقلباً واحداً مهما بعُدَتْ المسافات، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «المؤمنون بعضُهم لبعضٍ نصحةٌ مُوادُّون، وإن افترقت منازلهم وأبدانهم، والفجَرة بعضُهم لبعضٍ غشَشةٌ متجادلون، وإن اجتمعت منازلهم وأبدانهم»[1].

كنا نجدُ أبناءَ الجالية السورية في الولاية التي أزورها يتمنَّون أن يأخذوا إجازةً من أعمالهم خلال الأيام التي أقضيها عندهم، فلا يخلو يومٌ أو ليلةٌ من لقاء يجمع العشرات، عدا اللقاء الكبير في إحدى الصالات الذي يجمع المئات.

كنَّا نلتقي حيثُ تُطرحُ الأسئلة فيما يتعلَّق بمسائل شرعيَّةٍ، أو ما يتعلَّق بالثورة السورية سلبياتها وإيجابياتها، وتجد الجميع يشارك دون أدنى تحسُّسٍ من تباين الآراء والأفكار.

كانت اللقاءات أيضاً تنعقدُ في البيوت، وبيوتُهم واسعةٌ -بارك الله بهم جميعاً-، وما من بيتٍ إلا وأجدُ الطعام فيه متنوِّعاً من عشرين صنفاً وكأنني في الشام، من الكبة والمحاشي وغيرهما من أطايب الطعام، فأقول لهم: لماذا كلُّ هذا التَّعَب وأنا مريضٌ لا أستطيع فكَّ الحِمْية، فيقولون: فرَحاً بكَ، فأقول: وما ذَنْبُ النساء؟ وإذ بالنساء يطلُبْنَ الحضور، فيُقْسِمْنَ بالله: إنَّ هذا اليوم عندنا يوم عيد، فقلتُ: يحضرني حديث جامع دمشق، هل تحبُّون سماعه؟ قالوا: نعم.

فقلت: يروي أبو إدريس الخولاني قائلاً: دخلتُ جامع دمشق -أي: الأموي-، فرأيتُ فتىً برَّاق الثنايا كأنَّما الدُّرُّ يخرج من فِيهِ، يجتمع الناسُ حوله ولا يصدُرون إلا عن رأيه، فقلتُ: مَن هذا الشاب؟! قالوا: معاذ بن جبل، فبكرتُ في صباح اليوم التالي، وجلستُ بجانبه وقلتُ له: والله إني أحبُّكَ، قال: آلله قلتَ آلله؟ قال: لقد سمعتُ رسول

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٤٢) وقال: في هذا الإسناد ضعف.

الله صلى الله عليه وسلم يقولُ عن ربه سبحانه وتعالى: «وجبت محبَّتي للمتحابِّين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ»[1].

قلتُ لهم: إن الله لا يجبُ عليه شيءٌ، لكنه أوجب على نفْسِه تفضُّلاً، فقال: «وجبت محبَّتي»، لمن؟ لهؤلاء، وأرجو أن نكون جميعاً منهم متزاورين ومتباذِلين ومُتحابِّين، فزرتُكم محبَّةً في الله، جزاكم الله عنا خيراً.

وقامت منظمة سان رايس بجمع التبرُّعات لتقوم بنفْسِها على إنفاق هذا المال حسب برنامجها الذي يعرضونه من إغاثةٍ في الداخل المحاصَر أو اللاجئين، ومن تعليمٍ وإنفاق على المدرِّسين والطلاب المحرومين من الدراسة بعد تدمير مدارسهم.

نظرتُ وقلتُ: ما أروعَ هذا التلاحمَ بين أبناء البلد الواحد من أقصى سورية إلى أقصاها! لم يجمعهم إلا الحبُّ والغَيرةُ على أهلهم المنكوبين في سورية.

مع دُعاة الجاليات العربية والإسلامية:

كنتُ في إحدى الجولات في شيكاغو للقاءٍ مع السوريين، فصادف وجودي هناك مؤتمراً للأئمَّة والخطباء في كلِّ أمريكا ينعقد في شيكاغو، فما إن علِموا إلا وأصرُّوا إصراراً كبيراً على حضوري ولو لنصف ساعةٍ.

فذهبتُ لأجد في هذا المؤتمر الأئمة والدعاة من مختلف الجنسيات، من سوريين ومصريين وسودانيين وأمريكيين وسعوديين وغيرهم، فقدَّموني بكلمةٍ، فقلتُ: لعلَّ لقائي بكم يختلف عن لقاءاتي اليومية مع عامَّة الناس، فعليكم -أنتم الدُّعاة والخطباء والأئمة في كل أنحاء أمريكا- بإعطاء الأمريكان نموذجاً رائعاً في وحدة كلمتكم ومنهجكم، وعدم ولائكم لدولكم أو لمن يمول مساجدكم ومراكزكم، بل يكون

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٧٦٣)، ومن طريقه أحمد في «مسنده» (٢٢٠٣٠). قال محققو «المسند»: حديث صحيح رجاله ثقات.

ولاؤكم لله الواحد الأحد.



محاضرة الشيخ سارية الرفاعي في مؤتمر الأئمة والخطباء في شيكاغو

وبعد أن انتهيتُ من إلقاء الكلمة سلَّموا عليَّ وكأنهم يعرفونني وأعرفهم منذ عشرات السنين!

ما أروع أمثال هؤلاء الدعاة عندما يلتقون على منهج الوسطيَّة بعيداً عن التطرُّف والغُلُوِّ المذهبي الذي يُشتِّت الأمة، ولطالما سمعتُ من الشيخ عبد القادر الأرناؤوط – رحمه الله– قوله: نريد الوسطية، لا سلفيَّةً تنطح، ولا صوفيةً تشطح.

ولقد كان الشيخ عبدالقادر يقول لي: إن الشباب الذين يدَّعون أن الشيخ أرناؤوط شيخهم، ويتَّصِفون بالغِلْظة والشِّدَّة يُسيئون إليَّ.

وهذا ما سمعتُه أيضاً من الشيخ شعيب الأرناؤوط في عمان.

وقد كان الشيخ عبدالقادر –رحمه الله– يأتينا إلى جامع زيد بن ثابت، فأقدِّمه ليتكلَّم،

وأُصِرُّ عليه أن يُلقيَ محاضراتٍ للأساتذة والطلاب عندنا، فلا يتردَّد، وأشعر وهو يتكلَّم أنه سلَفيٌّ بصفاء منهجه الصوفي، ونقاء سريرته، وجميل أخلاقه.

وأقولُ بصراحةٍ: عندما أخطأ (بعض) الشباب من السَّلَفيين وهم يتكلَّمون بالبدعة، ويُكفِّرون المسلمين، ويتَّهمونهم بالشِّركِ، أكاد -والله- أظنُّ بأنهم مندسُّون في صفوف الدعاة ليشوِّهوا صورة الإسلام، ولينفِّروا عامَّة الناسِ من الالتزام بشرع الله.

فأرجو من مشايخ السَّلَفيَّة الاهتمامَ بهذا الجانب، لا سيَّما ونحن في وقتٍ أحوج ما نكون إلى جمع الكلمة ووحدة الصَّفِّ.

لقائي مع العامة في المركز الإسلامي في ميامي:

دُعيتُ لإلقاء خطبة الجمعة في مسجدٍ كبيرٍ في ميامي، فقلتُ: أرجوكم أن تكون كلمتي قبل الصلاة أو بعدها؛ لأنني لا أستطيع الوقوف، مع أن الخُطْبة تصِحُّ من الإمام وهو جالسٌ، لكن عامة الناس يظنُّون أن صلاتهم باطلة لجلوسي أثناء الخطبة، فقلتُ لهم: فليخطب إمام المسجد، وأنا أعلِّق على خُطبتِه.

وكنتُ قبل أيِّ لقاءٍ أتكلَّم فيه، أسأل الإخوة عن أهمِّ ما ينبغي أن أتحدَّث فيه، وما هو أهم خطابٍ يحتاجه هذا المجتمع أو ذاك.

وباعتبار أن اللِّقاء في مركزٍ إسلاميٍّ، وتكثر فيه الجالية الباكستانية، فقد أخبرني إخواني الذين أستشيرهم: بأن الجالية الباكستانية تتَّهم العرب بأنهم يتكبَّرون عليهم، ولديهم انطباعٌ سيءٌ من خلال الشباب الذين يعملون في دول الخليج، فالباكستانيون والبنغاليون يعملون في دول الخليج بأعدادٍ كبيرةٍ، وربما يشكُون من سوء المعاملة والاحتقار والتكبُّر عليهم، فكان تصوُّر الجالية الباكستانية في أمريكا عن العرب جميعاً أنهم متكبِّرون، ومعظمُ هؤلاء الباكستانيين أطباء كبارٌ أو مهندسون، ولهم شأنٌ كبيرٌ.

فكانت كلمتي حول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣].

فتكلَّمت عن الجنسيات المختلفة في مجتمع الصحابة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، حيث كان الحبشي والرومي والفارسي، ولما التقى عددٌ من الصحابة ومعهم سلمان الفارسي، وتفاخر كلٌ واحدٍ بحسبه ونسبه، وقف سلمان الفارسي الذي عاش في هذا المجتمع العربي، وانقطع عن حسَبه ونسَبه، فسكت، لكنَّ نبينا صلى الله عليه وسلم بادر بقوله: «سلمان منَّا آل البيت»، وأعظِم به من شرفٍ.

ففي المجتمع الإسلامي لا توجد عُنْصُرية، وإن وجدنا ذلك في بعض البلاد الغنيَّة، فلا ينبغي أن تنعكس على أبناء هذه البلاد بالتعالي على الآخرين ليقولوا صراحةً: جئتم تشاركوننا في فلوسنا وأموالنا.

ووالله إني لَأَرْبأ بإخواننا في دول الخليج -وخاصةً السعودية- أن أسمع من مستضعفٍ باكستانيٍّ أو عاملٍ بسيطٍ الدعاء عليهم، فوالله أخشى على هذه البلاد التي تخدم الحرمين الشريفين وتخدم ضيوف الرحمن من عقابٍ ينزل عليهم، أو أن يندرجوا تحت قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦]، وقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من كِبْرٍ»(١).

أسأل الله تعالى أن يحفظَ هذه البلاد ويحميَها من شرِّ الحاسدين، وأن يجعل أهلها ويجعلنا جميعاً من عباده المخلصين وأوليائه المتقين.

وبعد هذا الاسترسال في هذا الحديث الذي كان مُطَيِّباً لخاطرهم، وعندما بدأتِ المنظمة التي تجمع التبرعات للشعب السوري، كان بعض الباكستانيين من أطباء وتجار

---

(١) رواه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أكثر سخاءً من السوريين أنفسهم!

ثم ختمتُ لقاءاتي وزياراتي للجالية السورية بكاليفورنيا في منزل الدكتور عامر جندلي، فكنا نلتقي بشكلٍ يوميٍّ عنده، ومثل هذه اللقاءات كانت في فلوريدا في منزل الدكتور عماد جندلي، وفي بيوت العديد من أطبائنا السوريين في أمريكا، أعادهم الله وأعادنا جميعاً إلى سورية على أحسن حال.

سلبيّات الجالية السورية المقيمة في أمريكا وإيجابياتها:

لا يخلو فردٌ ولا جماعةٌ ولا بلدٌ ولا جنسيّةٌ من أخطاء، ومن أخطاء السوريين في أمريكا وفي كلِّ بلدٍ التنازعُ والتخاصمُ فيما بينهم، حتى بين الجمعيات والمنظمات القائمة على الخير وعمل الخير.

ومن المعلوم أن التنافس هو من طبيعة المنظَّمات كلها، ولكن التنافس إما أن يكون محموداً أو مذموماً:

- فعندما يتنافسون ويتعاونون ويُنسِّقون بين أعمالهم؛ فهذا شيءٌ طيِّبٌ.

- وأما إذا كان تنافسهم للكيد ببعضهم والطعن والتشكيك؛ فإن هذا ينعكس عليهم جميعاً لدى المتبرِّعين والداعمين، ولدى مانحيهم الترخيص بالعمل والنشاط.

وهذا البلاء وجدتُه في كلِّ مكانٍ وللأسف، ذاك فيما يتعلَّق بالمنظَّمات والهيئات الإنسانية التي تشكو الآن من قلَّة التبرعات، في حين كان السخاء والعطاء سابقاً، حينما كانت المنظمات تعمل بنشاطٍ وإحساسٍ بالمسؤولية.

أما الآن، فالانشقاقات قائمة بين أعضاء المنظَّمة الواحدة، بل ربما يصل الأمر إلى الطعن ببعضهم والتشكيك بوطنيتهم أو أمانتهم لحفظ الأموال ونحوها، وهذا هو السبب في انحسار الخير عنهم جميعاً.

وعلى مستوى العائلات والأسر، فإن الخوف على أولادهم وبناتهم من الضياع؛ لأن الجالية في المدينة الواحدة غير متوافِقين وغير متعاونين، فيضيع الأولاد، إذ لا يوجد مدارس إسلاميةٌ تحافظ على أخلاقهم، فيضطرُّون إلى تسجيل أولادهم في المدارس العامة التي لا تهتمُّ بدينٍ ولا خُلُقٍ، بل ينبغي على الأسر والطلاب أن يحترموا الاندماج، فالبيئة واحدة كما ذكرتُ.

إيجابيَّات إقامة الجالية السورية في أمريكا:

إن تلك المنظَّمات التي تكلَّمتُ عن سلبياتها لا تخلو من فضائل وأنشطةٍ تتعلَّق بإغاثة الشعب السوري، والتنافسُ في هذا محمودٌ؛ إذ ترى تنوُّع الأنشطة في الداخل السوري وفي خارجه من قِبَل هذه المنظمات.

كما أن لكل منظَّمةٍ فريقَها من الشباب والشابات الذين يقومون بنشاط داخل سوريا زيارةً للاجئين والمنكوبين، وبرامج لدراسة حالات الطلاب والطالبات السوريين، وإعطاء الدراسة لإدارة المنظَّمة، وربما تصل المنظَّمة إلى درجة دعم الدولة التي يُقيمون فيها حسب أنشطتهم، وضبط وتوثيق هذه المساعدات في إيصالها لمستحقيها.

كما أن من جملة الإيجابيات التي وجدتُها من خلال إقامة الجالية السورية: أن بعض الأسر المتعاونة والغيورة على أبنائها الذين يقيمون في ولايةٍ من الولايات يضعون صندوقاً لبناء مركزٍ إسلاميٍّ للصلاة، ولتجمع أبنائهم فيه، فيحفظون القرآن الكريم، وتقام لهم الدروس والمجالس الشرعية، ولهم فيه أنشطةٌ أخرى، كما يجمعون من بعضهم تبرُّعاتٍ لبناء مدرسةٍ إسلاميَّةٍ حتى لا يختلط أولادهم في المدارس التي لا تهتمُّ بدِينٍ ولا خُلُقٍ.

إن التعاون فيما بين أفراد الجالية السورية أو الإسلامية عموماً، والتفاعل فيما بينهم حصنٌ لهم ولأبنائهم.

ونستطيع القول: بأن الجالية السورية على قسمين:

- قسمٌ أدرك الخطورة على أبنائه، فكانوا يداً واحدةً لحمايتهم، وليكون لهم صوتٌ لدى البلدية وحكومة الولاية، إذ أن كثيراً من القوانين تُسَنُّ حسب أصوات المقيمين من الأمريكان والجاليات، فنجد أن تعاونهم ووحدة كلمتهم تساهم بقوانين تتناسب مع بيئتهم ومحافظتهم على أخلاقهم.

- وقسمٌ اندمج في المجتمع الغربي اندماجاً كبيراً، فذابت أخلاق أسرهم وعاداتهم وثقافتهم بالطريقة الغربية، مما أفقدهم هويتهم الإسلامية، ولغتهم العربية، وما تبع ذلك من تفكُّكٍ للأسر، وقطع لأواصر الأخوة في ما بينهم.

هذا ما وفَّقني الله لجمعه، مع الإشارة إلى أن الحلقات لم تكتمل بعد، أسأل الله تعالى أن يعينني على إتمام ما بدأتُ تبياناً للحقائق التي أمرنا الله بتبيانها وعدم كتمانها، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

سارية عبد الكريم الرفاعي

الفهرس

سارية عبد الكريم الرفاعي

- أحدُ أبرز دعاة بلاد الشام المعروفين، ابن العلّامة الراحل الشيخ عبدالكريم الرفاعي.
- ولد في دمشق عام ١٩٤٨م، وخلَفَ والده في إمامة وخطابة جامع زيد بن ثابت الأنصاري في دمشق بعد وفاته عام ١٩٧٣م.
- أسّس في دمشق (مكتبة الغزالي) للطباعة والنشر عام ١٩٦٩م.
- قرأ على عدد من علماء الشام الكبار، وحصل على الماجستير في التفسير من جامعة الأزهر كلية أصول الدين عام ١٩٧٥م.
- غادر دمشق في هجرته الأولى عام ١٩٨١م إلى السعودية تحت ضغطٍ أمنيٍّ شديدٍ مُورِس على رموز الدعوة في سوريا في ذلك الوقت.
- عاد إلى دمشق عام ١٩٩٣م مع ثلّةٍ من العلماء، وقاموا بتجديد النهوض بالعمل الدعوي فيها منذ ذلك الحين.
- قام بالعديد من المبادرات الاجتماعية والإنسانية، كان أبرزها (مشروع حفظ النّعمة الخيري) بأقسامه المتعدّدة الذي أضحى نموذجاً يُحتذى به في العمل الإغاثي في سوريا.
- اتّخذ موقفاً بارزاً في بدايات الثورة ضدّ مُمارسات الجيش السوري تجاه المتظاهرين السِّلميّين، اضطرّ على إثر ذلك إلى مغادرة البلاد مجدّداً عام ٢٠١٢م إلى مصر، ثم إلى اسطنبول، مُتابعاً مسيرته في العطاء من خلال (مؤسّسة زيد بن ثابت الأهليّة) التي أسّسها في مصر، وانتقل بها إلى اسطنبول سنة ٢٠١٣م حتى يومنا هذا.

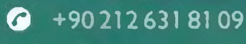



ISBN 978-605-7618-26-9
9786057618269









www.ArabFamilyBs.com
+90 212 631 81 09
+90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com